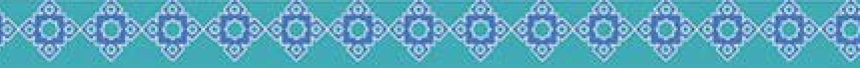
عَلى هامِشِ الفِتنةِ

جدل الرأي و النصّ في القرن الأول الهجري

المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع

عبدالرزاق هادي الصالحي



عَلى هامِشِ الفِتْنَةِ

جَدَلُ الرأي والنصِ

في القَرنِ الأَوّلِ الهِجْري

تأليف



عبد الرزّاق هادي الصالحي


بسم الله الرحمن الرحیم

هوية الكتاب

اسم الكتاب .... على هامش الفتنة

المؤلف: .... عبد الرزاق هادى الصالحى

الناشر: .... آشيانه مهر

التحقيق و التصحيح: .... الشيخ الخليل بخشى‌زاده

صف و اخراج: .... الشيخ على اكبر الاحسانى التيرگر

الكميّة: ٣٠٠٠

طبعة :.. ١٤٢٩ هـ. ١٣٨٧ ش.

تاري الطبع : .... اول

المطبعة : .... اسوه

الثمن: ....

شابک النسخة: ....

مركز التوزيع: المجمع العالمى لمعرفة الشيعة و التشيع



مجمع جهانی شیعه شناسی

THE WORLD CENTER FOR SHIITE STUDIES

اَلمَجمَعُ العالَمِيُّ لِمَعرِفَةِ الشيعَةِ وَ التَشَيُّع

www.ShiaStudies.com

info@ShiaStudies.com

قم-۴۵ متری عمار یاسر- پلاک ۹۰/ص.پ ۶۴۴-۳۷۱۸۵

تلفن: ۷۷۱۳۷۷۳-۹۲-۷۷۵۶۰ / دورنگار: ۷۷۱۳۷۷۴

فهرس محتويات

مقدمة الاستاذ علی الانصاری البویراحمدی ٢٤
مرتكزات ٣٠
مدخل ٣٢

الفصل الأول

متجهات مستقبلية ٤٠
الفتن بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله ٥٠
دلالة الألفاظ ٥٣
استقبال وقائع ٥٤
اخباره صلى الله عليه وآله عن الناكثين والمارقين والقاسطين ٥٤
الحكمان ٥٦

أخباره ﷺ عن خروج حكمين في أمته ٥٦
إشارة ٥٩
علي بن أبي طالب الموقف الرسالي ٥٩
أحق الناس بتولي الأمر ٦٠
موازنة بين موقفي المهاجرين والأنصار ٦٠
الامام والخلفاء ٦٢
فاطمة الزهراء عليها السلام شاهد الامام و الأمة ٧٥
حوارية بعد البيعة ٧٦
خطبة الزهراء عليها السلام ٨٠
الامام وخلافة أبي بكر ٨٣
الامام والشورى ٨٣
الامام وخلافة عثمان ٨٤
دلالة الألفاظ: ٨٤
رؤية تقييمية ونصح ٨٥
إقامة الحق بوجود الناصر لا بالآكراه ٨٦

الفصل الثاني

خلافة عثمان بن عفان ٩٠
الشورى وخلافة عثمان ٩٠
آلية تطبيق الشورى ٩١
على هامش الشورى ٩٢

مآلات بين النص والواقع ٩٣
معاوية وحصار الخليفة ٩٧
كتاب الخليفة ٩٨
مواقف ١٠٠
موقف عائشة من الخليفة ١٠٠
الوليد بن عقبة والي الكوفة ١٠٣
سعيد بن العاص ١٠٤
ومن أفعال سعيد بن العاص وتصرّفاته: ١٠٤
سعد بن أبي وقّاص وعثمان ١٠٦
اجتماع الولاة مع الخليفة ١٠٨
عبد الله بن عامر ١٠٨
سعيد بن العاص ١٠٨
عبد الله بن أبي سرح ١٠٩
معاوية بن أبي سفيان ١٠٩
على هامش اجتماع الخليفة بولاته ١١٠
نموذج من كتب الأمصار إلى الخليفة ١١١
كتاب أهل الكوفة ١١١
كتاب كعب بن عبيدة النهدي إلى الخليفة ١١٢
رسول أهل الكوفة والخليفة ١١٣
موقف الزبير وطلحة ١١٤
الوفد المصري في المدينة ١١٦

وصية الامام علي عليه السلام للوفد المصري ١١٦
حوار الوفد مع الخليفة........ ١١٧
موقف الخليفة من هذه الأحداث........ ١١٨
الخليفة والامام عليّ عليه السلام ١١٩
تولية محمّد بن أبي بكر........ ١٢١
نصّ كتاب الخليفة إلى والي مصر........ ١٢٢
أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله والكتاب ١٢٣
الخليفة يطلب النصرة........ ١٢٤
نصّ كتاب الخليفة إلى ولاته........ ١٢٥
موقف ولاة الخليفة........ ١٢٥
معاوية بن أبي سفيان ١٢٥
عمرو بن العاص والخليفة ١٢٦
موقف الامام علي عليه السلام ١٢٦

الفصل الثالث

بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ١٣٢
مفاهيم........ ١٣٣
الخلافة:........ ١٣٣
الامام علي عليه السلام استشراف المستقبل ١٣٨
خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٠
عمار والشرعية........ ١٤٣

حوارات.. ١٤٣
عبد الله بن عمر... ١٤٣
الحوارية الأولى.. ١٤٣
الدلالة الأولى.. ١٤٤
الدلالة الثانية.. ١٤٤
الحوارية الثانية.. ١٤٤
لولا ما في يدي لبايعت علياً...................................... ١٤٤
محمد بن مسلمة الأنصاري.. ١٤٤
الدلالة الأولى:... ١٤٥
الدلالة الثانية:... ١٤٥
الحوارية الثالثة.. ١٤٦
أعطني سيفاً يقول هذا مسلم وهذا كافر............................. ١٤٦
سعد بن أبي وقاص... ١٤٦
موقف أمير المؤمنين.. ١٤٦
تقييم عمار لمعاوية... ١٤٧
حوارية الاربعة.. ١٤٧
ادخلتني في ضيق بعد السعة...................................... ١٤٧
ابن عباس لعثمان.. ١٤٧
وهذا ما قاله معاوية للخليفة في هذه الجلسة:......................... ١٤٧
عمرو بن العاص.. ١٤٨
سيكولوجية عمرو بن العاص في التعامل............................. ١٥٠

من أقوال عمرو لمعاوية ١٥١
موقف معاوية من البيعة ١٥٣
قبل رفع المصحف ١٥٥
من كتب الامام عليه السلام لمعاوية ١٥٨
كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية ١٥٩
وقعة الجمل ١٦١
الناكثون ١٦١
المدعمات الروائيّة والنقليّة: ١٦٢
أمّ سلمة تحذّر عائشة: ١٦٢
تشخيص موقف عائشة: ١٦٣
إشارات الامام عليّ عليه السلام: ١٦٤
تشخيص موقف طلحة: ١٦٤
جيش الامام عليه السلام ١٦٥
جيش أهل الجمل ١٦٥
دوافع الحرب ١٦٥
الرسول صلى الله عليه وآله والناكثون ١٦٦
خروج بعض نساء النبى صلى الله عليه وآله ١٦٧
إشارتان ١٦٨
سير الأحداث وتتابعها ١٦٩
الكوفة ١٧٠
خطبة أبي موسى الأشعري ١٧٠

خطبة عمّار بن ياسر ١٧١
كتاب الامام عليه السلام إلى أهل الكوفة ١٧٢
كتاب أمّ المؤمنين أمّ سلمة (رضوان الله عليها) ١٧٢
نصّ الكتاب ١٧٣
كتاب أمّ الفضل بنت الحارث ١٧٣
كتاب زيد بن صوحان إلى عائشة ١٧٣
ثأركم على أعجاز الآبل ١٧٤
أهل الجمل: التخطيط والتحرّك ١٧٥
اطمئنان مروان من علي ١٧٦
مروان والبيعة لطلحة والزبير ١٧٦
كتب أهل الجمل إلى البصرة ١٧٧
كتاب كعب بن مسور ١٧٨
كلمة لعبد الله بن خلف ١٧٩
قتلة عثمان معك ١٧٩
طلحة وأهل البصرة ١٨٠
الناكثون و والي البصرة ١٨١
نصّ كتاب الصلح ١٨٢
نقض العهد ١٨٣
الآغارة على بيت المال ١٨٤
الامام علي عليه السلام والناكثون ١٨٥
أهم إحداثات أهل الجمل: ١٨٥

قراءة أخرى لمواقف أهل الجمل ١٨٦
الزبير: ١٨٦
تصويره عليه السلام لخروجهم عليه ١٨٧
قتل جيش برجل ١٨٨
كتب الامام عليه السلام لقادة حرب الجمل ١٨٩
كتاب الامام عليه السلام إلى عائشة: ١٩٠
خطبة الامام عليه السلام يوم الجمل ١٩١
لم يكونوا أنصار عثمان ١٩٢
معاوية والناكثون ١٩٢
أحداث ما قبل الوقعة ١٩٤
انصراف الزبير: ١٩٤
الزبير وعائشة: ١٩٥
بدء القتال ١٩٧
عدد من حضر وقعة الجمل ١٩٨
بيعة أهل البصرة ١٩٩
كتاب الامام عليه السلام إلى عامله بالكوفة ١٩٩
ترحيل عائشة إلى المدينة ١٩٩
سيرة الامام عليه السلام مع أهل الجمل ٢٠١
القاسطون ٢٠٣
وقعة صفين ٢٠٣
أطراف الصراع: ٢٠٥

قميص عثمان: ٢٠٦
سير الأحداث: ٢٠٧
مبعوث الامام عليه السلام إلى معاوية........................ ٢٠٧
نص كتاب الامام علي عليه السلام لمعاوية؛ وقد أرسله إليه بعد وقعة الجمل: ٢٠٧
مبايعة أهل الشام........................ ٢١٠
كتاب معاوية ٢١١
كتاب الامام عليه السلام لمعاوية........................ ٢١١
سهم أهل البيت عليهم السلام ٢١٣
الآبطاء عن الخلفاء: ٢١٣
البغي على عثمان ٢١٤
قتلة عثمان........................ ٢١٤
طلب البيعة ٢١٤
الآيمان يجمع ويفرق........................ ٢١٥
الراهب والامام علي عليه السلام........................ ٢١٦
كتاب الامام علي عليه السلام لجرير البجلي:........................ ٢١٧
نص الكتاب: ٢١٧
موقف جرير البجلي........................ ٢١٨
كتاب الامام عليه السلام للأشعث بن قيس: ٢١٨
موقف الأشعث: ٢١٩
وقعة أهل الجزيرة ٢٢١
القاسطون / تداول وتحالفات ٢٢١

كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص ۲۲۲
استشارة غير ملزمة ۲۲۲
معاوية و عمرو ۲۲۳
الوليد بن عقبة ومعاوية ۲۲٤
شيوخ الشام والقميص ۲۲٥
كتاب معاوية إلى شرحبيل: ۲۲٦
مبايعة عمرو بن العاص ۲۲۷
كتب معاوية إلى أهل المدينة ۲۳۰
كتابة إلى أهل المدينة ومكة: ۲۳۰
كتاب معاوية إلى ابن عمر ۲۳۱
كتاب سعد بن أبي وقاص ۲۳۱
كتاب محمد بن مسلمة الأنصاري ۲۳۲
كتاب محمد بن مسلمة إلى معاوية: ۲۳۲
إشارات وتشخيصات ۲۳٤
رسالة عمرو بن العاص لابن عباس ۲۳٤
جواب ابن عباس ۲۳٥
مع معاوية ۲۳۷
البداية: الدعوة للبيعة ۲۳۷
كتاب الامام عليه السلام إلى جرير ۲۳۷
حقيقة معاوية ۲۳۸
وصف الامام عليه السلام لعمرو بن العاص ۲۳۹

تشخيص الامام عليه السلام لجنده ومقاتليه ٢٤١
خطبة الامام عليه السلام يصف فيها غارة على الأنبار........................ ٢٤٢
خطبة الامام الحسن بن علي عليه السلام ٢٤٣
ثم قام الحسن بن علي خطيباً فقال:........................ ٢٤٣
خطبة الامام الحسين عليه السلام:........................ ٢٤٣
معاوية يساوم مبعوث الخليفة ٢٤٤
كتاب علي إلى جرير........................ ٢٤٥
موقف مالك بن حبيب ٢٤٥
كتاب الامام عليه السلام إلى عماله ٢٤٦
سيد التابعين........................ ٢٤٦
التوجه إلى صفين........................ ٢٤٧
الخطبة........................ ٢٤٧
الآخبار عن مقتل الحسين عليه السلام........................ ٢٤٨
النزول بصفين ٢٤٩
من آداب الحرب في الآسلام ٢٥١
الغلبة على الماء........................ ٢٥١
الخُلقية الأموية........................ ٢٥١
إستشارة معاوية........................ ٢٥٢
الدعوة إلى الطاعة والجماعة ٢٥٣
معاوية وزياد بن خصفة ٢٥٥
حجة أخرى قبل الحرب........................ ٢٥٦

ما ورد من الأحاديث في معاوية.. ٢٥٦
فرقوا بين معاوية وعمرو. ٢٥٧
بدء القتال ٢٥٨
أهل الشام ومعاوية.. ٢٦٠
لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٦١

الفصل الرابع

الخوارج ٢٦٥
الراسبي / وهب بن عبد الله ٢٦٥
التحكيم ونتائجه.. ٢٧٠
مواقف من التحكيم ٢٧١
موقف الامام عليه السلام.. ٢٧٢
فقال الامام علي عليه السلام لهم:.. ٢٧٢
حكاية لمصعب بن الزبير.. ٢٧٣
موقف عقائدي ٢٧٤
معاوية يطلب الأمان.. ٢٧٤
الأشعث ومعاوية ٢٧٥
الامام عليه السلام وأبو موسى.. ٢٧٥
مواقف ضد اختيار الأشعري.. ٢٧٦
صحيفة التحكيم.. ٢٧٩
الاختلاف في كتابتها.. ٢٧٩

نص الصحيفة ٢٨٠
آراء في صحيفة التحكيم ٢٨٢
موقف الأشتر من الصحيفة ٢٨٢
سليمان بن صرد الخزاعي ٢٨٣
محرز بن جريش ٢٨٣
شعار الخوارج ٢٨٣
خطبة الامام علي عليه السلام بعد الصلح ٢٨٤
وصايا لأبي موسى الأشعري ٢٨٥
شريح بن هانئ ٢٨٦
الأحنف بن قيس ٢٨٦
عدي بن حاتم الطائي ٢٨٦
عبد الله بن عباس ٢٨٧
الحكمان ٢٨٨
أخبار الرسول صلى الله عليه وآله عن الحكمين ٢٨٨
رواية اليعقوبي ٢٨٩
رواية المسعودي ٢٩٠
رواية ابن كثير ٢٩١
ما اشترط على الحكمين ٢٩٢
وصية الامام علي لعمرو بن العاص ٢٩٢
اجتماع وتداول الحكمين ٢٩٣
تداول وحوار الحكمين ٢٩٥

ولنعد لحوارات الحكمين وما دار بينهما، وما خلصا إليه:........ ٢٩٧
نتيجة التحكيم........ ٢٩٩
إعلان ما اتفق عليه الحكمان........ ٢٩٩
آخر خطبة........ ٣٠٢
حقكم وحقي عليكم........ ٣٠٤
اختلال التوازن/ المأمور آمر........ ٣٠٦
اقتد بفعل عثمان........ ٣٠٦
استشراف المستقبل........ ٣٠٦
شاهد........ ٣٠٧
شراء الذمم........ ٣٠٨
تركة أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عليه السلام........ ٣٠٨
يقين........ ٣٠٩
آخر وصاياه عليه السلام........ ٣٠٩
خلافة الامام الحسن بن علي عليهما السلام........ ٣١١
مبايعة الامام الحسن عليه السلام بالخلافة:........ ٣١١
موقف الامام الحسن عليه السلام من معاوية........ ٣١٣
صلح الامام الحسن عليه السلام الأسباب والدوافع:........ ٣١٣
الأسباب المباشرة (للصلح):........ ٣١٥
١- كراهة الناس للحرب:........ ٣١٥
٢- تأجيل الحرب:........ ٣١٥
٣- ضعف الوازع الديني:........ ٣١٥

جيش الامام الحسن عليه السلام:.. ٣١٦
على هامش صلح الامام الحسن عليه السلام ٣١٨
رؤية تحليلية ٣١٨
الأولى:.. ٣٢٠
والثانية:الظروف الموضوعية ٣٢١
بنود معاهدة الصلح ٣٢١
المادة الأولى:.. ٣٢١
المادة الثانية:.. ٣٢٢
المادة الثالثة: ٣٢٢
المادة الرابعة: ٣٢٢
المادة الخامسة: ٣٢٢
نتائج ومعطيات صلح الامام الحسن عليه السلام:.. ٣٢٣
معاوية.. ٣٢٦
من ولاية الشام إلى خلافة المسلمين.. ٣٢٦
الدولة الأموية.. ٣٢٨
النشوء وعوامل السقوط ٣٢٨
العوامل الممهدة لنشأة الدولة الأموية ٣٢٩
مُدعم: ٣٣١
أسباب سقوط الدولة الأموية.. ٣٣٥
أولاً: عدم شرعية الدولة الأموية.. ٣٣٦
من المروي التاريخي.. ٣٣٧

خليفتان ٣٣٧
ثانياً: ٣٣٨
ثالثاً: الثورات والحروب الداخلية ٣٣٨
رابعاً: ولاية العهد وتوريث السلطان ٣٣٨
خامساً: إحياء العصبية القبلية ٣٣٩
نموذج مروي: ٣٣٩
خطبة الحجاج في أهل العراق ٣٣٩
تقييم ٣٤٢
الممارسة الأموية وواقع التجربة الآسلامية ٣٤٢
مصادر و مراجع الكتاب ٣٤٧

مقدمة الاستاذ على الانصارى البويراحمدى

بسم الله الرحمن الرحيم

مرتكزات

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤)

«سيكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك، فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه الفاروق بين الحق والباطل».

الرسول الأعظم ﷺ

كنز العمال، المتقي الهندي: ١١/ ٦١٢

«أيها الناس فإني فقأت عين الفتنة».

الامام علي بن أبي طالب عليه السلام



نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار المعرفة، بيروت: ١٨٢

«أنصروا علياً ! فوالله إنه لعلى الحق آخراً وأولاً.. اللهم أشهد إني قد بايعت علياً والحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم، ثم أوصى ولديه: كونا مع علي! فستكون له حروب كثيرة، واجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق، ومن خالفه على الباطل».

حذيفة بن اليمان

مروج الذهب، المسعودي: ٢ / ١٥١ – ١٥٢

«كان مع علي – رضي الله عنه– أصحاب النبي ﷺ، وكان مع معاوية أعاريب اليمن لخم وجذام وغيرهم من القبائل» .

البخاري، التاريخ الصغير: ١ /٩٩.

«لو أنا نظرنا في السنة نظراً سليماً لرأينا أن ما صنعناه نحن المسلمين يوم السقيفة، كان سبباً لكل المتاعب التي لقيتها أمة الإسلام».

د. حسين مؤنس

عالم الآسلام، طبع دار الزهراء للآعلام العربي، ١٤١٠هـ:٥١.





مدخل

إنَّ جملة مواقف وأحداث وظواهر برزت بعيد رحيل الرسول الأعظم ﷺ كان لها الدور الأبرز في المنعطف التاريخي في حياة الأمة و دولة الآسلامية، لما له من صلة بالتأسيس لمستقبل الرسالة والأمة، ولما اكتنفه من تداعيات أُنشئ وفقاً له منهج لتداول السلطة كان معبراً عن الواقع التطبيقي للتجربة التي أعقبت سجالات السقيفة والنزاع على اقتسام تركة النبي (ص) والتي عبر عنها الفرقاء بأنها [سلطان محمد].

ولا بدَّ للمسلم أن يقف عند تلك التداعيات ناظراً إليها من خلال مرجعيته الآسلامية، وما أسسه الرسول الأعظم ﷺ لمستقبل الرسالة الآسلامية بعالميتها وشموليتها زمانياً ومكانياً، كي يتميز موقف ويمتاز هو عن سابقيه ممن قرأ واقفاً على تلك التداعيات وما أعقبها من تجسمات الواقع متخذاً منها مرجعاً للحكم والاحتكام حتى على حساب المرجعية الأم في أحايين كثيرة. وإن لم يكن لتداول السلطة منهج واضح بَيِّن من خلال الواقع التطبيقي، فالاجتهادات قد تجاوزت تداول السلطة إلى ميادين الرسالة الأخرى تبريراً للأمر الواقع والتجربة التي قامت بُعيد رحيل الرسول ﷺ، خصوصاً إذا ما اتخذنا من التأسيسات القرآنية متجهاً عاماً في ما رسمته للآنسان كخليفة لله على أرضه، حاملاً للأمانة، يضاف إلى ذلك التكليف والمسؤولية التي يترتب عليهما كل ما يكون مظهراً للخلافة والأمانة والتي تحملها الآنسان وقد أشفق سواه من المخلوقات من حملها.



كان الرسول ﷺ مثلاً يساوي في العطاء بين المسلمين - مهاجرين وانصار- وهذا تأسيس مرجعي شمولي وعام لكل زمان ومكان وتبعه أبو بكر الخليفة الأول على هذا المنحى، إلا أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب اجتهد - وكان كثير الاجتهادات- مقابل السنة والسيرة النبوية المباركة؛ ففرق في العطاء متذرعاً بأن من قاتل مع الرسول ﷺ ليس كمن قاتله فكان هذا التأسيس -القياسي- منفذاً لمن تولى أمر المسلمين فيما بعد ليميز بين أهله وسواهم ومواليه عن غيرهم، بل تعدى ذلك لتكون الأمصار معياراً في هذا التفاوت، إذا ما كان هناك توزيع لبيت مال المسلمين - التسمية وحدها تمنع وضع مثل تلك الفوارق - وليكون السواد وهو مما أفاء الله تعالى على جنده بأسيافهم - «كلّه بستان لقريش» ولو أنّ رَجُلاً قدّم فيه رِجْلاً لم ترجع إليه، أو قدّم فيه يداً لقُطِعت [(١)].

فلا يُرى مبرر - مرجعي - لخلق مثل تلك الفوارق بين «مجتمع الأخوة» على وفق التأسيس المفهومي الرسالي، كما لا يُعلم أساس لاستحسان الرواة والمؤرخين وأهل السير والفقهاء لتلك الاجتهادات وغيرها، فلم يتوقفوا عليها، كما أهملها أهل المناقبية والتفضيل التسلسلي على اعتلاء سدة الحكم وتولي الأمر، وبأي سبيل كان ذلك وبأية وسيلة، غلبة، قهراً، أو عهداً وبيعة، رضاً أو كراهية [(٢)]، وما شاكل ذلك من

---

[١]- هذه حوارية بين مالك الأشتر وسعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة. النص: فقال سعيد إنما هذا السواد بستان قريش، فقال الأشتر أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان، انظر: الكامل، ابن الأثير: ٣/ ٣٠، ٤٠، الفتوح، ابن أعثم الكوفي : ٢/٣٨٥.

[٢]- كان المبايع لمعاوية بعد «الصلح» يقول له أبايعك كارهاً فيقول معاوية: قد جعل الله في المكروه خيراً كثيراً!!

تسميات ومسميات - انتزعت مما آل إليه الوضع - لا تمت للرسالة والرسول ﷺ بأية صلة !!! وحتى إذا ما تولى عثمان بن عفان كانت مساحة الاجتهاد مقابل النص تتسع يوماً بعد يوم وتتجاوز حدودها لتعم كل من يمت بصلة الى خليفة سواء كان خارج دائرة السلطة أو داخلها.. فاستأثر الخليفة ببيت المال، وحمل آل أبي معيط على رقاب الناس (حسب عمر)، فبدأ بأبي ذر صاحب رسول الله ﷺ فنفاه إلى الشام، ولما كان لمعاوية هدف بعيد - ينافس عليه حسب وصية أبي سفيان - أرسل إلى الخلفية طالباً منه أن يبعد عنه صاحب رسول الله ﷺ - أبا ذر - وقد جاء في رسالة معاوية: «إن كان للخليفة في الشام شغلٌ، فليبعد أبا ذر عنها»، فأبوذر قد أفسد الشام[1]، فكان صوت أبي ذر منذر - كما هو واقع الحال - بنهاية الجاه الأموي لو خليَّ حُراً في الشام، فأمر الخليفة أن يرسل إليه لينفيه هو بدوره إلى الربذة ليموت وحيداً وتدفنه عصابة من المؤمنين - وهي نبوءة الرسول ﷺ - وهو يحدث أبا ذر عما سيناله في مستقبل الأيام - ومن ثم يُحَكِّم الخليفة آله ورهطه في الولايات ويتخذ من مروان مستشاراً ووزيراً، فيؤول خاتم الخلافة إليه ليختم به على قتل وتحريق الصحابة وابنائهم - ومنهم محمد بن أبي بكر - وليتخذوا عباد الله خولاً وماله دولة بينهم... وحتى إذا ما ثار المسلمون بعد مكتابات بين الصحابة في المدينة والأمصار،تطلق عليهم أم المؤمنين تسمية (طغام، غوغاء)، ولتقول: قتلوا الامام في البلد الحرام في الشهر الحرام، وهي أول من أمال حرفه[2] حسب المروي في التاريخ العام. ويأتي من بعد ذلك من يقول: من

---

[1] - اليعقوبي: ٢/ ١٧١- ١٧٢.

[2] - تاريخ الطبري : ٢/ ١٢- ١٣.

قتله ظالم وخاذله معذور - انحياز صارخ - ومن ثَمَّ لتسمى تلك الأحداث التي قادها الصحابة وأهل الأمصار ضد الخليفة -والتي يراها سيد قطب[1] أنها أقرب إلى روح الآسلام من سلوك الخليفة ومعاضديه - بالفتنة والفتنة الكبرى.. ولنا أن نتساءل ! ما هو المعيار الذي تم أو يتم وفقاً له إطلاق تلك التسميات؟ والتي يقع تحت ظلالها – فضلاً عن التزييف وإضفاء شرعية للسلوك والمواقف التي تتقاطع مع الرسالة الآسلامية بكل تفصيلاتها وتفاصيلها - تشويه واتهام لصحابة أجلاء شهد لهم الرسول ﷺ بالآيمان وحسن المآل وعدم التبديل بعده، فضلاً عن مظاهر سلوكهم التي كانت منسجمة مع المرجعية الآسلامية ومبادئها وغائيتها !! والتي نقلها من ينقل ذمهم وتجريحهم فيما دَوَّنهُ، ولكن بتفاوت صفحات لا أكثر... فكانت نهاية الخليفة الثالث بُعيد «ما أُصطلح عليه بالفتنة»[2] وبلغةِ مؤيدي الشرعية «الثورة الكبرى»، وتولى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الأمة، فانسحبت تلك التداعيات حاملة معها العقدة القرشية لتكون بجملتها موقف تصدٍّ وعصيان، فتحشدت القوى المتنافرة ضد شرعية الخليفة ومن ثم الاصطفاف المصلحي والخروج عليه في حروب ثلاث مزقت الجماعة ومجتمع الأخوة، مع ما صحبها من آلاف الشهداء والقتلى ولتثمر فيما بعد الملك

---

[1] - انظر : العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ١٧٥وما بعدها.

[2] - إنَّ الموروث التاريخي والتراجمي قد حُشد يتناقل هذا اللفظ، كما أنّ المعاصرين أخذوا ذلك بإضافة أو بدونها وقد صدرلـ «طه حسين» دراسة تحت عنوان (الفتنة الكبرى)، وبحثت ضمن مؤلفات كثيرة حسب وجهة نظر مناصرة.

الأموي العضوض أو الهرقلية والكسروية[1]. فلم يبق من الآسلام إلا الرسم، ومزق القرآن، وتحققت نبوءة «سعد بن عبادة» وخشيته من المستقبل – حيث إنه قد نبه أبا بكر في (السقيفة) يوم تنازعوا «سلطان محمد» إلى ما سيؤول إليه الأمر لو وليه من ليس من الأنصار أو المهاجرين !!! – فقد استبيحت المدينة ثلاثاً وسبيت نساء الذين آووا المهاجرين ونصروا الرسول والرسالة يوم همت قريش بقتل الرسول ﷺ، فقصدهم مهاجراً إليهم للاحتماء والانتصار بهم... ومع هذه التجسمات وسواها كيف سيتسنى لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن يوطد دعائم الدولة وينشر مبادئ الرسالة وتلك التحديات يتترس بها أعداء الرسالة التقليديين وسواهم ممن يحمل على علي قتله لمشركي قريش، فضلاً عن الضامرين - البغض أو الشر للآسلام - والمتطلعين إلى التسلط والسلطة... وليس لهم ما لعلي في نفوس المسلمين. ومن هنا فهذه المحاولة تتوسم أن تعطي صورة بملامح واضحة متأسسة على إبعاد التقاطع بين الرأي والنص والاحتكام إليه – أي إلى النص - في ترسيم معالم تلك الصورة للأحداث والظواهر التي اكتنفت التاريخ الآسلامي خلال الحقبة الزمنية (٢٤– ٤١هـ) مع استضافات لأحداث سابقة أو لاحقة لها متجه وهدفية الرسالة الآسلامية وعالميتها وشموليتها لظرفي الزمان والمكان لأولويات كثيرة منها:

أن الدراسات والقراءات التي تناولت هذه الفترة هي تجليات لتبرير وتحسين صورة الفاعلين والناقلين دون الاستظلال في فضاء المرجعية كحاكم في الاختلاف، وبالتالي يتسنى لنا فهم واقعية الرسالة الآسلامية، ووعي الأحداث والظواهر على وفق

---

[1]- القائل عبد الرحمن بن أبي بكر، في محاورة مع معاوية عندما أراد البيعة ليزيد.

هذا الفهم المنسجم شكلاً ومضموناً مع المرجعية الآسلامية؛ وإنْ تباين وتقاطع مع الواقع التطبيقي للتجربة الآسلامية.

ونرجو من الله تعالى السداد في ما نأمل خدمةً للرسالة والأمة. فإن بلغناه كان الغاية، وان قصرنا فتلك محاولة وخطوة بدء. والحمد لله أولاً وآخراً...

عبد الرزاق هادي الصالحي

١٨ / ذي الحجة /١٤٢٦.

الفصل الأول



متجهات مستقبلية

كانت نبوة الرسول الأعظم ﷺ خاتمة للنبوات، وإن الرسالة الآسلامية رسالة عالمية، فلابد أن تشتمل مبادئها على ما يتناسب وهذا المنحى وهذا المسار، ولا يصح أن تترك ميادين مهمة كثيرة دون أن تُوضح أو تبين حتى يرفع الرسول ﷺ الحرج عن أمته وعن أجيالها في عصورها المختلفة، لذا نجد أن القرآن العزيز قد أوضح أموراً وزادت السنة الكثير بياناً؛ لتكون الحجة لله على الناس بعد الرسول ﷺ، فكان الرسول ﷺ لا يترك مناسبة إلا ويشير إلى بعض الأحداث المستقبلية، حتى أنّه حدثهم عن آخر الزمان و «إشراط الساعة، وما قبلها من أحداث وظواهر» فذكر الدجال ووصفه وتحدث عن نزول المسيح وأنه يأتم بامامكم «المهدي» وكل ذلك وغيره قد أُثر عنه ﷺ[1].

ومما أشار إليه ﷺ للتنبيه وبما يتناسب ومحور البحث و متجاهاته:

في مكة وعند الآعلان والجهر بالدعوة الآسلامية، وحين نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[2]؛ فقد دعاهم إلى مؤازرته ومناصرته،

---

[1] – انظر: كتاب الفتن، حماد بن نعيم المروزي : ٣٥١.

[2] – سورة الشعراء، الاية: ٢١٤.



واشترط لهم أن من يؤازره[1] ويناصره على أمره يكون خليفته فيهم ووصيه عليهم، وأخبرهم أنهم إن قالوا: لا إله إلا الله سيملكون العرب والعجم، إلا أنهم سخروا منه، وقالوا لأبي طالب: إنّه أمر عليك ابنك؛ فضحكوا منه. وفرضوا على بني هاشم وبني المطلب حصاراً في شعب أبي طالب.

يوم الخندق والمسلمون كانوا يحفرون الخندق وعظمت عليهم صخرة؛ فضربها ﷺ وشع منها ضوء، فقال ﷺ: ستفتح لكم القصور البيضاء، فارس والروم[2]، وكان ما قاله ﷺ: واقعاً شهده منهم من شهده وشهدته الأجيال الآسلامية فيما بعد.

بعد الهجرة المباركة أخبر الرسول الأكرم ﷺ المؤمنين أنهم سيدخلون مكة آمنين، واعترض بعض أصحابه على صلح الحديبية، فقال لهم: إنما أنا عبد الله ولا اعصيه، وفعلاً دخلوها آمنين.

---

[1]- النص : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والاخرة . ثم قال: من يؤازرني على ما أنا عليه؟ قال علي : فقلت : أنا يا رسول الله وإني أحدثهم سنا وسكت القوم . ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنك . قال : دعوه فلن يألوا ابن عمه خيرا.السيرة النبوية، ابن كثير: ١/ ٤٥٧، وفي ذيل الحديث على يكون أخي وكذا وكذا (لم يفصح ما المراد ب- كذا وكذا..!)، وروى في تفسيره في الذيل أيضاً " اسمعوا له وأطيعوا "، تفسير ابن كثير: ٣٦٤، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، شرف الاسلام بن سعيد المحسن، متوفي ٤٩٤ هـ ط١- ١٤٢٠، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، تحقيق تحسين آل شبيب: ١٢، سبل الهدى والرشاد، الصالحي: ٢/٣٢٤.

[2]- تاريخ الطبري: ٢/٢٣٥.



عن أبي سعيد الخدري قال:

كنا جلوسا في المسجد، فخرج رسول الله ﷺ والحاصل إلينا ولكأن على رءوسنا الطير لا يتكلم أحد منا، فقال: إن منكم رجلا يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلتم على تنزيله؛ فقام أبو بكر فقال: أنا هو يا رسول الله قال: لا فقام عمر؛ فقال: أنا هو يا رسول الله قال: لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة، قال: فخرج علينا علي ومعه نعل رسول الله ﷺ يصلح منها[1].

ثم إنّ النبي ﷺ حدثهم عن فتن مظلمة ستظلهم بعده وجعل لهم شارات نور يسترشدون بها، وكان القرآن العظيم أخبر عن (فتنة الانقلاب على الأعقاب)، قال تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[2]

عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ تفترق أمتي على فرقتين فتمرق بينهما مارقة تقتلها أولى الطائفتين بالحق[3].

---

[1]- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، متوفي : ٢٣٥ هـ مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩، المحقق، كمال يوسف الحوت: ٣٦٧/٦، البداية والنهاية:٦ / ٢١٧.

[2]- سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

[3]- تاريخ مدينة دمشق –ابن عساكر: ٥٢٧/١٤.

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة»[1] - مع عدم الاطمئنان إلى ذيل المتن - رواه البخاري أيضا عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مثله، ورواه البخاري أيضا عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة - وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل وأصحاب صفين فانهما جميعا يدعون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا- و(كان ترك القتال أولى من فعله كما هو مذهب جمهور الصحابة)[2].

وعند حديث النبي ﷺ عن صفين -حسب المنقول التاريخي- يتضح أنَّ علياً وأصحابه أدنى (أولى) - حسب مروي آخر - الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم كما ثبت في ما رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري:

قال: حدثني من هو خير مني يعني أبا قتادة، إنَّ رسول الله قال

1- صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري، وفاته عام ٢٥٦هجري، المحقق د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ: ٢٥٤١/٦. صحيح مسلم، مسلم بن حجار النيسابوري، وفاته عام ٢٦١هجري، المحقق محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٢٣٦/٤: ٢٢١٤/٤.

2- البداية والنهاية ابن كثير: ٢٢٤/٦. وهذه الدعوى أكبر من أن تثبت، حيث كان القسم الأعظم وأفاضلهم وقفوا إلى جنب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقاتلوا أهل الجمل والقاسطين وأهل النهروان .

لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[١].

ورواه أيضا من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت:

قال رسول الله: «**يقتل عماراً الفئة الباغية وقاتله في النار**».

ولنا أن نتساءل من كان عليه أن يتجنب القتال؟ من أطلق عليه الرسول ﷺ: «أدنى الطائفتين للحق» - كدالة مجمعة ومفرقة في الوقت ذاته في اتجاهين مناصرة الحق، وقتال المخالف- ناكثين، وقاسطين، ومارقين، وأمر أصحابه بقتالهم مع علي حسب المنقول التاريخي.

ومن دون أن نتأمل في النص، فهو حاكمٌ. ثم من أعرف بوقف القتال الراوي أم من خرج الحديث؟، أو أُمُّ المؤمنين وهي التي سمعت من النبي ﷺ وعاصرته؟!! أم الحواري - الزبير بن العوام- أم من قطعت إصبعه - طلحة بن عبيد الله- في معركة كان النصر فيها للآسلام ضد الشرك!! أم الطرف الثاني الذي فيه مَنْ مُلِئ حتى مشاشه إيماناً[٢] (عمار بن ياسر) حسب المأثور النبوي والذي موعده الجنة مع والديه، فضلاً عن العدد الكثير من الصحابة[٣] - مهاجرين وأنصار- الذين شاركوا الامام حروبه

---

[١] - صحيح مسلم، مسلم بن حجار النيسابوري،م.س: ٤/٢٢٣٦، البداية والنهاية ابن كثير: ٦/٢٣٩.

[٢] - تاريخ ابن عساكر:٤٣/ ٣٩٢.

[٣] - يستشعر من الآية الاشارة إلى الابتعاد عن الانحيازية في التقييم للسابقين والتعامل أو قراءة مواقفهم وما أسهموا به وفقاً للمرجعية الاسلامية لا أن تكون تلك المواقف وأشخاصها وتشخصها

كلها حتى أضحوا بين شهيد أو طريد يوم تولى معاوية أمر الأمة؟!!

فالدفاع أو محاولة تبسيط الأمور بهذا المستوى أو دونه تخدم من؟ فـ ﴿تلك أمة قد خلت....﴾...!![1].

ولما كان عليٌّ ومن معه أدنى للحق وأولى به في قتال الباغين - الناكثين والقاسطين والمارقين- وقد أثبت المنقول التاريخي هذا القدر، فقطعاً في تلك كان علي ومن شايعه أولى وأهل الحق، فلابدَّ من القول بعدم شرعية الخروج عليه مهما كان الخارج ومهما أضفيت عليه من هالة صحبة أو سواها، وبالتالي صاحَبَّ عدم الشرعية تأسيس الدولة الأموية وما تلاها من كيانات، فآلاف القتلى لسان متحدث ويقظة و وعي، وليس حلم من رأى أبا الغادية أو الفادية وعماراً في الجنة في خيمتين متقابلين، والرسول ﷺ في أكثر من مناسبة يقول: إن قاتل ابن سمية وسالبه في النار، وتقتله الفئة الباغية[2]، وروي ذلك عن عمرو بن العاص وعبد الله ولده، كما روى ذلك أهل السير والتراجم وغيرهم وبطرق وألفاظ عديدة ومتعددة.

لقد أخبر الرسول ﷺ عماراً أن آخر رزقه من الدنيا «ضياح أو مذقة من لبن»[3]، ولما بكاه أهله في مرضه بسبب الفتق الذي أصابه من ضرب الخليفة الثالث

واقعاً معيارياً للتعامل؛ فحجيتها مشكوك فيها.

[1] - سورة البقرة الآية: ١٤٣.

[2] - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،متوفي ٢٥٦ هـ دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت،١٤٠٧ - ١٩٨٧،ط ٣، المحقق،د. مصطفى ديب البغا.

[3] - مجمع الزوائد، : ٩/٢٩٥، تاريخ ابن عساكر: ٤٣/٤٢٠.

وبني أمية قال لهم: «لا تبكوا آخر زادي من الدنيا مذقة لبن»[1]، ولما أتوه به يوم صفين قال: صدق رسول الله ﷺ)...!! فلنا أن نتسائل، لِم يشير النبي ﷺ ويفصل في قضية عمار إلى هذا الدرجة التبينية لمفردات ستصادفه في حياته وهو يواجه الفتن التي أشار إليها النبي ﷺ والقرآن، أليكون عمار وأبو الغادية في خيمتين متقابلين في الجنة حسب المنقول المؤسس وفقاً لرؤيا و أضغاث..؟ أو حتى لا يخرق الستر حسب قول أبي توبة الربيع بن نافع الحلبي: «معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه»[2].

وهل يمكن لقارئ تلك النصوص أن يكتشف واقعية الآسلام وبعده الزماني من خلال مثل هذه التأسيسات التي ترمي إلى التغطية والتستر على تلك الخروجات على شرعية الخليفة المبايع بأغلبية الصحابة وأهل الأمصار، فالشك ينتقل إلى المرجعية: الآسلام وإلى مواقف الرسول ﷺ !!! ومن ثم تبقى الأجيال الآسلامية كما قلنا في تيه وحيرة؛ فلا تعرف المصيب من المخطئ، الموقف البعيد أو القريب من المبادئ والمفاهيم المرجعية، فمَن الأسوة إذن؟ وبمن يُقتدى؟ أبموقف القاتل والمجتهد الذي أخطأ فله أجر، وهو قد قتل مسلماً ونزا بزوجته، وكان في سيفه رهقاً حسب تعبير الخليفة الثاني عمر

---

[1] - المعجم الأوسط، الطبراني: ٦/ ٣٠١، الآحاد والمثاني، أبو بكر الشيباني: متوفي ٢٨٧ دار الراية- الرياض، ط ١، ١٤١١، تحقيق د. باسم فيصل الجوابرة: ١/ ٢٠٧، تاريخ ابن عساكر، م.س: ٤٢/٤٣.

[2] - البداية والنهاية ٨/ ١٤٨.

بن الخطاب؛ وقال للخليفة الأول: أقتله[1]، أم بموقف المبرر لفعل خالـد؟ أم يبحـث في غير هذه المواقف الثلاثة؟ فينظر إلى ما تأسس على مواقف الرسول ﷺ من الرسـالة والأمة؟ فتكون صلة الرسول ﷺ بهما ما دام حياً حسب المدعيات التي يتأسس عليها مثل هذه الآشكالية، فإن مات فلا صلة له بهما وهذا ما لا يقوله أحدٌ من المسلمين.

إنَّ النبي ﷺ أراد لتلك المتجهات المستقبلية أنْ تُتخَذ نقاطاً مضيئة من قبل أجيال الأمة، لتنظر مدار ومحاور الحق التي سيكون فيها عمار أو أبوذر (رض) أو أويس القرني أو سواهما ممن رسم مواقع تواجدهم الرسول ﷺ من قبل حتى لا تحار أمته وحـتى لا يبحث مَن يبحث عن سيف ناطق أو من يستبدل سيفه بقطعة خشب على رواية ينفـرد بها صحابي مبرراً بذلك سلبيته تجاه الواقـع وتجـاه الرسـالة في حـالات الحـرج وفيهـا الكلمة موقف تنسجم ومبدأ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ومن أجـل ديمومـة فاعلية الرسالة في حياة الآنسان ووفقاً لها يترتـب الثـواب والعقـاب، ومـآل عاقبتـه في زمرة أهل اليمين أو مع من يحشروا إلى النار زمراً.

وبُعيد ذلك فكيف تكون دعواهما واحدة؟

---

[1] - النص: فلما بلغ قتلهم - أي مالك وقومه - عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكـر فـأكثر؛ وقال عدو الله عدى على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامة له قد غرز في عمامته أسـهما؛ فلمـا أن دخـل المسجد - أي خالد - قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسـه فحطمهـا، ثم قـال: أرثـاء قتلـت امـرأ مسلما، ثم نزوت على امرأته؛ والله لأرجمنك بأحجارك، ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظـن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه. تاريخ الطبري: ٢/ ٢٧٤، السيرة الحلبية: ٣/ ٢١٢.

وأي مفهوم من مفاهيم الرسالة يُبرر ذلك أو يُستند عليه في تمرير هـذا التوجـه في النظر القياسي لواقعية الرسالة، وما بُعِثَ الرسول ﷺ إلا ليأخذ بيد الخلـق إلى سـواء الصراط القويم، وينفي الظلم عن الناس ويعطي كل ذي حق حقه، كما أن هـذا التوجـه ينافي عدل الله تعالى قطعاً.

إنَّ أول كتاب - صحيفة المدينة - كتبـه الـنبي ﷺ عنـد بـدء تأسـيس الدولـة الآسلامية بُعيد الهجرة المباركة إلى المدينة المنورة كان قـد ضـمنه الـنبي ﷺ وجـوب اجتماع المؤمنين على الذي يبغي منهم فقال ﷺ:

«وإن المـؤمنين المتقـين علـى مـن بغـى مـنهم أو ظلـم أو أثـم، وإن أيديهم عليه جميعاً»[1].

غير أنهم نسوا أو تناسوا هذه المادة من كتاب النبي ﷺ الذي تشير إلى مستقبل: الجمل، صفين، النهروان، وقعة كربلاء، والحرة... فأمسـك مـن رأى الـنبي ﷺ وسمـع حديثه، فلم ينصر الحق ولم ينتصر له، لأنّه لا يملك سيفاً ناطق، أو يرى أنّها فتنةً القاعـد فيها خيرٌ من القائم، وكيف لم يدرك ذلك البـدريون وأهـل بيعـةِ الرضـوان ممـن بـايع النبيﷺ، ووعاها أمثال، محمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقـاص، وأبي موسـى ومـن خذل الرسالة دون سواهم ممن عاصر وناصر؟!!

إنَّ محاولة التبرير وفقاً للواقع التطبيقـي بعيـداً عـن المرجعيـة الفكريـة والمفهـوم المرجعي الرسالي لا ينتج عنه إلا التفسير الخيالي المحلق بالآنسان الوهمي نحو مثل تلـك التفسيرات التبريرية التي تعمد إلى فهم وتطويع النص بلا مستند كما كان حال التعامل

---

[1] - سيرة ابن هشام : ٢ /١٠٦.

مع جميع الوقائع وتطبيقاتها على طول تاريخ الدولة الآسلامية عاماً كان أو خاصاً، وكله نزوع إرضائي للسلطان وسلطته، مبتعداً عن المثال وأهدافه وغائيته في تعبيد الناس لله تعالى وبيان واقعية الرسالة ومبادئها، مما دفع السابقين للاجتهاد مقابل النصوص واللاحقين لاتخاذ الظرف المعيشي - باللفظ الجاهز - والظروف الاقتصادية والرفاهية وخمس الفتوحات - بلفظ موهم - كمبرر أو مبررات لما آلت إليه مسيرة التجربة الآسلامية من انكفاء ونكوص حتى تاه أو يتيه القارئ لتاريخ الرسالة بين المخيال والاجتهاد القياسي؛ فَتُحَمَّل الرسالة والرسول ﷺ والدين كل هذه التداعيات التي رسم ملامحها السلطان وتسلطاته ومخيال الرواة، فكأنما هناك سيناريو يمثل، فلا جنة ولا نار ولا عقيدة، ولا تكليف ولا مسؤولية، فتكون المسألة تمثيلية أو مسلسلاً قروني، والأجر بعد الانتهاء من تمثيل الأدوار، فيقابل أبو الغادية عماراً، وخمسين ألفاً على المقل من الرواة - في الجمل وأكثر من ذلك في صفين- تقابل طلحة والزبير، ويقابل معاوية وعمرو بن العاص، علياً ومالكاً وعدي الخير وجماعة مرج عذراء وهكذا إلى نهاية الدنيا مسلسلات ومسرحيات تمثل ولا دلالة للمنقول وما أُثر عن الرسول ﷺ في هذه الوقائع والأحداث.

الفتن بعد عصر النبي ﷺ

إنَّ اهتمام ورعاية الرسول الأعظم ﷺ لأمته على امتداد وجودها التاريخي أمرٌ لا يحتاج أدنى شك فالسيرة - تقرير، وفعل وإمضاء - تؤكد ذلك وهي مظهر له، حتى تؤدي الأمة دورها الحضاري، والأحاديث والروايات كثيرة التي ضمنها الرسول ﷺ ما يجري من بعده على أمته شاهد تلك الرعاية وذلك الاهتمام، ما حدث به عن مآل حال ووضعية أمته من بعده، وذكره الفتن وما يجري عليها حتى قيام الساعة، بين تفصيل وعموم حملته لنا تلك المأثورات عنه ﷺ ومنها:

عن بقية بن الوليد وأبي المغيرة عن صفوان بن عمرو قال: حدثني السفر ابن نسير الأزدي عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« تكون فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا تأتيكم مشتبهة كوجوه البقر لا تدرون أيها من أي»[1].

وعن عيسى بن يونس حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة بن اليمان، قال: هذه فتن قد أظلت كجباه البقر يهلك فيها أكثر

---

[1] - صحيح ابن حبان،محمد بن حبان بن أحمد التميمي السبتي، وفاته عام ٢٥٤هجري، المحقق، شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤ :١٥/٩٩، الفتن، حماد بن نعيم المروزي، وفاته عام ٢٨٨ هـ دار التوحيد- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢: ١٤.

الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك.

وعن ابن لهيعة قال حدثني سلمان بن عامر عن أبي عثمان الأصبحي عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا تقارب الزمان أناخ بكم الشرف الجون فتن كقطع الليل المظلم»[1].

وكان أبو هريرة يحدث أن لديه وعاء علم لم يبثه؛ حمله الآلوسي على علم الأسرار لجواز أن يكون المراد منه أخبار الفتن وإشراط الساعة وما أخبر به الرسول ﷺ من فساد الدين على أيدي أُغليمة من سفهاء قريش، وقد كان أبو هريرة يقول:

«لو شئت أن أسميهم بأسمائهم لفعلت»[2].

وعن عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال:

أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة إلى يوم القيامة وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدث به غيري ولكن رسول الله ﷺ حدث مجلساً أتاهم فيه عن الفتن التي تكون منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

---

[1] - الفتن، المروزي، م.س: ٢٨. وفي تاريخ جرجان، للسهمي، ٤٢٧هـ «بسنده عن ابن أُم مكتوم، تكون فتن كقطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم طويلاً». طبع عالم الكتب، الطبعة الرابعة ١٤٠٧: ٤٩٠.

[2] - روح المعاني، الآلوسي:٦/١٩١.

وعن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن كرز بن علقمة الخزاعي قال: قال رجل لرسول الله ﷺ:

«هل للإسلام من منتهى؟ قال: نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا ادخل عليهم الإسلام، قال: ثم مه، قال: ثم تكون فتن كأنها الظلل فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله يا رسول الله، فقال رسول الله: بلى والذي نفسي بيده ثم لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض، قال الزهري: الأسود الحية إذا نهشت نزت ثم ترفع رأسها ثم تنصب».

وعن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عبد الواحد بن قيس عن عروة ابن الزبير عن كرز بن علقمة عن النبي ﷺ نحو ذلك[1].

وعن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال:

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يُقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة»[2].

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فبينما هم كذلك مرق منها مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[3].

---

[1] - الفتن:٢٩.

[2] - البداية والنهاية، ابن كثير:٧ /٢٨٦.

[3] - البداية والنهاية، ابن كثير:٢٨٦/٧.



«ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة»[1].

وذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم أن:النبي صلى الله عليه – وآله– وسلم أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال:

«هل ترون ما أرى؟ إنّي لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»[2].

دلالة الألفاظ

الأطم[3] بضم الهمزة والطاء هو القصر والحصن وجمعه آطام ومعنى أشرف علا وارتفع والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم أي أنها كثيرة وتعم الناس لا تختص بها طائفة وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرة ومقتل الحسين رضى الله عنه وغير ذلك وفيه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه – وآله– وسلم.



---

[1]– شرح شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ١٨ /٣٦٧.

[2]– شرح مسلم، النووي: ١٨/ ٧– ٨.

[3]– النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١ /٥٧، القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٧٥



استقبال وقائع

اخباره ﷺ عن الناكثين والمارقين والقاسطين

وكما حدث القرآن العزيز عن انقلاب وفتنة فيما إذا توفي الرسول الأعظم ﷺ أو قتل[1]، نجد أن هناك ثمة بشارات كثيرة في السنة النبوية، ترسم مسارَ انتشار الآسلام وانتصاره، وأنه سيسود المعمورة، وأن نصر المسلمين محققاً ﴿**ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون**﴾[2]، وإن النبي ﷺ قد حذر من وقوع فتن بعده، وأخبر المسلمين أنهم سيركبون سنن من كان قبلهم «حذو القذة بالقذة»، اخبر بخروج فرق تقاتل أهل الحق منهم:الناكثون والقاسطون والمارقون.وتحدث للمسلمين عن المارقة «الخوارج»، وعن رئيسهم - ذي الخويصرة - وقال عنهم لهم صلاة وصيام تحقرون صيامكم وصلاتكم تجاهها، ولم يكن أورع الأمة ولا أتقاها كما يذهب إلى ذلك الشهرستاني[3]، إلا أن يقال، أنه نظر إلى حالهم من كثرة الصوم والصلاة.

---

[1] ﴿و ما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ...﴾ (آل عمران: ١٤٤).

[2] - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. التوبة:٣٣، وسورة الفتح: ٢٨، وسورة الصف: ٩.

[3] - الملل والنحل، الشهرستاني: ٣/ ٣٨١.



«وإذا كان الآسلام الذي هو دين الله لا يُقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية وأمر النبي بقتال المارقين، فثبت عنه في الصحاح[1] وغيرها من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن حنيف وأبي ذر الغفاري وسعيد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم وغير هؤلاء أن النبي ذكر الخوارج، فقال: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الآسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وفي رواية شر قتيل تحت أديم السماء»[2].



---

[1]- صحيح البخاري، م.س: ٣/ ١٣٢١، صحيح مسلم، م.س:٢/٧٤٤.

[2]- الملل والنحل، الشهرستاني: ٣/ ٣٨١.



الحكمان

«حتى بعثوا حَكَمَين فضَّلا وأضَّلا»[١].

أخباره ﷺ عن خروج حكمين في أمته

عن المسور بن مخرمة قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أنا كنا نقرأ وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله، فقال: عبد الرحمن بن عوف ومتى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء[٢]، ذكره البيهقي ههنا وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر

١- البداية والنهاية: ٦ / ٤٢١.

٢- تاريخ الاسلام، الذهبى، ج ١، ص ٣٩١ – تفسير الرازى، الرازى، ج ٢٣، ص ٧٢ – البداية و النهاية، ابن كثير، ج ٦، ص ٢٤٠. و قد روي في بعض المصادر بغير هذه الألفاظ. انظر: مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب، الطبري، وفاته عام ٢٦٠هـ تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ: ٢/٣٣٨، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٤/٥٢٥، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة ثنا المغيرة ثنا أبو بكر بن مريم عن راشد ابن سعد قال قال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دخلا وكتاب الله دغلا.

الحكمين وما كان من أمرِها، فقال: اخباره عن الحكمين اللذين بعثا في زمن علي.

فعن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار عن سويد بن غفلة، قال:

«إني لأمشي مع علي بشط الفرات، فقال: قال رسول الله: إنَّ بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا من اتبعهما، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلا وأضلا من اتبعهما، هكذا أورده ولم يبين شيئا»[1].

والحكمان كانا - حسب المدعى لا الواقع، ولا المنصوص - من خيار الصحابة وهما عمرو بن العاص السهمي[2] من جهة أهل الشام، والثاني أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري[3] من جهة أهل العراق، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم، وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم وخرجوا عليهما وكفروهما، حتى قاتلهم علي بن أبي طالب، وناظرهم ابن عباس، فرجع منهم شرذمة إلى الحق واستمر بقيتهم حتى قتل

---

[1] - البداية والنهاية:٢١٥/٦، شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ١٣/ ٣١٤- ٣١٥، وكنز العمال، المتقي الهندي: ١/ ٣٧٧ - ٣٧٨.

[2] - رأي الامام علي في عمرو بن العاص: فإن عمراً ليس من الله في شيئ إذا كان له في الأمر هوى. وقعة صفين، المنقري: ٥٠٠.

[3] - وروي أن عمارا سئل عن ابى موسى، فقال لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما، سمعته يقول صاحب البرنس الاسود، ثم كلح كلوحا علمت منه انه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط. شرح النهج، المعتزلي: ١٣/ ٣١٥.

أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذولة عليهم[١].

وكان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول:

«إنَّ الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم و تخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا يرضى به من اتبعهما، وإن هذه الأمة لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى من اتبعهما؛ فقال سويد بن غفلة: إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين.

قال (أبو موسى): أنا؟قال سويد: نعم أنت، قال: فكان يخلع قميصه، ويقول لا جعل الله لي إذاً في السماء مصعداً ولا في الأرض مقعداً؛ فلقيه سويد بن غفلة بعد ذلك فقال يا أبا موسى أتذكر مقالتك؟

فقال- أبو موسى لسويد -: سل ربك العافية»[٢].



---

[١]- البداية والنهاية: ٦/٢٤١.

[٢]- المسعودي:٢/٣٩٢.



إشارة

لقد روى حديث الحكمين في بعض المصادر التاريخية أيضاً: تاريخ اليعقوبي والقارئ يجد في المتن «عبارة بياض في الأصل» مع تمويه من خلال إيراد أسم سويد بهيئة تورد خللاً في سند الحديث: عن عبد الرحمن بن الحصين بن سويد... (البياض»[1]، والأصح ربما يكون «عن سويد» وليس «ابن سويد، وقد أخرجه ابن كثير بسياق لا يجد القارئ فيه دلالة؛ فهو بمتن مهلهل فضفاض، وما نقله المسعودي في مروجه يمكن الآفادة منه في موازنة الحديث وتصحيحه من الآرباك الذي دخله من جهة السند [اليعقوبي] والمتن [ابن كثير]، وبالتالي ليكون للحديث دلالة ومفصح عن هذه الدلالة ويحتج به في هذا السياق[2].

علي بن أبي طالب الموقف الرسالي

يتضح لنا من قراءة جملة من أحاديث الامام علي بن أبي طالب تقاطعية مواقف بعض الصحابة مع المرجعية الآسلامية، كما توضح في ذات الوقت الموقف الرسالي المؤسس للامام عليه السلام تجاه ظواهر تجسمت نتيجة لتلك التقاطعية، وهي تُعد اشارات

---

[1] - تاريخ اليعقوبي : ٢/١٩٠.

[2] - سيرد في تضاعيف المباحث، ذكر الروايات الثلاث ومناقشتها.

وأوليات لقارئ تاريخ تلك الحقبة من عمر الرسالة والأمة والمواقف المناقضة أو الموافقة لمبادئ الرسالة تُعين في التوصل للحكم والاحتكام إليها في التعرف بنسب متفاوتة على التقاطع أو التوافق مع مبادئ الرسالة الآسلامية.

أحق الناس بتولي الأمر

نقل عن الامام علي أنه قال:

«أيها الناس، إنَّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه»[1].

موازنة بين موقفي المهاجرين والأنصار

لما عَلِم الامام بموقف المهاجرين في (السقيفة) واحتجاجهم على الأنصار بكونهم من قريش وأنهم عشيرة الرسول ﷺ وقومه، قال مستشهداً ومحتجاً بقوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا

---

[1]- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، وفاته عام ٦٥٦هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان: ٣/٣٢٨.

[2]- سورة آل عمران : ٦٨.

دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم[1]، أي لهم حق فيما أدعوه لا تـدفعهم حجة المهاجرين.

1- شرح نهج البلاغة -ابن أبي الحديد : ٥١ /١٨٢.



الامام و الخلفاء

«لقد علمتم أني أحق بها من غيري، والله لأسلّمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه» [١].

ولعل[٢] أعظم رقم قياسي ضربه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للتضحية في سبيل الآسلام والآخلاص للمبدأ إخلاصا جرده عن جميع الاعتبارات الشخصية وأقام منه حقيقة سامية سمو المبدأ ما بقي للمبدأ حياة هو الرقم الذي سجله بموقفه[٣] من

١- شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد، ج ٦، ص ١٦٦، داراحياء الكتب العربية ؛ أهل البيت في فجر الشهيد محمد باقر الصدر (رض)، إعداد وتحقيق عبد الرزاق هادي الصالحي، منضد على الكومبيوتر: ٢/ ٥٠- ٦٣.

٢- شرح نهج البلاغة -ابن أبي الحديد : ١٦٦/٦.

٣- حدثت عن هشام ، قال : حدثني عوانة ، قال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر اقبل أبو سفيان وهو يقول : والله إني لأرى عجاجة لا يطفأها الاَ دم؟ يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم !..وقال : أبا حسن ابسط يديك أبايعك فأبى علي، فجعل يتمثل بأبيات:

ولن يقيم على خسف يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف معكوس برمته ... وذا يشج فلا يبكى له أحد

قال الراوي: فزجره علي وقال : والله انك ما بغيت بهذا إلا فتنة، وانك والله طالما بغيت الاسلام

خلافة الشورى وقدم بذلك في نفسه مثلا أعلى للتفاني في المبدأ الذي صار شيئا من طبيعته[1].

إن كان رسول الله ﷺ قد تمكن من محو ضلال الوثنية فقد استطاع أن يجعل من علي بما أفاض عليه من حقائق نفسه عينا ساهرة على القضية الآلهية فنامت فيه الحياة الآنسانية بأهوائها ومشاعرها وصار يحيا بحياة المبدأ والعقيدة[2].

وإن كان للتضحية الآنسانية الفاضلة كتاب فأعمال علي عنوان ذلك الكتاب المشع بأضواء الخلود[3].

شراً. تاريخ الطبري: ٢/٤٤٩.

[1] - وإن قول الامام علي (ع) يُعد مظهراً لموقفه هذا: «لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى، ووالله لاسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة، التماسا لاجر ذلك وفضله، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه». شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٦/٦.

[2] - قال رسول الله (ص) : (علي مع الحق و الحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة). تاريخ بغداد/الخطيب البغدادي: ج١٤، ص٣٢١، تفسير الفخر الرازي: ج١، ص١١١، كفاية الطالب للكنجي: ص١٣٥، المناقب الخوارزمي لأخطب خوارزم: ص٧٧، وقال(ص): اللهم أدر الحق معه حيث دار، راجع مستدرك الحاكم: ج٣ ص ١٢٥، كنز العمال: ج٦، ص ١٧٥، جامع الترمذي: ٢ج، ٦ص٢١٣. [هامش في الأصل].

[3] - قال رسول الله (ص) : لضربة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين، أو قال: (لمبارزة علي لعمرو افضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة)، راجع المستدرك للحاكم ج ٢ ص٣٢. [هامش في الأصل]. وانظر: الطرائف، السيد ابن طاووس الحسني، متوفي ٦٦٤هـ مطبعة الخيام، قم، الطبعة الأولى ١٣٧١: ٥١٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٩/١٣. وكنز العمال، المتقي الهندي: ٦٢٣/١١.



وإن كان لمبادئ السماء التي جاء بها محمد ﷺ تعبير عملي على وجه الأرض فعلي هو تعبيرها الحي على مدى الدهور والأجيال.

وإن كان النبي (ص) قد خلف في أمته علياً والقرآن[1] فإنما جمع بينهما ليكون القرآن تفسيرا لمعاني علي العظيم ولتكون معاني علي أنموذجا لمثل القرآن الكريم.

وإن كان الله تعالى قد جعل علياً نفس رسول الله ﷺ في آية المباهلة[2] فلأجل أن يفهم المسلمون انه امتداد طبيعي لمحمد ﷺ وشعاع متألق من روحه العظيمة.

وإن كان النبي ﷺ قد خرج من مكة مهاجرا وخلف علياً على فراشه[3] ليموت

---

[1]- قال رسول الله (ص) : إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). راجع الصواعق المحرقة: ص١٣٦. [هامش في الأصل]. انظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٩/٦، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، متوفي ٢٧٩هـ تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي:٦٢٢/٥. الطبقات، ابن سعد: ٢/ ١٩٤، المعجم الكبير، الطبراني: ١٦٦/٥، مسند الامام احمد: ٢١٧/٤ ، المستدرك: ٣/ ١١٩.

[2]- راجع تفسير الفخر الرازي/سورة آل عمران: ٦١، اسباب النزول/الواحدي : ٦٧، وآية المباهلة هي [الآية: ٦١، من سورة آل عمران، ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... ﴾ قال الزمخشري: ولا دليل أقوى من هذا - يشير إلى دعوتهم لمباهلة نصارى نجران- على فضل أصحاب الكساء [الرسول (ص)، فاطمة، علي بن أبي طالب، الحسن والحسين(س)]، انتهى. الكشاف: ٣٢٧/١.

[3]- راجع تفسير الرازي ٥: ٢٠٤ نشر دار الكتب العلمية - طهران ، سيرة ابن هشام ٢: ٩٥ مطبعة الحجازي / ط١٠، تذكرة سبط الجوزي: ٣٤.

بدلا عنه فمعنى ذلك ان المبدأ المقدس هو الذي كان يرسم للعظيمين خطوط حياتهما وإذا كان لابد للقضية الآلهية من شخص تظهر به وآخر يموت في سبيلها فيلزم أن يبقى رجلها الأول لتحيا به ويقدم رجلها الثاني نفسه قربانا لتحيا به أيضا.

وإن كان علي هو الذي أباحت له السماء خاصة النوم في المسجد والدخول فيه جنبا[1] فمفهوم هذا الاختصاص ان في معانيه معنى المسجد لأن المسجد رمز السماء الصامت في دنيا المادة وعلي هو الرمز الآلهي الحي في دنيا الروح والعقيدة.

وإن كانت السماء قد امتدحت فتوة علي وأعلنت عن رضاها عليه إذ قال المنادي: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)[2] فإنها عنت بذلك ان فتوة علي وحدها هي الرجولة الكاملة التي لا يرتفع إلى مداها إنسان ولا ترقى إلى افقها بطولة الأبطال وإخلاص المخلصين.

ومن مهزلة الأقدار أن هذه الفتوة قدسها الهاتف الآلهي كانت عيبا في رأي مشايخ

---

[1] - راجع مسند الامام احمد ابن حنبل: ج٤، ص٣٦٩، ومستدرك الحاكم: ج٣، ص ١٢٥ وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢، ص٤٥١، وتذكرة الخواص سبط ابن الجوزي:٤١، ومناقب الخوارزمي ص ١٢٧، ٣٠١، ٣١٤، تاريخ الخلفاء، السيوطي: ١٧٢، الصواعق المحرقة، ابن حجر:١٢٣، [هامش في الأصل].

[2] - ذكر ذلك الطبري في تاريخه ٢: ٦٥، دار الكتب العلمية - بيروت، وابن هشام في سيرته: ج٣، ص٦١٥، وابن أبي الحديد في شرح النهج: ج١١، ص٢١٧،== ==والخوارزمي في المناقب ص:٣٠١. [هامش في الأصل].

السقيفة[١] ونقصاً في علي يؤاخذ عليه وينزل به عن ابوبكر الذي لم يكن يمتاز عليه إلا بسنين قضاها كافراً مشركاً.وأنا لا أدري كيف صار الازدواج بين الجاهلية والآسلام في حياة شخص واحد مجداً يمتاز به عمن خلصت حياته كلها لله.

ولئن ظهرت للناس في البحوث الجديدة القوة الطبيعية التي تجعل الأجسام الدائرة حول المحور تسير على خط معين لقد ظهرت في علي قبل مئات السنين قوة مثلها ولكنها ليست من حقائق الفيزياء بل من قوى السماء وهي التي جعلت من علي مناعة طبيعية للآسلام حفظت له مقامه الأعلى مادام الامام حيا ومحورا تدور عليه الحياة الآسلامية لتستمد منه روحانيتها وثقافتها وروحها وجوهرها سواء أكان على رأس الحكم أولا.

وقد عملت هذه القوة عملها السحري في عمر نفسه فجذبته إلى خطوطها المستقيمة مرارا حتى قال: لو لا علي لهلك عمر[٢]، وظهر تأثيرها الجبار في التفاف

---

[١]- راجع شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ٤٥ وفيها : محاورة بين الخليفة الثاني عمر وابن عباس، قال الخليفة عمر: (يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا انهم استصغروه ... قال ابن عباس: فقلت له: و الله ما استصغره الله حين أمر أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر ...) وفي ص: ١٢ من الجزء ذاته: قال أبو عبيدة للامام علي: « يا أبا الحسن انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك».

[٢]- مسند زيد بن علي، متوفي ١٢٢هـ تحقيق أحد علماء الزيدية، الناشر مكتبة الحياة- بيروت: ٣٣٥. الاستيعاب، ابن عبد البر: ١١٠٣/٣.- شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد، ج ١، ص ١٨، دار احياء الكتب العربية.

المسلمين حوله في اليوم الذي أسندت فيه مقدرات الخلافة إلى عامة المسلمين ذلك الالتفاف الفذ[1] الذي يقل مثيله في تاريخ الشعوب.

ونعرف من هذا أن علياً بما جهزته السماء به من تلك القوة، كان ضرورة من ضرورات الآسلام[2] التي لابد منها وشمسا يدور عليها الفلك الآسلامي بعد النبي (ص) بحسب طبيعته التي لا يمكن أن تقاوم حتى التجأ الفاروق إلى مسايرتها كما عرفت.

ويتجلى لدينا أيضا أن الانقلاب الفجائي في السياسة الحاكمة لم يكن ممكنا يومئذ لأنه - مع كونه طفرة- يناقض تلك القوة الطبيعية المركزة في شخصية الامام فكان من الطبيعي أن تسير السياسة الحاكمة في خط منحني حتى تبلغ النقطة التي وصل إليها الحكم الأموي تفاديا من تأثير تلك القوة الساهرة على الاعتدال والانتظام كما ينحني السائق بسيارته عندما ينحرف بها إلى نقطة معاكسة تحذرا من القوة الطبيعية التي تفرض الاعتدال في السير. وهذا الفصل الرائع من عظمة الامام يستحق دراسة وافية مستقلة قد نقوم بها في بعض الفرص لنكشف بها عن شخصية علي المعارض للحكم والساهر على قضية الآسلام والموفق بين حماية القوة الحاكمة من الانحراف وبين معارضتها في نفس الوقت.

وإن كانت مواقف الامام كلها رائعة، فموقفه في الخلافة بعد رسول الله ﷺ من

---

[1] - تاريخ الطبري ٢: ٦٩٦ وما بعدها.

[2] - وعلى ضوء هذا نفهم ما بيناه، وهو قول رسول الله (ص) لعلي: لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، وقوله له عندما تهيأ للخروج إلى غزوة تبوك: لا بد من أن أقيم أو تقيم، راجع خصائص النسائي ص ٧، ومسند أحمد ج ١ ص ٣٣١، ومناقب الخوارزمي ص ٧٥، وذخائر العقبى ص ٨٧.

أكثرها روعة.

وإن كانت العقيدة الآلهية تريد في كل زمان بطلا يفتديها بنفسه، فهي تريد أيضا بطلا يتقبل القربان ويعزز به المبدأ، وهذا هو الذي بعث بعلي إلى فراش الموت[1] وبالنبي ﷺ إلى مدينة النجاة يوم الهجرة الأغر كما أشرنا إليه قريبا ولم يكن ليتهيأ للامام في محنته بعد وفاة أخيه أن يقدم لها كلام البطلين لأنه لو ضحى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعي في رأيه لما بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه وولدا رسول الله ﷺ طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد.

وقف علي عند مفترق طريقين كل منهما حرج وكل منهما شديد على نفسه:ـ

أحدهما: أن يعلن الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر.

والآخر أن يسكت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، ولكن ماذا كان يترقب للثورة من نتائج هذا ما نريد أن نتبينه على ضوء الظروف التاريخية لتلك الساعة العصيبة.

إنّ الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضة وهم من عرفناهم حماسة وشدة في أمر الخلافة. ومعنى هذا انهم سيقابلون ويدافعون عن سلطانهم الجديد،

---

[1] – انظر: شواهد التنزيل، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، متوفي في القرن الخامس الهجري، تحقيق الشيخ محمد باقر محمودي، مجمع الثقافة الاسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ: ١/١٢٣. راجع الرازي في التفسير الكبير، ٥: ٢٠٤. النص المروي: ذكر الرازي في سبب نزول الآية أن علي بن أبي طالب بات في فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنه لكان نام على فراشه قام جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة، وفيه نزلت الآية المباركة «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» البقرة :٢٠٧.



ومن المعقول جدا حينئذ أن يغتنم سعد بن عبادة الفرصة ليعلنها حربا أخرى في سبيل أهوائه السياسية لأننا نعلم انه هدد الحزب المنتصر بالثورة عندما طلب منه البيعة وقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي واضرب بسيفي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني ولو اجتمع معكم الآنس والجن ما بايعتكم[1]، واكبر الظن انه تهيب الآقدام على الثورة ولم يجرأ على أن يكون أول شاهر للسيف ضد الخلافة القائمة وإنما اكتفى بالتهديد الشديد الذي كان بمثابة إعلان الحرب وأخذ يترقب تضعضع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف فكان حرياً به أن تثور حماسته ويزول تهيبه ويضعف الحزب القائم في نظره إذا رأي صوتا قويا يجهر بالثورة فيعيدها جذعة ويحاول إجلاء المهاجرين من المدينة بالسيف[2] كما أعلن ذلك المتكلم عن لسانه في مجلس السقيفة.

ولا ننسى بعد ذلك الأمويين وتكتلهم السياسي في سبيل الجاه والسلطان وما كان لهم من نفوذ في مكة في سنواتها الجاهلية الاخيرة فقد كان أبو سفيان زعيمها في مقاومة الآسلام والحكومة النبوية وكان عتاب بن أسيد بن ابي العاص بن أمية أميرها المطاع في تلك الساعة.

وإذا تأملنا ما جاء في تاريخ تلك الأيام[3] من أن رسول الله ﷺ لما توفي ووصل

---

[1]- راجع تاريخ الطبري ٢: ٤٥٩.

[2]- تاريخ الطبري ٢: ٤٥٧ – ٤٥٨ . قصة السقيفة . والمتكلم هو الحباب ابن المنذر: (اما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة...).

[3]- راجع: الكامل في التاريخ، ابن الأثير ج٣ ص ١٢٣ .[هامش في الأصل].

خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بـن أميـة استخفى عتـاب وارتجت المدينة وكاد أهلها يرتدون، فقد لا نقتنع بما يعلل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدة والآيمان كما أني لا أؤمن بأن مرد ذلك التراجع إلى انهم رأوا في فـوز أبي بكـر فوزهم وانتصارهم على أهل المدينة كمـا ذهـب إليـه بعـض البـاحثين لأن خلافـة أبي بكركانت في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وأكبر الظن أن خبر الخلافة جـاءهم مع خبر الوفاة بل تعليل القضية في رأيي أن الأمير الأموي عتـاب بـن أسـيد شـاء أن يعرف اللون السياسي الذي اتخذته أسرته في تلـك السـاعة فاسـتخفى وأشـاع بـذلك الاضطراب حتى إذا عرف أن أبا سفيان قد رضي[1] بعد سخط وانتـهى مـع الحـاكمين إلى نتائج في صالح البيت الأموي ظهر مرة أخـرى للنـاس وأعـاد الأمـور إلى مجاريهـا وعليه فالصلة السياسية بين رجالات الأمويين كانت قائمة في ذلك الحين. وهذا التقدير يفسر لنا القوة التي تكمن وراء أقوال أبي سـفيان حينمـا كـان سـاخطاً علـى أبي بكـر وأصحابه إذ قال: إني لأرى عجاجة لا يطفيها إلا الدم، وقال عن علـي والعبـاس: أمـا والذي نفسي بيده لارفعن لهما من أعضادهما[2]. فالأمويون قد كانوا متـأهبين للثـورة والانقلاب وقد عرف علي منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعم المعارضـة ولكنه عرف انهم ليسوا من الناس الذين يعتمد على تأييدهم وإنمـا يريـدون الوصـول

---

[1]- راجع تاريخ الطبري/٢: ٤٤٩ . لما سمع أبو سفيان ببيعة أبي بكر قال: ما لنا ولأبي فصـيل انمـا هي بنو عبد مناف، فقيل له لقد ولى أبنك فقال: وصلته رحم، وقد ولى الخليفة الأول ابنه يزيد أمـيراً على الجيش الذاهب إلى الشام.

[2]- تاريخ الطبري ٢: ٤٤٩.

إلى أغراضهم عن طريقه فرفض طلبهم وكان من المنتظر حينئذ أن يشقوا عصا الطاعة إذا رأوا الأحزاب المسلحة تتناحر ولم يطمئنوا إلى قدرة الحاكمين على ضمان مصالحهم ومعنى انشقاقهم حينئذ اظهارهم للخروج عن الدين وفصل مكة عن المدينة.

وإذن فقد كانت الثورة العلوية في تلك الظروف إعلاناً لمعارضة دموية تتبعها معارضات دموية ذات أهواء شتى وكان فيها تهيئة لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثم المنافقون.

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعلي بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم بل لتناحرت ثورات شتى وتقاتلت مذاهب متعددة الأهداف والأغراض ويضيع بذلك الكيان الآسلامي في اللحظة الحرجة التي يجب أن يلتف فيها المسلمون حول قيادة موحدة ويركزوا قواهم لصد ما كان يترقب أن تتمخض عنه الظروف الدقيقة من فتن وثورات.

إنّ علياً الذي كان على أتم استعداد لتقديم نفسه قرباناً للمبدأ في جميع أدوار حياته منذ أن ولد في البيت الآلهي وإلى أن قتل فيه قد ضحى بمقامه الطبيعي ومنصبه الآلهي في سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله ﷺ وصياً عليها وحارساً لها.

وفقدت بذلك الرسالة المحمدية الكبرى بعض معناها فان رسول الله (ص) لما أمره ربه بتبليغ دعوته والآنذار برسالته جمع بني عبد المطلب وأعلن عن نبوته بقوله: (إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به) وعن امامة أخيه بقوله: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)[1]، ومعنى ذلك أن امامة علي تكملة طبيعية

---

[1]- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد – الطبعة القديمة، [هامش في

الأصل]. النص التاريخي: روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا الذي يهتف، قالوا محمد، فقال: يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا إليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخر السورة. حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب عن عبدالله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رحل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته الراوي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وايم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لهد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي إن هذا الرجل إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد

لنبوة محمد ﷺ وإن الرسالة السماوية قد أعلنت عن نبوة محمد الكبير ﷺ وامامة محمد الصغير في وقت واحد.

إنّ علياً الذي رباه رسول الله ﷺ وربى الآسلام معه فكانا ولديه العزيزين كان يشعر باخوته لهذا الآسلام وقد دفعه هذا الشعور إلى اقتداء أخيه بكل شيء حتى أنه اشترك في حروب الردة التي أعلنها المسلمون يومذاك[1]، ولم يمنعه تزعم غيره لها عن القيام بالواجب المقدس، لأن أبا بكر إن كان قد ابتزه حقه ونهب تراثه فالآسلام قد رفعه إلى القمة وعرف له أخوته الصادقة وسجلها بأحرف من نور على صفحات الكتاب الكريم:

وصمد الامام على ترك الثورة ولكن ماذا يفعل؟ وأي أسلوب يتخذه لموقفه؟ هل

لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي، قال: ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب: إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي، قال: فأحجم القوم عنها جميعا رجاء وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصي فاسمعو له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. تاريخ الطبري: ٢/٦٣– ٦٤. معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، متوفي ٣٥١هـ تحقيق صلاح بن سالم المصراتي،مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ:١/٢٩٣.شواهد التنزيل للحسكاني: ١/٤٨.

[1] – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٤، ص١٦٥. [هامش في الأصل].

يحتج على الفئة الحاكمة بنصوص النبي ﷺ وكلماته التي أعلنت أن علياً هو القطب المعد لأن يدور عليه الفلك الآسلامي والزعيم الذي قدمته السماء إلى أهل الأرض[1].

تردد هذا السؤال في نفسه كثيرا ثم وضع له الجواب الذي تعينه ظروف محنته وتلزمه به طبيعة الأوضاع القائمة فسكت عن النص إلى حين.



[1]- لقد أكد ذلك النصوص القرآنية، آية البلاغ، وآية (والذي يؤتون الزكاة وهم راكعون)، وآية التطهير، وآية إكمال الدين، كما ورد ذلك في المأثور المتواتر والمستفيض عن صاحب الرسالة منذ بدء الدعوة وإلى حين وفاته.



فاطمة الزهراء عليها السلام شاهد الامام و الأمة

وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابية أيضاً «فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها». الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله صحيح مسلم: ٤ / ١٩٠٢. البخاري: ٥ / ٢٠٠٤.

لقد كان للزهراء عليها السلام مكانة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما تظهره الروايات والأحاديث عنه صلى الله عليه وآله والتي رواها المسلون كافة، مع عدم إغفال النصوص القرآنية التي تجعل لها منزلة ومكانة تمنع أن يدعي عليها مدعٍ، فآية المباهلة، وحديث الكساء التي ترويه أم سلمة رضي الله عنها، وآية التطهير، و آية﴿و يطعمون الطعام على حبّه﴾[1] ... إلى غير ذلك من النصوص الأخرى، فضلاً عن الاهتمام الملفت للنظر من قبل النبي صلى الله عليه وآله والذي يستدعي التأمل والنظر بحثاً عن حقيقة أو حقائق عمل على إخفائها الكثيرون من الأوائل، وسعى من لحق منحازاً، دون اكتراث بعواقب أشارت عليها السلام إليها، فبتر هذا وزاد ذاك، وغيب سواهما، إلا أنه مع كل ذلك تبقى حركتها بين التطواف ليلاً وبين وقوفها في مسجد أبيها وامام جمع المهاجرين والأنصار- يتصدر مجلسهم الخليفتين - على الأمة وللأمة على امتداد تاريخها.

---

[1] الانسان: ٨.

حوارية بعد البيعة

روى البخاري قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته:

«إنَّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ، سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ: أن يقسم لها ميراثها - ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه - فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؛ فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاج رته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة[١].

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل، قال:

أرسلت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: ما لك يا خليفة رسول الله ﷺ أنت ورثت رسول الله أم أهله، قال: لا بل أهله.
قالت: فما بال سهم رسول الله ﷺ، قال: إني سمعته يقول: إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه إليه جعله للذي يقوم بعد فرأيت أنا بعده أن أرده على المسلمين.

---

[١]- صحيح البخاري: ٣/١١٢٦، ٢٩٢٦.

قالت: أنت وما سمعته من رسول الله[1].

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت من ذلك على أبي بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر، فلما توفيت دفنها عليﷺ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر[2].

وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عمر بن عاصم، وموسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الكلبي. عن أبي صالح، عن أم هانئ:

«أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قال: فما لك ترث رسول الله ﷺ دوننا؟ قال: يا ابنة رسول الله، ما ورَّثَ أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضةً، قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصار فيئنا الذي بيدك، فقال لها: سمعت رسول اللهﷺ يقول: إنما هي طعمة أطعمناها الله، فإذا مت كانت بين المسلمين. وأخبرنا أبو زيد قال: حدثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن أحمد، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن فاطمة، والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه بفدك، وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: أني سمعت رسولالله ﷺ يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة، أنما يأكل آل محمدﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغير أمراً رأيت رسول اللهﷺ يصنعه إلا صنعته قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت[3]».

---

[1] - مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي: ١/ ٤٠، ٣٧.

[2] - أي لم يحضر الصلاة عليها. السقيفة وفدك، الجوهري: ١٠٩.

[3] - السقيفة وفدك، الجوهري: ١٠٩.

قال أبو بكر للزهراء ﵂:

أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا نعم سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لاشكونكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لادعونَّ الله عليك في كل صلاة أصليها»، ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته، مسرورا بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي. قالوا: يا خليفة رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لو لا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت ورأيت من فاطمة. قال: فلم يبايع علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنهما، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمسا وسبعين ليلة[١].

---

[١]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني: ١/٢٠.



وقال ابن شبة: حدثنا القعنبي قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمة قال:

«إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت أبا بكر رضي الله عنه، فذكرت له ما أفاء الله على رسوله بفدك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن النبي لا يورث»، من كان النبي يعوله فأنا أعوله، ومن كان ينفق عليه فأنا أنفق عليه.

قالت يا أبا بكر: أترثك بناتك ولا ترث رسول الله صلى الله عليه – وآله– وسلم بناته؟

قال هو ذاك[1]».

وروى الحاكم قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري وأخبرنا محمد بن علي بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حاتم بن أبي غرزة قالا: ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن علي عن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ لفاطمة: ثم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أي مسلم والبخاري[2]».

---

[1]- تاريخ المدينة، ابن شبة النميري:۱/۱۹۸ – ۲۰۰. روي بمعناه أيضا في مسند الامام أحمد بن حنبل ۱: ۱۷۹.

[2]- المستدرك على الصحيحين: ۳/۱٦۷، ٤۷۳۰.



خطبة الزهراء ÷

ذكر ابن طيفور كلام فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ كلام فاطمة ؑ عند منع أبي بكر إياها فدك، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون انه مصنوع وانه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغة على الكلام) فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابناءهم وقد حدثنيه أبي عن جدى يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء وقد حدث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه، ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يرون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو اعجب من كلام فاطمة يتحققونه لو لا عداوتهم لنا أهل البيت، ثم ذكر الحديث قال لما اجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدك وبلغ ذلك فاطمة ؑ لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئا حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاة، ثم أنت انة اجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدات فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ فعاد القوم في بكائهم فلما امسكوا عادت في كلامها فقالت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ النذارة صادعا بالرسالة مائلا على مدرجة المشركين ضاربا لثبجهم آخذا بكظمهم يهشم الأصنام وينكث الهام حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتغرى الليل عن صبحه أسفر

الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون الورق أذلة خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي وبعد ما منى بهم الرجال وذؤبان العرب (ومردة أهل الكتاب) كلما حشوا نارا للحرب أطفأها ونجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطا صماخها باخمصه ويخمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله وانتم في بلهنية وادعون آمنون حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدكم خفافاً واحمشكم فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم واوردتموها غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل بدار (وفي نسخة إنما) زعمتم خوف الفتنة إلا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات منكم وأنى بكم وانى تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم وزواجره بينة وشواهده لائحة وأوامره واضحة ارغبة عنه تدبرون ام بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الآسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تريثوا إلا ريث أن تسكن نغرتها تشربون حسوا وتسرون في إرتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى وانتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ويها معشر المهاجرين أأبتز إرث أبي أفي الكتاب أن ترث أباك ولا ارث

أبي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، ثم انحرفت إلى قبر النبي ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فأشهدهم ولا تغب

قال فما رأينا يوما كان اكثر باكيا ولا باكية من ذلك اليوم[1].

---

[1]- بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٢-١٤، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٤٩/١٦.

الامام وخلافة أبي بكر

ورد عن الامام علي عليه السلام في بيان مفارقة تولية أبي بكر الخلافة على وفق النص السابق بمدلوليه «القرابة» و«الطاعة»:

«أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير، حتى إذا مضى إلى سبيله، فأدلى بها إلى فلان – أي إلى عمر بن الخطاب – بعده !!! فيا عجباً !!! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها!!!»[1].

الامام والشورى

وصف الامام لمنهج عمر في التولية قائلاً:

«خَلَفَ الفتنة ... رَحَلَ وتركهم في طرق منشعبة لا يهتدي فيها الضال، ولا يستيقن المهتدي فصيرها – أي الخلافة – في حوزة خشناء يغلظ كلاها ويخشن مسها، يكثر العثار فيها والاعتذار منها، حتى إذا مضى لسبيله – أي عمر – جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر، فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هن وهن إلى أن قام ثالث – أي عثمان– القوم»[2].

---

[1]- المعيار والموازنة– أبوجعفر الاسكافي : ٤٨، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ ١٥٢بتفاوت بالألفاظ.

[2]- شرح النهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/١٨٤.



الامام وخلافة عثمان

وقد وصف الامام تولي عثمان الأمر بقوله ﷺ:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نَبْتَةَ الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»[1].

دلالة الألفاظ:

نافجا حضنيه: رافعا لهما، والحضن: ما بين الابط والكشح، يقال للمتكبر: جاء نافجا حضنيه، ويقال لمن امتلا بطنه طعاما: جاء نافجا حضنيه، ومراده ﷺ هذا الثاني. والنثيل: الروث. والمعتلف: موضع العلف، يريد أن همه الاكل والرجيع، وهذا من محض الذم، والخضم: أكل بكل الفم، وضده القضم، وهو الاكل بأطراف الاسنان. وقيل:

---

[1]- شرح النهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٩٧. وفي تاريخ المدينة لابن شبة تفاوت في الألفاظ: حدثنا محمد بن عباد بن عباد قال، حدثنا غسان بن عبد الحميد قال، بلغنا أن عبد الله بن مالك بن عيينة الازدي حليف بني مطلب قال : لما انصرفنا مع علي رضي الله عنه من جنازة عمر رضي الله عنه دخل فاغتسل، ثم خرج إلينا فصمت ساعة، ثم قال [أي الامام علي]: لله بلاء نادبة عمر قالت : واعمراه، أقام الاود وأبدأ العهد واعمراه . ذهب نقي الثوب قليل العيب، واعمراه أقام السنة وخلف الفتنة، ثم قال- أي الامام علي-: والله ما درت هذا ولكنها قولته وصدقت، والله لقد أصاب عمر خيرها وخلف شرها، ولقد نظر له صاحبه فسار على الطريقة ما استقامت ورحل وتركهم في طرق متشعبة لا يدري الضال ولا يستيقن المهتدي تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ٣ /٩٤١. والدلالة في القول العلوي تباين في أولياتها ما ذكر في النهج وفي تاريخ المدينة عبارة (لقد صدقت ابنة أبي خثمة حين قالت) يظهر أنها مُدخلة لأنه في العبارة التالية ترد كلمة صدقت.

الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشئ اليابس، والمراد على التفسيرين لا يختلف، وهو أنهم على قدم عظيمة من النهم وشدة الاكل وامتلاء الافواه. وقال أبو ذر رحمه الله تعالى عن بنى أمية: يخضمون ونقضم، والموعد الله. والماضي " خضمت " بالكسر، ومثله قضمت. والنبتة، بكسر النون كالنبات، تقول: نبت الرطب نباتا ونبتة. وانتكث فتله: انتقض، وهذه استعارة. وأجهز عليه عمله: تمم قتله. يقال: أجهزت على الجريح، مثل ذففت إذا أتممت قتله وكبت به بطنته، كبا الجواد إذا سقط لوجهه. والبطنة الآسراف في الشبع.

وقال فيه أيضاً واصفاً مفاصل أخرى من سلوك الخليفة الثالث:

«إنه كان على الناس والٍ أحدث أحداثاً، وأوجد للناس مقالاً؛ فقالوا ثم نقموا فغيروا»[1].

-: « استأثر – أي عثمان– فأساء الآثرة »[2].

رؤية تقييمية ونصح

إنَّ عثمان في منظور الامام أفضل من سابقيه وهي تغاير مناقبية المخيال المؤسس وفقاً لتراتبية التولي التي مُلئ بها المنقول التاريخي والتراجمي؛ ففي حوارية بين الامام والخليفة إبان أحداث الثورة خاطب الامام الخليفة الثالث:

«وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى الرسول ﷺ وشيجة رحم منهما ... فالله الله في نفسك،

---

[1]- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، طبع بغداد: ١/ ٩٤.

[2]- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، طبع بغداد: ١/٧٦.

فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله امام عادل، هُدي وهَدى، فأقام سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام وإن شر الناس عند الله امام جائر ضَلّ وضُل به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها.

وإني أنشدك الله أن تكون امام هذه الأمة المقتول، فلا تكونن لمروان سِيقة يَسُوقك حيث يشاء بعد جلال سن وتقضي العمر»[1].

إقامة الحق بوجود الناصر لا بالإكراه

اتضح من نصوص سابقة أن الامام علي قد ثبت أنه أحق بالخلافة ووراثة النبيﷺ من غيره وكان ذلك بُعيد بيعة "السقيفة"، إلا أنه أثبت أن موقفه كان مبتنياً على أسس موضوعية تتسم في مضمونها ومحتوها مع مبادئ الرسالة الآسلامية، فقد روي عنه أنه قال:

«وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا»[2].

---

[1]- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ٩/-٢٦١- ٢٦٢.

[2]- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/١٥١. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، وفاته

وقال الامام علي أيضاً:

«افلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح»[1].

ثم يبين الامام أنه لم يكن معه إلا أهل بيته وليس يقومون لمثل هذا الأمر بعدتهم وعددهم الذي لا يقارن بأنصار من ولي الأمر والناس لملوكهم أطوع، فقال:

«فنظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت...،
فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى»[2].



عام ٥٨٨ هـ تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف،مطبعة الحيدرية النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ: ٤٨/٢.

[1] - نهج البلاغة، محمد عبده : ٤٠/١.

[2] - المسترشد في امامة أمير المؤمنين(ع)، محمد بن جرير الطبري الامامي، وفاته عام أوائل القرن الرابع الهجري، مطبعة سلمان الفارسي، الطبعة الأولى(بدون تاريخ) : ٤١٧.

الفصل
الثانى


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خلافة عثمان بن عفان

استُخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر.

فعن عمرو عن الشعبي، قال:

«اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائة ووفد أهل الأمصار وصنع فيهم، وهو أول من صنع ذلك».

وعن هشام بن محمد قال:

قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام[1].

الشورى وخلافة عثمان

لما طُعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وضع منهجاً وتخطيطاً لمن يتولى الأمر بعده[2]؛ وبذلك يكون قد خرج على سنة سابقيه الرسول الأعظم ﷺ، والخليفة الأول - فحسب التراث السقيفي:

1- تاريخ الطبري: ٣/٣٠٥.

2- تاريخ الطبري: ٣/٢٩٢- ٢٩٥.

«إنّ النبي ﷺ ترك أمر رسالته، فلم يعين أحداً ولم يضع منهجاً يُسار عليه من بعده، وكان أبو بكر قد عهد إلى عمر بالأمر من بعده – واصطلح على التخطيط العمري هذا بـ [الشورى]».

آلية تطبيق الشورى

وأما آلية التطبيق فقد وضع الخليفة أسسها ومفرداتها وأمر بتنفيذها بتمامها، وقد رواها المؤرخون وأهل السير والتراجم، فالطبري يروي عن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال لهم – أي لأصحاب الشورى – : فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء لـه من الأمر وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم.

وقال – عمر – لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الآسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رَجُلاً منهم، وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام وادْخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة ورضوا رَجُلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف!!، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما !؛ فإن رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر!! فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا

عما اجتمع عليه الناس، فخرجوا فقال علي لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً، وتلقاه العباس فقال: عدلت عنا، فقال: وما علمك، قال: قرن بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر فإن رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بله، إني لا أرجو إلا أحدهما[1].

فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد، فقال: فأنا أنخلع منها فقال عثمان: أنا أول من رضي فإني سمعت رسول الله، يقول: أمين في الأرض أمين في السماء، فقال القوم: قد رضينا وعلي ساكت، فقال: ما تقول: يا أبا الحسن، قال: أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الأمة، فقال: أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم علي ميثاق الله ألا أخص ذا رحم لرحمه ولا ألو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله، وقال لسعد: أنا وأنت كلالة فاجعل نصيبك لي فأختار..فقال له سعد: أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا..ثم قال سعد: فإني أخاف أن يكون الضعف قد أدركك، فامض لرأيك فقد عرفت عهد عمر[2].

على هامش الشورى

وبالتأمل والقراءة الواعية لما نقله الطبري أيضاً عن الخليفة الثاني حين طلبوا منه

---

[1] - تاريخ الطبري:٢/ ٥٨٢. ويشير الامام (ع) إلى أن الزبير سيكون معه.

[2] - تاريخ الطبري:٣/٢٩٦.

أن يستخلف - بعدما طُعن - لم يذكر أي ممن ادعى أن النبي ﷺ مات وهو عنهم راض؛ إلا علياً، بعد أن تمنى أحد رجلين.

فعن (عمرو بن ميمون الاودي قال:

«إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين: لو استخلفت، قال: من أستخلف لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك، يقول: إنّه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إنّ سالماً شديد الحب لله، فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه)[1]، فخرجوا، ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين: لو عهدت عهداً، فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رَجُلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي[2]».

مآلات بين النص والواقع

وبالتأني والتأمل في الواقع والمروي بهذا الخصوص، مقارنة بأقوال الخليفة يصعب تخطي الدلالة في النصوص، لتباعد المصداق فيها حين البحث في المتتابع المروي أو في ما آلت إليه الأحداث، وما تجسم في الواقع من حيثيات تتالت، فكان عليٌ على كل تقدير، إنّه أولى الناس بها - الخلافة- فحسب قول عمر، هو الذي يحملهم على الحق،

---

[1]- تاريخ الطبري ٣/٢٩٢.

[2]- تاريخ الطبري ٣ /٢٩٣.

إلا أنه أبعد الستة عنها، وكما قال علي: لا أرجو إلا أحدهم أي الزبير، فالمعادلة قد رسمت نتيجتها، فطلحة لا يدلي بصوته إلى علي، ولا عبد الرحمن، والزبير ممن امتنع عن بيعة أبي بكر، واعتصم في بيت فاطمة عليها السلام مع من بقي بصف الامام علي عليه السلام، وهو بعد ابن عمة الامام عليه السلام، فهو مَنْ كان يرجوه الامام أن يكون معه، وليس بنافعه وفقاً للآلية التي مآلها قطعاً لعثمان دون منافسيه جميعاً، كما يتجلى ذلك من حوارية سعد بن أبي وقاص مع عبد الرحمن بن عوف حين يحثه أن يبايع لنفسه؛ فيريح بذلك سعد الذي أدرك عهد عمر فيما بعد!!

وثمة ما يثار هنا على وفق المنقول عن الخليفة، والذي أقره على نفسه، ويلزمه وإن لم يلتزم به أيضاً فيما يخص الامام عليه السلام من أنه أولى الستة بها والعامل بالحق حسب المنطوقين؛ فَلِمَ لم يَرْسِم له - الخليفة- الدور الذي أوكله إلى عبد الرحمن في الشورى؟

ولماذا مَن يكون في طرفه عبد الرحمن فهو يلي الأمر ويكون خليفة؟ ومَن يخالف يقتل، بل لو امتنع أكثر من واحد أيضاً يقتلان، وهما قطعاً علي والزبير، وبإضافة مدعم رواه الطبري في السياق الشوروي، وهو قول سعد بن أبي وقاص لعبد الرحمن بن عوف: فإني أخاف أن يكون الضعف قد أدركك -أي أدرك عبد الرحمن- فأمض لرأيك فقد عرفت *عهد عمر!!*[1]، *كما سبق لسعد قول آخر لعبد الرحمن:* أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا، فبالمداناة أو بالتقريب بين القولين تجد كلمات سعد تفسيرها، فيما قاله الامام علي لعبد الرحمن:

---

[1]- تاريخ الطبري:٣/٢٩٦.



«حبوته حبو الدهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن، فقال عبد الرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا»[١].

كما يستجلى هذا التوجه في وصية الصحابي - العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ - للامام علي، وهي كاشف ومقرب وقرينة مفسرة في ذات السياق: «أحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر»[٢]، وسبق أن قال العباس له: لا تدخل معهم؛ فأجابه الامام: أكره الخلاف. وفي ذات السياق مؤشر ودالة أخرى - وهو ما رواه الطبري أيضاً - عن المغيرة بعد بيعة عثمان؛ فقام المغيرة بن شعبة خطيباً، فقال يا أبا محمد - يعني عبد الرحمن بن عوف - الحمد لله الذي وفقك، والله ما كان لها غير عثمان - وعلي جالس - فقال عبد الرحمن: يا ابن الدباغ ما أنت وذاك والله ما كنت أبايع أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة[٣]، ولا نريد أن نرتكز المخيال - الذي يرسم جنة فيها القتيل والقاتل على السواء - كما يقال ونربط بعهد أبي بكر لعمر، فعثمان هو الذي كتب اسم عمر بعد أن أُغمي على أبي بكر، ولما أفاق جزّاه خيراً - لعثمان- حين عَلِم أنه كتب العهد لعمر على لسانه، إلا أن الكيفية التي تمت بها بيعة عثمان، وإبراء عبد الرحمن لذمته بنقل العهد، وموقف عمار بن ياسر والمقداد - وبرواية الطبري أيضاً - كما روى موقف عم النبي ﷺ العباس، تُعَدُّ دلائل ومقربات لموقف تآزري على

---

[١]- تاريخ الطبري : ٣/٢٩٧.

[٢]- تاريخ الطبري :٣/٢٩٤.

[٣]- تاريخ الطبري : ٣/٣٠٢.

إبعاد علي، وهو ما صرح به علي ﵇ والعباس وما حكاه سعد:

بقوليه :«بايع لنفسك، وعرفت عهد عمر»،

وقوله الثالث:

«فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس، رداً على ما دار بعد قول عمار: إذا أردت - لعبد الرحمن - إن لا يختلف المسلمون فبايع علياً؛ فقال المقداد: صدق عمار، إن بايعت علياً قلنا سمعناً وأطعنا، فقال له عبد الرحمن: يا مقداد اتق الله فإني خائف عليك الفتنة، ومن ثم كيف نقرأ قول عبد الرحمن لعلي: لا تجعل على نفسك سبيلاً، فهل يقرأ ذلك تهديداً أو ربما قِيل لحفظ الجماعة وعدم شق صفوفها، وإنّ أمراً تكون عاقبته «القتل» ماذا يستشف منه»؟!

فلا يبحث عن جذره في مواضي الأحداث فإنه بُني عليها!! وعلى وفقه ما كان يعني نصح عبد الرحمن أن يتقيا الفتنة؟!!

وما يُميز بين فتنة عبد الرحمن، والفتنة التي يشير إليها سعد في محاورته لعبد الرحمن؟!!

وهل هذه المذكورات مما غيب دلالاتها بين تراكمات التاريخ أم هي هفوات رواته؟!! أم سُكت عنها لأنها قول صحابي، وقوله في كل شيء حجة، إلا إذا كانت الدلالة فيه تحكمه، أو تنتصر للرسالة والرساليين، فَتُحْجَب الرؤيا عنه، وتنتفي حجيته!!

وربما الدلالة التفسيرية لهذا الخطاب قول ابن أبي سرح لعبد الرحمن: إذا أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثماناً؟!! وقرر قوله عبد الله بن أبي ربيعة قال: صدق إن

بايعت عثماناً قلنا سمعنا وأطعنا..![1].

ومع التغاضي عن كل هذا وذاك، فهل يكفي قبول عثمان بسنة الشيخين مرجحاً له؛ فيفوز وترجح كفته؛ فيعلنه عبد الرحمن بن عوف خليفة للمسلمين، ويبعد علياً لرفضه هذا الشرط غير المنصوص في كتاب أو سنة، فهو صحابي كما اجتهد عمر مقابل سنة الخليفة الأول - بل ومقابل سنة النبي ﷺ[2] - فيما خص سلفه عهداً بالخلافة، فلماذا يجوز لهم ولا يحق لابن أبي طالب أن يجتهد برأيه، وما وُفق له حسب تعبيره ؑ؟!! - فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد - والمفروض أنْ لا مرجح بين الاجتهادين إلا بالقرب والبعد من سنة الرسول ﷺ، والمرجح مروي عنه ﷺ حين بعثه إلى اليمن للقضاء بين أهلها ودعا له بالتسديد، فما أشكل عليه الحكم بين اثنين قط[3].

معاوية وحصار الخليفة

نقل الرواة الكثير عن استنجاد الخليفة الثالث بمعاوية واليه على الشام، إلّا أن معاوية لم يجد ولم يحمل ما يطلبه الخليفة منه على محمل الجد والسعي لتخليصه مما أحاط به، ففي الجلسة التي جمعت معاوية والخليفة وولاته الآخرين، كان ما اقترحه معاوية على الخليفة أن يكفيه

---

[1] - تاريخ الطبري : ٣/٢٩٧.

[2] - عن عمر قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنهى عنهما وأُعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحج .شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلمة: ٢/١٤٤. كنز العمال المتقي الهندي :١٦/ ٥١٩، حديث: ٤٥٧١٥.

[3] - البداية والنهاية، ابن كثير: ٧/٣٨١.

الشام دون تدخل في ما آل إليه أمر الخليفة، حيث الموقف المتشدد من الأمة تجاهه وإزاء ولاته، فخرج من المدينة واعداً الخليفة المدد والنصرة إلا أنه كان يتربص نهاية الخليفة دون أن تسجل عليه الأمصار والثوار موقفاً لجانب الخليفة تحسباً لما يطمح أن يصل إليه.

وإن الخليفة سجل هذا التواني والتباطؤ على معاوية كما سننقله في المروي عن أحداث كان يرقبها معاوية مبتعداً عنها ما وسعه ذلك، حتى إذا ما سقط الخليفة قتيلاً - نتيجة أفعال ولاته وسوء تصرفاتهم، وتواني الخليفة عنها- علق معاوية قميصه على أعواد بدمشق حاثاً أهله والشوام للطلب بثأره، وهم الذين قال معاوية عنهم: إنّهم لا يميزون بين الناقة والجمل.

كتاب الخليفة

وكتب عثمان إلى أهل الشام عامة، وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة: «أما بعد فإني في قوم طال فيهم مقامي، واستعجلوا القدر فيَّ، وقد خيروني بين أن يحملوني على شارف من الآبل إلى دخل. وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني. وبين أن أقيدهم ممن قتلت، ومَن كان على سلطان يخطئ ويصيب فياغوثاه ياغوثاه، ولا أمير عليكم دوني، فالعجل العجل يا معاوية، وأدرك ثم أدرك، وما أراك تدرك»[(١)].

لقد أرسل الخليفة عثمان بن عفان يستنجد معاوية ويطلب منه أن يجد السير ليخلصه ممن أحاط به، ولكنه أبطأ ودخل على الخليفة وترك جنده على بعد ما من المدينة، وأتى- معاوية- عثماناً؛فقال لـه - عثمان- إنما أردت بذلك أن أُقتل وتكون الطالب بثأري؛ وفعلاً بعد عودته إلى جنده أتاه الناعي بمقتل الخليفة.

---

[١]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق شيري: ١/٥٥.

إن معاوية لما وصله كتاب عثمان تريث في الآجابة والرد معتبراً أنه لن يستطيع رد ما قضاه الله، وإنّ عثمان مقتول لا محالة، فلما أبطأ معاوية أرسل إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم فقام وسار إليه وتابعه ناس كثير حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا[1]؛ فليتأمل في هذا متأمل!![2].

[1]- الامامة والسياسة: ١/٥٧ .

[2]- انظر: تاريخ الطبري : ٥/١١٥- ١١٦.

مواقف

موقف عائشة من الخليفة

عزمت عائشة على الحجّ، وكان بينها وبين عثمان قبل ذلك كلام، وذلك أنّه أخّر عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات فغضبت، ثم قالت: يا عثمان، أكلت أمانتك، وضيّقت رعيتك، وسلّطت الأشرار من أهل بيتك، لا سقاك الله الماء من فوقك، وحرمك البركة من تحتك. أما والله، لولا الصلوات الخمس لمشى إليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبحونك كما يذبح الجمل، فقال لها عثمان:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

وكانت عائشة تحرّض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول:

«أيّها الناس، هذا قميص رسول الله ـ ﷺ ـ لم يبل وبليت سنّته، اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً»[2].

وقال مروان بن الحكم لها:

---

[1] ـ سورة التحريم الآية: ١٠.

[2] ـ الاستغاثة، علي بن أحمد الكوفي، وفاته عام ٣٥٢هـ: ٢/٩، كشف الغمة، علي ابن عيسى الاربلي: ٢/١٠٨، خرجه عن الفتوح، بتفاوت في الألفاظ.

«يا أمّ المؤمنين، لو أنّك قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس لكان أعظم لأجرك، فقالت: الآن تقول هذا وقد أوجبت الحجّ على نفسي، لا والله لا أقمت»[1].

وفي تاريخ اليعقوبي: وصار مروان إلى عائشة فقال: يا أم المؤمنين! لو أقمت لأصلحت بين هذا الرجل و بين الناس؟

قالت: قد فرغت من جهازی، و انا اريد الحج. قال: فيدفع اليک بكل درهم انفقته درهمين، قالت: لعلك ترى أني في شك من صاحبك؟ أما والله لوددت أنه مقطع في غرة من غرائري وأنّي أطيق حمله فأطرحه في البحر[2].

وجعل مروان يتمثّل بهذا البيت:

ضرّم قيس علي البلاد دما إذا اضطرمت يوم به أحجما

فقالت عائشة:

قد فهمت ما قلت يا مروان.

ثمّ إنّها خرجت تريد مكّة، فلقيها ابن عبّاس فقالت له: يا ابن عباس، إنّك قد أوتيت عقلاً وبياناً، فإيّاك أنْ ترّد الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان، فإنّي أعلم أنّه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. ثمّ تركت عثمان على ما هو فيه من الحصار والشدّة[3].

---

[1]- الفتوح: ٢/٤٢١. وانظر الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/٧٢. وتاريخ الطبري:٣/٤٤٧.

[2]- تاريخ اليعقوبي:٢/١٧٦.

[3]- الفتوح :٢/ ٤٢٢.

وإذا ما يسأل سائل عن إقرار أُمّ المؤمنين وإصرارها في محاوراتها مع مروان وابن عباس أن لا يرد الناس عن الخليفة - وبتعبيرها الطاغية- والتي تفصح عن تحريض وأمر بالقتل؟ فهل يجد المسلم جواباً مقنعاً في خروجها تقود بَنيها في الجمل ضد الشرعية أو ما ستقوله لابن أُم كلاب فيما بعد، أم يشفيه ما يردده المؤرخون - وهو انحياز- وأهل الحديث والتراجم والسير؟ بأن ما كان من الصحابة في خروجهم - وبتعبير فقهي بغيهم على أمير المؤمنين- اجتهادات بين متأول أخطأ وآخر مصيب، ولكل أجر على قدر مشقته؟!!

وعند عودة عائشة من مكة بعد مقتل عثمان، لقيّها عبيد ابن أمّ كلاب سألته عن حال عثمان والناس، فأخبرها بمقتله، وأنّ الناس قد بايعوا عليّاً، فقالت:

ما كنت أبالي أنْ تقع السماء على الأرض، قتل عثمان والله مظلوماً، وأنا طالبة بدمه.

فقال لها عبيد: إنّ أوّل من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد فجر! فقالت عائشة: قد والله قلت، وقال الناس، وآخر قولي خير من أوّله.

فقال عبيد: عذر والله ضعيف يا أمّ المؤمنين، ثمّ قال:

منك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام	وقلت لنا أنّه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر[1]

وكان لعائشة موقف سابق آخر حول مقتل الرجل المصري الذي قتله والي الخليفة بمصر عبد الله بن أبي سرح، وطلبت منه أنْ يقيم عليه الحد ويُنْصِفَ الناس لِمَا سفك من دم مسلم بغير حقّ.

إنَّ هذه التداعيات والمواقف المضطربة تُعد مظهراً لسيادة الرأي وتغيب النص والتحاكم إلى الرأي دون المرجعية الآسلامية، وإنَّ جملة من المأثور عن أمير المؤمنين بهذا الخصوص توضح أنَّ تلك المواقف والتداعيات وأنْ تسترت برداء الدين فهي تعبير عن ضغائن أو نفعية وهدف مضمر متجه نحو التسلط والسلطة..

الوليد بن عقبة والي الكوفة

عزل عثمان سعد بن أبي وقّاص عن ولاية الكوفة وولى الوليد بن عقبة مكانه – وهو أخو عثمان لأمّه – وقد أخذ عليه الناس سوء فعاله وشكوه للخليفة. ومنها:

١- صلّى الصبح أربعاً وسألهم إنْ أرادوا مزيداً.

٢- إدخاله لساحر يهودي إلى المسجد ليعمل له بعض الشعوذة والسحر وما إليها من أعمال الشيطان، وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جُندب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيذ بالرحمن من فعل الشيطان، ثمَّ جرد سيفه وقتل اليهودي، وقال لليهودي: إنْ كنت صادقاً في نفسك فأحي نفسك. فسجنه الوليد وأمر في اليوم الثاني بقتله، وقد هرّبه السجّان لِمَا رأى من صلاحه وعبادته،

---

[1]- الامامة والسياسة :١/ ٥١ ـ ٥٢.

فقتل الوليد السجّان بدلاً عنه، فذهب وفد من الكوفة إلى الخليفة لشكايته وعزله[1].

سعيد بن العاص

ولاّه الخليفة على الكوفة بعد عزل الوليد وإقامة الحدّ عليه لشربه الخمر، وكان قد أساء السيرة فأخذ عليه الناس مآخذ، ثمّ طردوه من الكوفة وتولّى من بعده أبو موسى الأشعري باختيار أهل الكوفة.

ومن أفعال سعيد بن العاص وتصرّفاته:

١- ضربه لهاشم بن عتبة المرقال وهو من خيار المسلمين، ثمّ إنّه حرق داره.

٢- لما كان بينه وبين جماعة من وجهاء الكوفة وخيارهم، ودعواه بأنّ (السواد كلّه بستان لقريش) فما نشاء منه أخذناه وما نشاء تركناه، ثم قال:

> «ولو أنّ رَجُلاً قدّم فيه رِجْلاً لم ترجع إليه، أو قدّم فيه يداً لقطعتها.
> فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أم غيرك؟
> فقال سعيد بن العاص: لا، بل أنا أقوله.
> فقال الأشتر: أتريد أنْ تجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بأسيافنا بستاناً لك ولقومك؟! والله، ما يصيبك من العراق إلاّ كما يصيب رَجُلاً من المسلمين[2].

وتبرز هذه الحوارية جدل الرأي - يمثله والي الخليفة- والمرجع، الذي يتمثل في

---

[1] - الفتوح :٢/ ٣٨١، الكامل في التاريخ :٣/ ٤٢.

[2] - تاريخ الطبري:٥/ ٣٢٨ . الفتوح :٢/ ٣٨٥.

محاججة مالك الأشتر الذي يستظل كلامه باستخدام المفهوم المرجعي تجاه الرأي المبتني على أفضلية قوم الخليفة وواليه على الكوفة غير المستند إلى النص. كما أنَّ لمالكٍ مركزاً وجاهاً يوازي،بل يضاهي – مع تجاوزات الوالي وخروجاته – ما لوالي الخليفة من سلطة وقوة ومركز في الكوفة وبين أهلها، ويُظهر ذلك الأحداث التي تعقب هذه الحادثة بإبعاد وطرد سعيد من الكوفة، وبالتالي يتولى أبو موسى الأشعري الكوفة لا باختيار الخليفة، بل بطلب ورغبة الكوفيين فيه بقيادة الأشتر.

وكان سعيد بن العاص قد أرسل إلى الخليفة كتاباً يتضح من خلال مصداق ما أشرنا إليه آنفاً:

> «فإنّي أخبر أمير المؤمنين أنّي لا أملك من الكوفة شيئاً مع الأشتر النخعي، ومعه قوم يزعمون أنّهم القرّاء وهم السفهاء».
> وردّ عليه الخليفة: فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنّك لا تملك من الكوفة شيئاً مع الأشتر، ولعمري إنّك تملك منها العريض الطويل، ثمّ أمره بنفيهم وتسييرهم إلى الشام[1].

ثُمَّ إنَّ سعيداً ذهب إلى المدينة لمقابلة الخليفة، وعند عودته خرج له جماعة من أهل الكوفة وطردوه وأرسلوا للخليفة أنْ يجعل عليهم أبا موسى الأشعري، فوافق الخليفة – مكرهاً – وأقرّه على ولاية الكوفة بدلاً عن سعيد بن العاص[2].

وإنّ الخليفة كتب إلى سعيد بن العاص بعد أنْ عاد الأشتر ومن معه من الشام أنْ

---

[1]- تاريخ الطبري :٥/ ٣٢٢.

[2]- تاريخ الطبري: ٥/ ٣٣٩.

يسيّرهم إلى حِمْص، وكتب إلى الأشتر: أمّا بعد، فإنّي قد سيّرتكم إلى حِمْص، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنّكم لستم تألون الآسلام وأهله شرّاً، والسلام.

فلمّا قرأ الأشتر الكتاب، قال:

«اللهمّ أسوأنا نظراً للرعيّة، وأعملنا فيهم بالمعصية، فعجّل له النقمة»

وكان الذين سيّرهم عثمان إلى حِمْص والشام من أشراف أهل العراق وخيار الصحابة، وهم: مالك بن الحرث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وصعصعة بن صوحان، وجُندَب بن زهير الغامدي، وجُندَب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي»[١].

سعد بن أبي وقاص وعثمان

لّما بلغ فعلُ سعيد بن العاص بهاشم المرقال سعد بن أبي وقّاص - وهو عمّ هاشم- غضب وأقبل ومعه وجوه المهاجرين إلى الخليفة، فقال:

«يا أمير المؤمنين، لماذا وثب عاملك سعيد بن العاص على ابن أخي هاشم فضربه وأحرق داره بالكوفة؟ والله، لا برحت أو انتصفت منه أو لتكونن ههنا أشياء، فقال عثمان: اصنع ما بدا لك يا سعد، فوالله إنك لتعلم ما لي في ذلك من ذنب !!!»[٢].

وقد تواترت الكتب على الخليفة من الأمصار، وهو على موقفه السابق من ولاته

---

[١]- تاريخ الطبري: ٥/ ٣٣١-٣٣٢.

[٢]- الفتوح: ٢/ ٣٨٣-٣٨٤.

وعدم إنصاف الناس منهم أو عزلهم، مما ألبّ عليه الناس واجتمعت كلمتهم وموقفهم ضدّ ولاة الخليفة، حتى تحوّلت تلك المواقف والأحداث ضد الخليفة نفسه، وهو لم يغيّر ولم يبدل ما أحدثه أو أحدثه ولاته، والناس كانوا يطمعون في عدل وإنصاف الخليفة ولم يحظوا بذلك، مما دفع بالناس إلى الذهاب إلى المدينة والالتقاء بالصحابة طالبين منهم التوسّط لدى الخليفة ليغيّر مواقفه وسياسته ويعزل ولاته.





اجتماع الولاة مع الخليفة

أرسل عثمان إلى جميع عمّاله فأشخصهم إليه من جميع البلاد ليشاورهم في أمره وما طُلب إليه، وما بلغه عنهم، فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم:

«إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء، وإنّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إليّ أنْ أعزل عمّالي، وأنْ أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون، فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليّ».

عبد الله بن عامر

رأيي لك يا أمير المؤمنين أنْ تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأنْ تُجَمرهم – تحبسهم – في المغازي حتّى يذلوا لك، فلا يكون همّة أحدهم إلاّ نفسه وما هو فيه من دَبْرَةِ دابته وقَمْل فروه[1].

سعيد بن العاص

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما دعا الناس أنْ نقموا عليك إلاّ الحمام والفراغ، وذلك أنّ العرب اليوم جلست في المحافل وتحدّثت بالأحاديث، فاشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدوّ حتّى لا يرجع أحدهم، إذا رجع إلى منزله قد أهمّته نفسه لا يتفرّغ لعيب الأمراء[2].

---

[1] – تاريخ الطبري، (٨) مجلدات، مؤسسة الأعلمي – بيروت(بدون تاريخ): ٣/٣٧٣.

[2] – الفتوح :٢/ ٣٨٩.

إنّ سعيد بن العاص قال لعثمان:

«إنّ لكل قوم قادة متى تهلك تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر. أي أنّه يشير على الخليفة بقتل خيار المسلمين ووجهائهم.

فقال عثمان: إنّ هذا الرأيُ، لولا ما فيه!!![1].

عبد الله بن أبي سرح

قال:

«أرى يا أمير المؤمنين أنّ الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم».

معاوية بن أبي سفيان

قال:

«يا أمير المؤمنين، إنّك قد جمعتنا وذكرت أنّه قد كثرت الشكايات منّا وأنت قد ملكتنا رقاب الناس وجعلتنا أوتاداً في الأرض، فخذ كلّ واحد منّا بما يليه من عمله حتّى نكفيك ما قبله، ولا يكون ههنا شكاية أحد ولا ينقم أحد عليك».

فأمر الخليفة عمّاله بالعودة إلى ولاياتهم وأمصارهم، فلم يزدادوا على الناس إلاّ غلظة وحنقاً وجوراً في الأحكام وعدولاً عن السنّة[2].

وخرج أهل الكوفة على سعيد بن العاص بالسلاح فتلقّوه فردوه[3].

---

[1] - تاريخ الطبري :٥ / ٣٤٠.

[2] - الفتوح :٢/ ٣٨٩.

[3] - طبقات ابن سعد :٥/ ٣٣.

على هامش اجتماع الخليفة بولاته

وبالتأمل في تلك الحوارات التي دارت بين الخليفة وولاته، لا نجد إلا تكريساً للرأي بوجوهه المتعددة – استحسان، قياس، مصلحة الخليفة وولاته- غياب تحكيم النص «القرآن والسنة المباركة»، فلا الخليفة يَذكر أو يُذكر، ولا فيهم مَنْ يحاول أنْ يتجه بالحوار إلى تخفيف شدة متجه الاجتماع لأنصاف الرعية، فلم يرعو أحد من الحاضرين فيميل نحو حلٍّ فيه تراض أو تناصف في المبحوث المتنازع فيه بين الرعية – الجور والتعسف- والفرقاء المتحدين.

فما الذي يأمل بعد ذلك في سير الأحداث ومتجهها؟ فالنهاية المحتومة قررها الخليفة على نفسه وعلى رهطه فيما بعد، فمهد بذلك أن يكون كراهية بني أمية سمة للمسلمين كافة، وعلى وفق ذلك تُقرأ مآلات الأحداث والظواهر التي تكتنف المجتمع الآسلامي حتى سقوط الدولة الأموية عام «١٣٢هـ»، وما يؤول إليه أمر الرسالة والأمة، من إبعاد لدورها، وتفكك الأمة وما ظهر في الفضاء الآسلامي من تناحر وحروب مزقت وحدة الأمة فتداعت عليها الأمم، كـ«تداعى الأكلة على قصعتها»[(١)]، وهو نبوءة سابقة للرسول الأعظم ﷺ حدث بها صحابته، وهم شهود وفاعلين في الحالتين السماع منه ﷺ، وفي تجسماتها في الواقع.

نموذج من كتب الأمصار إلى الخليفة

وهنا نورد قسماً من هذه الكتب ليتّضح موقف أهل الأمصار من الولاة وعدم

---

[١]- قال النبي لصحابته (ص): ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)).

ميزان الاعتدال، الذهبي : ٢/ ٢٩٥، ح ٣٧٩٢.



عدائهم للخليفة، ولم يكن في دواخلهم خروج عن الطاعة أو خلع لولاية الخليفة.

كتاب أهل الكوفة

اجتمع نفر من أهل الكوفة منهم: يزيد بن قيس الأرحبي، ومالك بن حبيب اليربوعي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وزياد ابن حفيظة التميمي، وعبد الله بن الطفيل البكائي، وزياد بن النضر الحارثي، وكرام ابن الحضرمي المالكي، ومعقل بن قيس الرياحي، وزيد بن حصن السُنبسي، وسليمان بن صُرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، ورجال كثير من قرى أهل الكوفة ورؤساؤهم، فكتبوا إلى عثمان:

> (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملأ المسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد: فإنّنا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة، وقد خشينا أنْ تكون خلقت لها فتنة، وأنّ لك ناصراً ظالماً – أي الولاة– وناقماً – عامّة المسلمين– عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك.
>
> يا عثمان، فاتقِ الله والزم سنّة الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا، وقَسْمَ فيئنا بين أشرارنا، والاستبدال عنّا واتخاذك بطانة من الطلقاء وابناء الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما في كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله وجانبت الشرّ وأهله، وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منّا، وكان القريب

والبعيد عندك في الحق سواء.

فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحقّ، فإنْ تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحقّ أنصاراً وأعواناً، وإلاّ فلا تلوم نفسك، فإنّنا لن نصالحك على البدعة وترك السنّة، ولن نجد عند الله عذراً أنْ تركنا أمره لطاعتك، ولنْ نعصي الله فيما يرضيك، هو أعزّ في أنفسنا وأجلّ من ذلك. نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً، ونستعينه وكفى بالله ظهيراً، راجع الله بك إلى طاعته، يعصمك بتقواه من معصيته، والسلام[١].

كتاب كعب بن عبيدة النهدي إلى الخليفة

وكان كعب من المتعبّدين، ولمّا بلغه اجتماع القوم وإرسالهم كتاباً إلى الخليفة، قال:

«والله لأكتبنَّ إلى عثمان كتاباً باسمي واسم أبي – وكعب هذا، كان أبو بكر أرسله إلى بني نهد في عند ردّتهم فأسلم منهم جماعة– بلغ من عنده ما بلغ! ثم كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيدة.

أمّا بعد فإنّي نذير لك من فتنة، متخوّف عليك فراق هذه الأمّة، وذلك أنّك قد نفيت خيارهم، وولّيت أشرارهم، وقسمت فيأهم في عدوّهم، واستأثرت بفضلهم، ومزقت كتابهم، وحميت قطر السماء ونبت الأرض، وحملت بني أبيك على رقاب الناس حتّى قد أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم، ولعمري لئن فعلت ذلك فإنّك تعلم

---

[١]- الفتوح :٢/ ٣٩٠.



أنّك إذا فعلت ذلك وتكرّمت فإنّما من فيئنا وبلادنا، والله حسيبك يحكم بيننا وبينك، وإنْ أنت أبيت ولم تفعل، فإنّنا نستعين الله ونستجيره من ظلمك لنا بكرة وعشياً، والسلام[1].

رسول أهل الكوفة والخليفة

أرسل الكوفيّون وكعب بن عبيدة كتبهم مع العنزي، فقدم المدينة ودخل على الخليفة وسلّم عليه ثمّ ناوله الكتاب الأوّل - وعنده نفر من أهل المدينة- فلمّا قرأه عثمان ارتدّ لونه وتغيّر وجهه، ثمّ قال:

«من كتب إليَّ هذا الكتاب؟

فقال العنزي: كتبه إليك ناس من صلحاء أهل الكوفة وقرائها وأهل الدين والفضل.

قال عثمان: كذبت إنّما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد، فأخبرني من هم؟

فقال العنزي: ما أنا بفاعل، فقال عثمان: إذن والله أوجع جنبك وأطيل حبسك.

فقال العنزي: والله، لقد جئتك وأنا أعلم أنّي لا أسلم منك.

فقال عثمان: جرّدوه!

فقال العنزي: وهذا كتاب آخر فاقرأه قبل أنْ تجرّدني، فقال عثمان: آتِ به، فناوله إيّاه، فلمّا قرأه قال: مَن كعب بن عبيدة هذا؟ قال العنزي: إيه، قد نسب لك نفسه، قال عثمان: فمن أي قبيلة هو؟ قال العنزي: ما أنا مخبرك عنه إلاّ ما أخبرك عن نفسه.

---

[1]- الفتوح :٢/ ٣٩١.

فأمر عثمان بالعنزي فجرّدوه من ثيابه ليضرب.
فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لماذا يُضرب هذا الرجل؟ إنّما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رسالة حملها، فلم يجب عليه في هذا ضرب، فقال عثمان: أفترى أنْ أحبسه؟ قال: لا، ولا يجب عليه الحبس.
فخلّى سبيله وانصرف إلى الكوفة وأخبرهم بصنع عليّ رضوان الله عليه، فعجب أهل الكوفة من ذلك ودعوا لعليّ بخير وشكروه على فعله[1].

موقف الزبير وطلحة

أقبل طلحة والزبير حتّى دخلا على عثمان، ثمّ تقدّم الزبير إليه وقال:
«يا عثمان، ألم يكن في وصية عمر بن الخطّاب أنْ لا تحمل آل بني معيط على رقاب الناس إنْ وليت هذا الأمر؟ وقال أيضاً: ولِمَ استعملت الوليد بن عقبة على الكوفة، ومعاوية على الشام؟ ثمَّ قال للخليفة: لماذا تشتم أصحاب محمّد ﷺ ولست بخيرهم؟ وما لك ولابن مسعود هجرت قراءته وأمرت بدوس بطنه؟ وعمّار أمرت بضربه حتّى أصابه الفتق؟ وما لك ولأبي ذر حبيب رسول الله ﷺ سيّرته حتّى مات غريباً طريداً؟
ثمَّ قال الزبير: فما لك وللأشتر وأصحابه نفيتهم إلى الشام وفرّقت بينهم؟
وكان الخليفة يردّ ويُعلّل ذلك بعلل وأسباب لا تنهض بأن يُفعل بأصحاب

---

[1]- الفتوح: ٢/ ٣٩٢.

الرسولﷺ- وخصوصاً الأخيار منهم هكذا، وليس للخليفة أنْ يولّي هؤلاء ويسلّطهم على رقاب المسلمين وقد أفسدوا وأحدثوا، فضلاً عمّا ورد في بعضهم عن الرسولﷺ- من إهدار الدم واللعن.

ثمّ تكلّم طلحة بن عبيد الله فقال:

«يا عثمان، إنّ الناس قد سفّهوك وكرهوك لهذه البدع والأحداث التي أحدثتها ولم يكونوا يعهدونها، فإنْ تستقم فهو خير لك، وإنْ أبيت لم يكن أحد أضرّ بذلك في الدنيا والآخرة منك.

فغضب عثمان ثمّ قال: ما تَدعُوني ولا تَدعُون عتبي، ما أحدثت حدثاً ولكنّكم تفسدون عليَّ الناس، هلمّ يا ابن الحضرميّة (أم طلحة) ما هذه الأحداث التي أحدثت؟ فقال طلحة: إنّه قد كلّمك عليّ من قبلي، فهلاّ سألته عن هذه الأحوال التي أحدثت فيجيبك بها، ثمّ قام طلحة فخرج من عند عثمان.

وقد كان الامام عليعليه السلام قال للخليفة: يا عثمان، إنّ الحقّ ثقيل مرٌّ وإنّ الباطل خفيف، وأنت رجل إذا صُدقت رضيت وإذا كذبت سخطت، وقد بلغ الناس عنك أمور تركها خير لك من الإقامة عليها، فاتّقِ الله يا عثمان وتب إليه ممّا يكرهه الناس منك[1].

الوفد المصري في المدينة

وتزامناً مع طرد سعيد بن العاص من الكوفة، كان قد توجّه من مصر جماعة من الوجهاء إلى المدينة يشتكون عاملهم، ودخلوا المسجد النبوّي فرأوا عدّة من المهاجرين

---

[1]- الفتوح: ٥/ ٣٩٣-٣٩٥.

والأنصار، وسألوهم عن الأمر الذي دعاهم للحضور، فقالوا: لقد جئنا استنكاراً لبعض الأعمال التي صدرت عن عاملنا.

وصية الامام علي عليه السلام للوفد المصري

(لا تتعجلوا في أمركم، واخبروا الامام بما تريدون مشافهة وقولوا: إنّ العامل - عبد الله بن أبي سرح- كان يفعل ما يشاء، بحسب رأيه وليس حسب أوامر الخليفة، واخبروه بكلّ الأمور التي تنكروها عليه. ثمّ هو - الخليفة- يعاتبه ويستدعيه فيحصل مطلوبكم. أمّا إذا لم ينكر عليه وتركه في مكانه، حينئذٍ تأمّلوا في وجه المصلحة وما يجب أن تفعلوه).

والتمسوه أنْ يكون شاهداً، فقال لهم:

إنّ هناك شاهداً أقوى منّي سيكون معكم، وهو الله جلّ جلاله، فاذهبوا ودعوني[1].

وفي (تاريخ الطبري) عن سيف وغيره أن أهل مصر خرجوا بزعم ودعوى الحجّ، وكاتبوا سواهم مَن كان في الأمصار الأخرى حول إساءات ولاة عثمان[2]، وفي (البداية والنهاية)[3] إنّ عثمان طلب من الامام عليّ عليه السلام وبعض الصحابة أنْ يذهبوا إلى المصريّين ويردّوهم ويضمنوا لهم أنّ الخليفة سيلبّي طلباتهم... إلى غير ذلك من

---

[1] - الفتوح :٥/ ٤٠٤.

[2] - تاريخ الطبري: ٣/٣٧٨، وما بعدها، طبعة الأعلمي(٨) مجلدات.

[3] - البداية والنهاية: ٧/ ١٧٧- ١٧٨.

الروايات.

وربّما من خلال سياق الأحداث والمنقول التاريخي يستظهر أرجحيّة ما رواه ابن أعثم، وإنّ وفد المصريين جاء مطالباً بحقوق مشروعة، خصوصاً إذا ما يلاحظ المتابع مجريات الأحداث في الكوفة، وموقف الخليفة من أبي ذر وابن مسعود والمنفيين من الكوفة وغيرهم من الأخيار والصحابة والقرّاء.

وإنّ الخليفة أرسل إلى الامام عليّ عليه السلام وطلب منه أنْ يلقى الوفد.

حوار الوفد مع الخليفة

ولخّص المحاورون من الوفد طلباتهم في نقاط بعد أنْ وعظوا الخليفة ودعوه لشكر نعمة الله عليه ووجوب تقوى الله تعالى، وإنّهم جاءوا بسبب الأعمال الغير المرضية التي صدرت من ولاته. والنقاط هي:

١ - إنّك قرّبت الحكم بن العاص وقد نفاه الرسول صلى الله عليه وآله إلى الطائف لاستهزائه بالرسول صلى الله عليه وآله.

٢ - إحراقك لأجزاء من المصحف.

٣ - احتجازك لماء المطر الذي هو رزق الله لعباده وإعطائه لأقربائك، ومنعت الناس منه.

٤ - نفيك لجماعة من الصحابة بغير حقّ من بلدهم وفصلهم عن أهلهم وعشيرتهم، بينما يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[1]

---

[1]- سورة البقرة: ٨٤.

٥ - إنّك تطيع الناس ظاهراً ثمّ تستبد برأيك، بينما حكم الشرع في حقّ من يعصي الله بأنْ لا يطاع، فإنْ أنت أطعت الله تعالى واتبعت أوامره فنحن نطيعك ونتبع أوامرك ونعظّم حرمتك، كما هو الحال بين الولد وأبيه وأمّه. وأمّا إذا رفضت الأفعال الحسنة وتابعت سيرك على هذا النحو فلن نطيعك ولن نُنفذ أوامرك وستكون العاقبة هلاكنا وهلاكك، فاتّقِ الله واعتقد بأنّك عبد وستحاسب على النقير والقطمير، والله مطلّع على أحوال عباده وإليه سيرجعون جميعاً، وبمقدار سلطة الآنسان ومسؤوليّته سيكون سؤاله، بينما سيكون حساب الضعفاء أقل صعوبة[١].

٦ - طلبوا من الخليفة أنْ يقتصَّ من ابن أبي سرح؛ لأنّه قتل رجلاً منهم بدون جرم وجناية، ولم يقرّه الخليفة، وقد أشرنا إلى موقف عائشة من ذلك سابقاً.

موقف الخليفة من هذه الأحداث

١ - أرسل إلى عمّار بعض خواصّه، وطلب منه المصالحة أو أنْ يقتصَّ منه، فأبى عمّار وصاح في وجوه الموفدَين من طرف عثمان: لن يخدعني عثمان، وقد فعل ما فعله بي من الضرب والآهانة. كما عزم الخليفة على نفيه - كما أشرنا سابقاً- لولا موقف الامام عليّ عليه السلام وبني مخزوم.

٢ - أرسل الخليفة إلى عبد الله بن عمر يستشيره في أمر القوم واجتماعهم وما يريدونه من خلع الخليفة.

فقال عبد الله بن عمر: إنْ تطعهم فإنّك تعلم أنّك لست خالداً في الدنيا.

---

[١]- الفتوح: ٢/ ٤٠٥.



قال: أعلم ومهما عشت فلابد أنْ أذهب.

فقال عبد الله: هل الجنّة والنار بيدهم أم لا؟

فقال عثمان: لا[1].

فقال عبد الله بن عمر: فلا أرى أنْ تسنَّ هذه السنّة في الآسلام[2]. احفظ القميص الذي ألبسك الله إيّاه ولا تنزعه!!

الخليفة والامام عليّ عليه السلام

أرسل الخليفة إلى عليّ فدعاه، فلمّا جاءه قال:

يا أبا الحسن، إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، كان مني ما قد علمت، وليست آمنهم على قتلي، فارددهم عنّي، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أنْ أعتبهم – أعطيهم الرضا– من كلّ ما يكرهون، وأنْ أعطيهم الحقّ من نفسي ومن غيري وإنْ كان في ذلك سفك دمي.
فقال له عليّ: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تفِ لهم بشيء، فلا تغرّني هذه المرّة من شيء فإنّي معطيهم عليك الحقّ.
قال عثمان: نعم، فاعطهم، فوالله لأفينّ لهم.
فخرج عليّ إلى الناس، فقال: أيّها الناس، إنّكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه، وإنّ عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه ومن غيره.

---

[1] – الفتوح :٢/ ٤٠٨–٤٠٩.

[2] – الطبقات الكبرى، ابن سعد :٣/ ٦٦.



قال الناس: قد قبلنا، فاستوثق منه لنا[1].

وطلب عثمان من الامام عليّ عليه السلام أنْ يضرب بينه وبينهم أجلاً يكون فيه مهلة؛ لأنّ الخليفة لا يقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد.

فقال له عليّ: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك[2].

فمطالب المسلمين لم تكن وليدة هذه اللحظة وحضورهم المدينة، بل قد سبق ذلك رسائل وكتب ووفود إلى الخليفة والصحابة؛ لذا كان ردّ الامام عليه السلام أنّه من حضر فلا أجل فيه، ومَنْ غاب فأجله وصول أمرك.

وفي (الفتوح) إنّ الامام عليّاً عليه السلام ومعه وجوه القوم وأشرافهم دخلوا على الخليفة وطلبوا منه أنّ يكتب بذلك كتاباً.

فقال عثمان:

اكتبوا ما أحببتم وادخلوا في هذا الضمان من أردتم، فكتبوا:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله عثمان بن عفّان أمير المؤمنين لجميع من نقم عليه من أهل البصرة والكوفة وأهل مصر، أنّ لكم عليّ أنْ أعمل فيكم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأنّ المحروم يعطى والخائف يؤمن والمنفي يردّ، وأنّ المال يردّ على أهل الحقوق، وأنْ يُعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أهل مصر ويولّى عليهم من يرضون).

فقال أهل مصر: نريد أنْ تولي علينا محمّد بن أبي بكر، فقال

---

[1] - الطبري: ٥/ ٣٨١-٣٨٢.

[2] - تاريخ الطبري: ٥/ ٣٨٢.

عثمان: لكم ذلك، ثمَّ أثبتوا في الكتاب: «وأنَّ عليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين بالوفاء لهم بما في هذا الكتاب، شَهِدَ على ذلك الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل ابن حنيف، وأبو أيوب خالد بن زيد. وكتب في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين»[١].

تولية محمّد بن أبي بكر

وولّى عثمان محمّد بن أبي بكر بدلاً من عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وخرج الوفد إلى مصر ومعهم كتاب الخليفة، وأميرهم معهم، حتّى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة أيّام من المدينة، وإذا هم بغلام أسود على بعير له يخبط خبطاً عنيفاً فقالوا:

«يا هذا، أربع قليلاً، ما شأنك؟ كأنّك هارب أو طالب، من أنت؟

قال: أنا غلام أمير المؤمنين وجّهني إلى عامل مصر، فقال له رجل منهم: يا هذا، فإنّ عامل مصر معنا، فقال: ليس هذا الذي أريد، فقال لهم محمّد بن أبي بكر: أنزلوه عن البعير، فحطّوه، فقال له محمّد: أصدقني، غلام من أنت؟ قال: أنا غلام أمير المؤمنين –وفي رواية يقول: مرّة أنا غلام أمير المؤمنين، ومرّة غلام مروان[٢]–، قال: فإلى من أُرسلت؟ قال: إلى عبد الله بن سعد عامل مصر، قال: وبماذا أرسلت؟ قال: برسالة قال محمّد بن أبي بكر: أفمعك كتاب؟ قال: لا.

ففتّشوا رحله ومتاعه ونزعوا ثيابه حتّى عروه فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت على راحلته إدواة فيها ماء فحرّكوها فإذا فيها شيء يقلقل،

---

[١]- الفتوح :٢/ ٤١١.

[٢]- العقد الفريد :٤/ ٢٨٨.

فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فقال كنانة بن بشر التجيبي: والله، إنّ نفسي لتحدّثني أنّ في هذه الإدواة كتاباً، فقال أصحابه: ويحك، ويكون كتاب في الماء؟

قال: إنّ الناس لهم حيل، فشقّوا الإدواة فإذا فيها قارورة مختومة بشمع، وفي جوف القارورة كتاب، فكسروا القارورة وأخرجوا الكتاب فقرأه محمّد بن أبي بكر»[١].

نصّ كتاب الخليفة إلى والي مصر

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان بن عفّان أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد.

أمّا بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد بن ورقاء فاضرب عنقه صبراً. وأمّا علقمة بن عديس البلوي وكنانة بن بشر التجيبي وعروة بن سهم الليثي فاقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ودعهم يتشحطون في دمائهم حتّى يموتوا، فإذا ماتوا فاصلبهم على جذوع النخل. وأمّا محمّد بن أبي بكر فلا يُقبل منه كتابه، وشدّ يدك به واحتل في قتله، وقرّ على عملك حتّى يأتيك أمري إنْ شاء الله تعالى)[٢].

أصحاب النبيّ ﷺ والكتاب

ولمّا قدم محمّد ومن معه إلى المدينة جمع أصحاب النبيّ - ﷺ - وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصّته، فلم يبقَ بالمدينة أحد إلاّ حنق على عثمان، واشتدّ حنق بني

---

[١] - تاريخ الطبري :٥/ ٣٨٣.الفتوح :٢/ ٤١١.

[٢] - الفتوح :٢/ ٤١٢.

هذيل خاصّة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل عمّار بن ياسر، وكذا غفار لأجل أبي ذر رضوان الله عليه.

ثمّ ذهب القوم إلى الخليفة فقالوا:

(ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من إحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟

قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون! قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه ختمك، قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ، وأمّا الخاتم فانتقش عليه.

قالوا: لا نعجل عليك، وإنْ كنّا قد اتهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أراني إذن في شيء إنْ كنت أستعمل من هويتهم وأعزل من كرهتم، الأمر إذن أمركم!

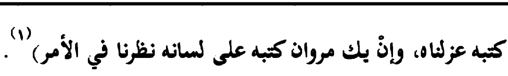
قالوا: والله لتفعلنَّ أو لتُعزلَنَّ أو لتُقتَلنَّ، فانظر لنفسك أو دع، فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله. فحصروه أربعين ليلة)[1].

ثمَّ إنَّ الناس:

(سألوا عثمان أنْ يدفع لهم مروان، فأبى، قالوا: لا نبرئ عثمان إلاّ أنْ يدفع لنا مروان حتّى نمتحنه ونعرف أمر الكتاب، فإنْ يك عثمان

---

[1]- تاريخ الطبري :٥/ ٣٨٣.



كتبه عزلناه، وإنْ يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في الأمر)[١].

الخليفة يطلب النصرة

ولمّا أحسَّ الخليفة أنّ الناس ليسوا بتاركيه أو يخلع نفسه أو يسلّم مروان ويعزل ولاته، أرسل إلى عمّاله يستحثّهم على القدوم إلى المدينة ومناصرته وتخليصه ممّا هو فيه من الحصار، وتآزر المهاجرون والأنصار والمسلمون من مختلف الأمصار ضدّه، فكتب إلى ولاته نسخة واحدة.



١- العقد الفريد :٤/ ٢٨٩.



نصّ كتاب الخليفة إلى ولاته

بسم الله الرحمن الرحيم

«أمّا بعد: فإنّ أهل البغي والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بداري، ولم يرضهم شيء دون قتلي أو خلعي سربالاً سربلنيه ربّي، ألا وأنّي ملاقٍ ربّي، فأعنّي برجال ذوي نجدة ورأي، فلعلّ ربّي يدفع بهم عنّي بغي هؤلاء الظالمين الباغين عليّ والسلام»[1].

موقف ولاة الخليفة

ولمّا بلغ كتاب الخليفة إلى ولاته كانت مواقفهم متفاوتة في الجدّ تجاه إنقاذ الخليفة ونصرته، واختلفت المرويّات وتباينت في هذا الاتجاه.

معاوية بن أبي سفيان

جاء معاويةَ بكتاب الخليفة المسوّر بن مخرمة، فقرأه ثمّ قال: يا معاوية، إنّ عثمان مقتول فانظر فيما كتبت به إليه، فقال معاوية:

(يا مسور، إنّي مصرح أنّ عثمان بدأ فعمل بما يحبّ الله ويرضاه، ثمّ غيّر فغيّر الله عليه، أفيتهيأ لي أنْ أرد ما غيّر الله عزّ وجلّ)[2].

---

[1]- الفتوح :٢/ ٤١٦.

[2]- الفتوح :٢/ ٤١٧.

إنّ معاوية لّما أتاه كتاب عثمان تربّص به، فأرسل عثمان إلى يزيد بن أسد ابن كزر البجلي وبأهل الشام يستغيث بهم، فاستنفر الناس وندبهم، ولّما وصلوا إلى وادي القرى جاءهم خبر مقتل عثمان فرجعوا[1].

وأمّا عبد الله بن عامر والي البصرة فإنّه لّما أتاه كتاب عثمان قرأه على أهل البصرة واستحثّهم لنجدته، ولكنّ لم يجبه أحد. وروي غير ذلك.

عمرو بن العاص والخليفة

دخل عمرو بن العاص على عثمان مسلّماً، فقال له عثمان: يا بن العاص، وأنت أيضاً ممّن تولّيت على الناس فيما بلغني، وتسعى في الساعين عليّ حتّى قد أضرمتها وأسعرتها، ثمّ تدخل مسلماً عليّ!!
فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنّه لا خير لي في جوارك بعد هذا، ثمّ خرج من ساعته حتّى نزل بأرض فلسطين[2]، وكان يقول: كنت أحرّض على الخليفةِ الراعيَ في غنمه والمارّ. وكان والياً على مصر وعزله عثمان وولّى مكانه عبد الله بن أبي سرح.

موقف الامام علي عليه السلام

كان للامام عليه السلام دور بارز في الأحداث، خصوصاً عندما قدمت وفود الأمصار، وما كان من إحداثات أحدثها الخليفة وولاته؛ فكان الوسيط ومتكلّم القوم وناقل مطالبهم للخليفة، وضمين الخليفة أنْ ينصف القوم ويفي لهم بما نقموا عليه. وقد دخل

---

[1]- تاريخ الطبري : ٤٠٢/٣، طبع دار الأعلمي ((٨ مجلدات)).

[2]- الفتوح :٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨.

الامام عليه السلام مرّة على الخليفة وقال له:

(إنّ الناس ورائي، وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلّك على شيء لا تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم. ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه، وقد رأيت ورأينا، وصحبت رسول الله - صلى الله عليه وآله - كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب أولى بعمل الحقّ منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فإنّك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإنّ الطريق لواضحة، وإنّ أعلام الدين لقائمة، وإنّ السنن لنيّرة لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام.

وإنّ شرّ الناس عند الله امام جائر ضَلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول:

«يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، يلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرحى، ثمّ يربط في قعرها». وإنّي أنشدك الله أنْ لا تكون امام هذه الأمّة المقتول، فإنّه كان يقال: يُقتل في هذه الأمّة امام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبثّ الفتن فيها فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، فلا تكوننّ لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضي العمر)[1].

وكان الامام عليّ عليه السلام قد استأذن عثمان في الخروج من المدينة إلى (ينبع) فأذن له.

---

[1] - نهج البلاغة، محمّد عبده: ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

ثمَّ أرسل إليه عثمان أنْ يعود إلى المدينة، فعاد الامام ﷺ، ثمّ أرسل إليه ابن عبّاس أنْ يخرج من المدينة فقال الامام ﷺ لابن عبّاس:

«يا بن عبّاس، ما يريد عثمان إلاّ أنْ يجعلني جملاً ناضحاً بالقُرَب، أُقبل وأُدبر، بعث إليّ أنْ اخرج، ثمّ بعث إليّ أنْ اقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أنْ اخرج، والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أنْ أكون آثماً»[1].

ويقول الامام ﷺ في أماكن أخرى موضّحاً موقفه إزاء عثمان والأحداث:

«وكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه»[2].

وفي مكان آخر يقول ﷺ:

«فإنْ كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملوم لا ذنب له»[3].

ثم يقول ﷺ:

«لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً... وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الإثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع»[4].

وقد صوّر الامام ﷺ الواقع والظروف الموضوعيّة التي كانت سائدة قبل مقتل

---

[1] - نهج البلاغة :١/ ٤٦٧.

[2] - نهج البلاغة:٢/ ٢.

[3] - نهج البلاغة:٢/ ٣٤.

[4] - نهج البلاغة :١/ ٧٦.

الخليفة، بقوله عليه السلام:

واضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً أو غنيّاً بدّلَ نعمة الله كفراً.

وعندما منع طلحة - أثناء حصار عثمان- وسواه من وصول الماء إلى الخليفة، كان الامام عليه السلام قد أرسل ثلاث قُرَب، وأرسل الحسن والحسين، عليهما السلام يدافعان عن الخليفة[1]. وقد اشتّد حصار المسلمين على عثمان، وهو لا يعطي من نفسه شيئاً، ممّا اضطرّ المحاصرون إلى تسوّر داره وقتله.

واختلفت الروايات فيمن باشر قتله، وفي أيّام معاوية والأمويّين، كان كلّ معارض يقع في أيديهم يتهمونه بقتل الخليفة أو المشاركة في قتله.

وبقي الخليفة ثلاثة أيّام لم يُدفن، ومنعوهم أنّ يدفنوه في البقيع، ودفن في (حش كوكب) ويقال: إنّها مقبرة لليهود، وقد دفن ليلاً وقد قُتل لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين[2].

---

[1]- تاريخ الطبري : ٤١٧/٣، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، روى أن الامام (ع) جاء بنفسه ليوصل إليه الماء.وانظر : غيره من التواريخ، أحداث عام ٣٥هـ

[2]- تاريخ الطبري :٥/ ٤٣٢ و٤٣٥، الفتوح :٤٣٦/٢.



الفصل الثالث



بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

«لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَة، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ، وَلأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً».

الامام علي عليه السلام.

مفاهيم

الخلافة:

لغة: خلف فلان خلافاً إذا كان خليفته . يقال: خلفه في قومه . وفي التنـزيل العزيز: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي﴾[1] ، واستخلفه جعله خليفة.

والخليفة الذي يُستخلف من سابقه..

والخلافة: الآمارة. ويستدل الزجاج بقوله تعالى: ﴿يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض﴾[2] على جواز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه[3].

ويرى الماوردي: هي موضوع خلافة النبي ﷺ في أمور الدين والدنيا.

أما ابن خلدون فيقول هي: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا[4].

---

[1] – الأعراف: ١٤٢.

[2] – سورة ص: ٢٦

[3] – لسان العرب، ابن منظور : ٤/١٨٢-١٨٣.

[4] – مقدمة ابن خلدون: ١٦٦.

وإن الخلافة هي: المؤسسة السياسية التي «أسست ونمت في الظروف الاجتماعية والسياسية- القبلية - التي وجدت فيها»[١].

و يجد القارئ للتاريخ الآسلامي أنَّ اعتراضاً سجله الامام علي عليه السلام لما أرادوا إكراهه على بيعة أبي بكر؛ حين قال له عمر: بايع أو ادخل فيما دخل فيه الناس؛ فقال الامام عليه السلام: أنتم أحق بالبيعة لي، وأنا أحق منكم بهذا الأمر[٢].

فكانت الخلافة وفقاً لذلك بادرة اجتهادية من قبل بعض الصحابة؛ فلم يرد نص قرآني ولا مؤيد من السنة الشريفة على استخلاف أي من الخلفاء الثلاثة - أبي بكر وعمر وعثمان- فضلاً عن عدم احتجاج أي منهم بما ورد في حقه ليُعول عليه في أحقيته بالخلافة؛ لا في السقيفة، ولا فيما بعد أي في الشورى[٣].

إن الحديث عن بيعة الامام علي عليه السلام يستدعي البحث عن الكيفية التي تمت بها البيعة، وكيفية انتقال الخلافة إليه، ومن ثم التعرف على الأسباب التي أدت إلى أن تؤول الخلافة إليه دون سواه، ولم يزل من جيل الصحابة الأول بقية؟ وإن ثَمَّة تساؤلاً يثار عن الأسباب التي أدت إلى مقتل الخليفة الثالث؟ وبعيده، يقال:أيضاً ما هو موقف الصحابة وأهل المدينة من الخليفة المقتول؟ إلى استفهامات كثيرة متجه أو غير إتجاهية في الوقت ذاته.

---

[١]- نظام الحكم في الاسلام، د. محمد النبهان : ٤٢٩.

[٢]- انظر: الامامة والسياسة: ١/٢٩.

[٣]- يراجع : تاريخ الطبري: ٤٤٥/٢ «السقيفة»، وما بعدها و ٢٩٢/٣، وما بعدها «قصة الشورى».



وقد اختلف السلف من أهل السير والأخبار في كيفية بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً: أن يتقلد لهم وللمسلمين، فأبى عليهم، فلما أبَوا وطلبوا إليه تقلد ذلك لهم[1].

وفي رواية ابن أعثم، إنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج إلى السوق وكان ذلك لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة فاتبعه الناس حتى إذا دخل في حائط - بستان- وأمر أن تغلق الباب؛ فدخل عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون وألحوا عليه بقبول البيعة، فبايعه طلحة ومن ثم الزبير بن العوام، ثم بايعه الناس[2]؛ فكانت بيعة الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام في ١٨ / ذي الحجة / من عام ٣٥ هـ وتكون بيعته وفقاً لرواية في تاريخ الطبري في نفس اليوم الذي قتل فيه عثمان[3]. وهو الأرجح والأشهر وله مدعمات وقرائن مروية بطرق متعددة[4]، فعن ابن عباس أنه شهد مقتل الخليفة بعدما أدى مناسك الحج وعاد إلى المدينة بعد خمسة أيام. وكذا أن عبد الرحمن بن عديس[5] قد أنهى حجه وعاد إلى المدينة بعد إن أدى مناسك الحج.

---

[1]- تاريخ الطبري: ٣/٤٥٠.

[2]- الفتوح :٢/٣٨١.

[3]- تاريخ الطبري : ٣/٤٢٢.

[4]- الفتوح، ابن أعثم الكوفي:٢/٣٨٢، تاريخ الطبري :٣/٤٢٣، وما بعدها.

[5]- عبد الرحمن بن عديس صحابي، وممن بايع تحت الشجرة، وهو الأرجح وفقاً للقرائن والمقارنة بين النصوص في المصادر الثلاثة، وغيرها من المصادر، انظر: كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك، وفاته

وتمت بيعة الامام عليه السلام بُعيد مقتل عثمان بن عفان. قد عم الاستياء وكراهة سلوك ولاة عثمان، لما كان منهم من مواقف تجاه العامة والخاصة. ولما أحدثوا من أمور تنافي مبادئ الآسلام، وإن الخليفة لم يتخذ موقفاً حازماً تجاه ما جرى ويجري باسمه، ولم يأخذ بنظر الاعتبار ما عم المسلمين في الأمصار من ولاته، ولم يكن الموقف الأخير من قبل وفود الأمصار وأهل المدينة غير متوقع حيث آل الأمر إلى مقتل الخليفة، بل الأحداث السابقة والممتدة لفترة ليست بالقصيرة كانت تُنبئ بما حصل، والمتابع لتأريخ هذه الفترة الزمنية يجد أن موقف الأمصار و أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله من مهاجرين و أنصار تجاه خلافة ثالث الخلفاء قد اتخذ مراحل هي:

التنبيه والشكاية أما مباشرة أو برسالة ترسل إلى الخليفة، ينقلها إليه أحد صحابة الرسول صلى الله عليه وآله.

مراجعة كبار الصحابة للخليفة حول ما أحدثه ولاته، وحول موقفه المتأني منهم.

رفض عام للولاة الأمويين من قبل المسلمين عامة والصحابة خاصة.

طرد بعض الولاة لعدم اتخاذ الخليفة منهم موقفاً واضحاً كما في الموقف من سعيد بن العاص والي الكوفة.

إرسال الأمصار وفود إلى الخليفة، حتى روي إنه بلغ تعداد بعض الوفود أربعمائة

عام ٢٧٨هـ المكتب الاسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ المصنف، ابن أبي شيبة، دار الفكر، ط١، ١٤٠٩هـ : ٤٩٢/٧. أبو الشموس عبد الرحمن ابن عديس البلوي؛ ولم تزد المصادر على ذكر اسمه واسم أبيه ولقبه. انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد : ٧ /٥٠٩.الجرح والتعديل الرازي وفاته عام(٣٢٧) دار إحياء التراث، الطبعة الأولى: ١٣٧٢: ٥/٢٤٨

شخصاً وأخرى بلغ الألف، وليس للخليفة موقف تجاه ما يجري.

وكان أخر مطلب أجمع وأجتمع عليه أصحاب الرسولﷺ والمسلمون في الأمصار، الاقتصاص من عبد الله بن أبي سرح، وتسليم مروان بن الحكم.

فكانت تلك الخطوات التي اتبعها المسلمون من الأمصار المختلفة وكذا المهاجرون والأنصار. ولكن الموقف السلبي من قبل الولاة تجاه المسلمين وتعسفهم وجورهم وعدم حزم الخليفة تجاه هذه الأمور أدى أخيراً إلى ثورة كان مقتل الخليفة إحدى نتائجها الأولى.

الامام علي ﷺ استشراف المستقبل

كان للامام علي ﷺ موقف خاص تجاه الخلافة والبيعة، وبه تفسر كثير من الشكالات التي تثار في هذا المنحى؛ لذا نجده لم يبادر إلى قبول ما دعاه إليه - تولي الأمر بلا شرط - الصحابة والمسلمون الذين اجتمعوا من مختلف الأمصار الآسلامية؛ والذين توجهوا إليه بعد مقتل عثمان واضطراب الوضع في المدينة. وكان الامامعلي ﷺ يستشرف مستقبل الناس إزاء الأحداث والظواهر التي ستكتنف المجتمع الآسلامي، ويرى أن الأمور التي ستتوالى، أمور ليس من السهل التفاعل معها والانتهاء إلى قول فصل فيها، لان العقول والنفوس دون أن تكون بمستواها ولا يطيقها إلا الذي مُلئ إيماناً إلى مشاشه[1]، أو إلا الذي سمع أن عماراً مائز حق وتقتله الفئة الباغية، ولا يطاوع الشرعية حتى يرى عماراً قد خضب بدم الشهادة؛ فيستل سيفه آنئذ ويصطف إلى جنب علي بن أبي طالب ﷺ، ويكون الزمن دار دورته. فهي إذن تحتاج

---

[1] - قال الرسول الأعظم (ص):«عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه»، و عن عائشة «إن عمار ابن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحة أذنه إيماناً»، المصنف، ابن أبي شيبة: ٥٢٢، البداية و النهاية، ابن كثير: ٧/ ٣٤٥، على التوالي.



إلى طاعة وانقياد، وإنَّ الرأي والاجتهاد واللجاجة تـؤدي قطعـاً إلى الفرقـة والتشـرذم والتكتل النفعي، هكذا كان الموروث الذي تجذر خلال حكم الخليفة الثالث. وما تنبأ به علي كان واقعاً حياً يوم شَد المصحف المرفوع الناس إليه، فبُني مستقبل الأمة والآسـلام على الرأي والقياس الذي عمل به الحكمان وجعلا المصحف خلف ظهريهما.



خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

ولما تولى أمير المؤمنين عليه السلام زمام الأمور بعد أن تمت له البيعة بأغلبية المهاجرين والأنصار بدريين وعقبيين تهيأ للذهاب إلى الكوفة[١] معداً العدة لبناء قاعدة ومركز ينطلق منه للخارجين عليه (القاسطين)[٢]، ومن امتنع عن الالتحاق بالجماعة ويعمل على شقها.ولما يخرج بعد من المدينة أتته رسائل من أخيار أهل مكة والمدينة، تنبهه إلى خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة طالبين بدم عثمان الذي ما جرأ الناس عليه إلا هم، كما ثبت ذلك من حوارات الأحنف بن قيس، وعمرو بن سعيد مع عائشة ومروان وهم في الطريق إلى البصرة، فحين سأل سعيد مروان عن مقصده فقال: للطلب بدم عثمان، فقال سعيد: هؤلاء قتلته على أعجاز الآبل مشيراً إلى قادة حرب الجمل، فضلاً عما دار من نقاشات أخرى مع شخصيات بصرية أو من الصحابة مع طلحة والزبير، وأم المؤمنين عائشة، فضلاً عما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كتبه ورسائله

---

[١]- الامامة والسياسة، ١/٥٣.وفيه، أتاه كتاب أخيه عقيل، وفي المصادر الأخرى، أتته رسالة من أم سلمة، وأخرى من أم الفضل- زوج العباس بن عبد المطلب- انظر الأخبار الطوال. فيما يتعلق بهذا المطلب «وقعة الجمل"» أيضاً .

[٢]- معاوية ومن معه، فقد أطلق عليهم النبي (ص) هذا الاصطلاح.

وحواراته من اتهام أصحاب الجمل بقتل الخليفة[1].

ولابد من التنبيه إلى موقف الامام عليه السلام من المبايعين والبيعة: لما هرع المسلمون إليه، وإزدحموا عليه وبسطوا يده فقبضها وسحبوها فأمسكها؛قال لهم: إن أجبتكم حملتكم على ما أعلم؛فإنا مستقبلون أمراً لا تحمله العقول ولا تقوم له القلوب، أي أن الامام عليه السلام أدرك ما سيواجه من أحداث يصعب على غير الواعي لمبادئ الرسالة النهوض والثبات أن يتحملها، وأن يجد في دخيلته المبرر الشرعي لقتال زوج الرسول (عائشة) وصاحب السيف الذي طالما أجلى الكرب عن وجه الرسول صلى الله عليه وآله، أو من قطع إصبعه في معركة كان النصر فيها للرسالة الآسلامية.

لذا كان الامام عليه السلام يرسم لهم منهجه وطريقته في التعامل مع أحداث سيلدها ظرفها لا يعلمها إلا قليل، ولا يتجاوزها مفلحاً إلا قليل: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُم﴾[2].

وفعلاً كان ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، والذي كان يرى أن[عدم قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين؛ كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله].وإن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي قال له:تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل.وهو أيضاً الذي أمره وبعض أصحابه على قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وقد جاء ذلك في حديث عمار بن ياسر، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، وحديث علي نفسه.ومن المدعمات الروائية، والنقلية، عن الرسول صلى الله عليه وآله: روى ابن عباس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: (ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأريب تسير حتى تنبحها كلاب

---

[1]- تاريخ الطبري : أحداث عام «٣٦ هـ»، «وقعة الجمل».

[2]- سورة ص الآية: ٢٤.

الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير»[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال أمرنـا رسـول الله ﷺ بقتـال النـاكثين والقاسـطين والمارقين فقلت يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر، ونقل بألفاظ مختلفة وطرق متعددة.وعن أبي سعيد الخدري به وقد روى مسلم في صحيحه من حديث داود بن أبي هند والقاسم بن الفضل وقتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله: تمرق مارقة عنـد فرقـة المسـلمين يقتلـها أولى الطائفتين بالحق[2].

---

[1] - علل بن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهـران الـرازي أبـو محمـد، وفـاة المؤلف ٣٢٧، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥: ٢/٤٢٦، البداية والنهاية، ابـن كثير:٦/٢١٨.

[2] - البداية والنهاية : ٦/٢١٦.

عمار والشرعية

حوارات

«أمر فيه السيف لا أعرفه».

عبد الله بن عمر

أتى عمار بن ياسر أمير المؤمنين ﷺ بعدما تمت البيعة له يستأذنه الذهاب إلى عبد الله بن عمر، فإن عبد الله ممن تخلف عن البيعة فلم يمانعه الامام ﷺ وأذن له بلقائه، وكان عمار يطمع فيه أن يخف معهم لقتال الناكثين والخارجين على الشرعية، فقد عُرف عن ابن عمر قوله «يرى أن لا يبيت إلا وفي عنقه بيعة»، وعليه أحتج بهذا معاوية يوم طلب من عبد الله بن عمر أن يبايع ليزيد ابنه، إلا أن ذلك غاب عن ذهن عبد الله في يوم علي وذكره «لورعه» فذهب لمبايعة الحجاج، وابن عمر يرى علياً أحق أهل الشورى بالخلافة؛ وفي ذلك العجب العجاب.

الحوارية الأولى

عمار بن ياسر: يا أبا عبد الرحمن - يخاطب ابن عمر- إن المهاجرين والأنصار قد بايعوا علياً.وإن فضلناه عليك لم يسخطك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة، وقد علمت أن على القاتل القتل، وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف، وهذا يقتل بالحجارة، وإنّ علياً لم يقتل أحداً من أهل الصلاة ؛فيلزمه حكم القاتل.

فقال ابن عمر:

يا أبا اليقضان، إن أبي جمع أهل الشورى، الذين قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فكان أحقهم بها علي، غير أنه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، ولكن ما أحب أن لي الدنيا وما عليها وأني أظهرت أو أضمرت عداوة عليّ؟

فأنصرف عنه عمار[1].

الدلالة الأولى

لابد للآنسان المسلم من بيعة في عنقه، بهذه بايع ابن عمر الحجاج الثقفي، وهي دالة أخرى على موقف قريش من بيعة على ابن أبي طالب عليه السلام.

الدلالة الثانية

إن أحق أهل الشورى بها علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم إذن لم يبايعه ابن عمر، وفيها دالة؛ إنّ علياً لم يكره أحد على بيعته، فليتأمل فيما نسبه التاريخ على إكراه طلحة والزبير فهما أول من بايع.

الحوارية الثانية

لولا ما في يدي لبايعت علياً

محمد بن مسلمة الأنصاري

محمد بن مسلمة:

مرحباً بك يا أبا اليقضان على فرق ما بيني وبينك، والله لولا ما في

---

[1] - الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري : ١/٥٢.

يدي من رسول الله صلى الله عليه – وآله– وسلم لبايعت علياً، ولو أن الناس كلهم عليه لكنت معه، ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي.

عمار: كيف؟

قال – محمد– قال رسول الله صلى الله عليه – وآله– وسلم إذا رأيت المسلمين يقتتلون أو إذا رأيت أهل الصلاة.

فقال عمار: فإن كان قال لك إذا رأيت المسلمين؛ فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفيهما أبداً، وإن كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك، أنما أنت أحد الشاهدين، فتريد من رسول الله قولاً بعد قوله يوم حجة الوداع: دماؤكم وأموالكم حرام إلا بحدث، فتقول: يا محمد، لا نقاتل المحدثين.

محمد: حسبك يا أبا اليقضان[1].

الدلالة الأولى:

يتضح من مقولة محمد بن مسلمة أن هناك اختلاف في الرأي بين أبي اليقضان الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه، وبين محمد بن مسلمة «على فرق فيما بيني وبينك»، وعمار موالي لعلي وذائب فيه حتى مشاشه.

الدلالة الثانية:

أورد عمار إشكالات على ما رواه بن مسلمة، وفي الأخير نراه لا يدحض روايته، بل ويكذبها ويحاول محمد أن ينهي الحوار، فلم تكن الحرب بين مسلمين ؛فإنهما حسب عمار

---

[1]- الامامة والسياسة :١/ ٥٢.

لا يقتتلان، وبهذا تنافي مع الرواية وإسقاط لها، وعمار أثبت وقوله أرجح لما شهد له الرسول ﷺ وأبويه بالجنة، فلا يصدر منه ما يخل بذلك، وقاتل عمار في النار ولا يدخل المسلم النار، ﴿ومن يقتل مؤمن متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ القرآن العزيز[١].

الحوارية الثالثة

أعطني سيفاً يقول هذا مسلم وهذا كافر.

سعد بن أبي وقاص

إلتقى عمار بن ياسر بسعد بن أبي وقاص، فأظهر - أي سعد - الكلام القبيح[٢] - في نص ابن قتيبة- فأنصرف عنه عمار، وسعد كان قد طلب من أمير المؤمنين عليه السلام سيفاً ناطقاً يميز الكافر عن المسلم حتى يكون إلى جنبه ويقاتل معه الناكثين والقاسطين والمارقين، وتلك حوارية رابعة تتجلى فيها مقولة الرسول ﷺ لعلي - في الصحيح- إن الأمّة ستغدر بك بعدي[٣]. صدق رسول الله ﷺ.

موقف أمير المؤمنين

لم يعبه أمير المؤمنين عليه السلام لموقف المتنعين عن بيعته، وإن أشار عليه بعض أصحابه أن يحضهم باللسان، فإن امتنعوا أدبهم بالحبس؛ فرض وقال عليه السلام:

«بل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه»[٤].

---

[١]- سورة النساء: ٩٣.

[٢]- الامامة والسياسة : ١/٧٣.

[٣]- شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد، ٤ / ١٠٧، فصل فى ذكر المنحرفين عن على.

[٤]- الأخبار الطوال، أبي حنيفة الدينوري : ١٤٣.

تقييم عمار لمعاوية

كان لعمار دور بارز يوم صفين وهو ابن ثلاث وتسعين، وقال مخاطباً الناس محرضاً لهم على قتال القاسطين، معاوية وجنده:

يا أهل الآسلام! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغي على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله، أتى النبي فأسلم، وهو والله فيما يرى راهب غير راغب، وقبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم، ومودة المجرم؟ ألا وإنه معاوية، فالعنوه، لعنه الله، وقاتلوه فإنه ممن يطفئ نور الله، ويظاهر أعداء الله[1].

حوارية الاربعة

ادخلتني في ضيق بعد السعة

ابن عباس لعثمان

إنّ جملة من المنقول التاريخي يؤكد أنّ هناك تجاوزاً وخرقاً لمبادئ الرسالة الآسلامية وتعدي على الأمة، ومن هذه المنقولات ما روي في حوارات مع الخليفة الثالث، وطلبه النصح من بعض الصحابة، فضلاً عما كان يعكسه اجتماع الخليفة بولاته قبل حصاره من آلية لتعامل الولاة مع الأمة وموقف اللين وعدم الاكتراث واللامبالاة من قبل الخليفة.

وهذا ما قاله معاوية للخليفة في هذه الجلسة:

فرقهم – أي الصحابة أو الأعم منهم من المسلمين– عنك فلا يجتمع منهم اثنان

---

[1] – صفين، نصر بن مزاحم: ٢٣٤.مطبعة المدني،القاهرة، ط ١، ١٣٨٢هـ-والطبري ٩/٦.

في مصر واحدٍ، واضرب عليهم البعوث والندب، حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته. وبُعيدها كان قد دار هذا الحوار بين الخليفة وابن عباس:

أمسك عثمان ابن عباس، فقال له عثمان:

يا بن عمي، ويا بن خالتي، فإنّه لم يبلغني عنك في أمري شيء أحبه ولا أكرهه علي ولا لي، وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس، فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا، وقد أحببت أن تعلمني رأيك فيما بيني وبينك فأعتذر، قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين: إنك قد ابتليتني بعد العافية، وادخلتني في الضيق بعد السعة، ووالله إن رأيي لك أن يجل سنك، ويعرف قدرك، وسابقتك، والله لوددت إنك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفتان قبلك، فإن كان شيئا تركاه لما رأيا أنه ليس لهم، علمت أنه ليس لك كما لم يكن لهما، وإن كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذي نيل منك تركته لما تركاه له، ولم يكونا أحق بإكرام أنفسهما منك بإكرام نفسك، قال: فما منعك أن تشير علي بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟ قال: وما علمي أنك تفعل ذلك قبل أن تفعل؟

قال: فهب لي صمتاً حتى ترى رأيي.

قال: فخرج ابن عباس[1].

عمرو بن العاص

كان الرسول ﷺ قد أمره على سرية وجّهها إلى الشام، وكان الرسول أيضاً أرسله إلى والي عمان برسالة، حيث أسلم الأخير وأقرّه الرسول ﷺ على ولايته،

---

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/٤٨ – ٤٩.



وفي زمن عمر تولّى فتوح فلسطين والأردن وولاه عمر إياها بعد موت يزيد بن أبي سفيان، ثم إنَّ عمر جمع بلاد الشام كلها لمعاوية واستدعى عمرو بن العاص إلى المدينة، وكان هو الذي فتح مصر في عهد عمر، فكان الوالي عليها إلى أن عزله عثمان وولّى بدلاً عنه ابن أبي سرح العامري، فاعتزل عمرو وأقام في فلسطين، وربما أتى المدينة يثير الناس على عثمان وينفخ في نار الفتنة، فكتب إليه معاوية يستقدمه - بعد مقتل الخليفة الثالث – قُبيل وقعة صفين.

وروى ابن عبد البر الأندلسي أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله: لِمَ تبكي، اجزعاً من الموت؟ قال:لا والله ! ولكن لما بعده فقال له:قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبته الرسول ﷺ وفتوحه الشام فقال له عمرو:تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول شيء كافراً، فكنت أشد الناس على رسول‌الله ﷺ؛ فلو مت يومئذ لوجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياء منه، فلما ملئت عيني من رسول الله حياء منهن، فلو مت، قال الناس:هنيئاً لعمرو! أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله، فترجى له الجنة، ثم بليت بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدري أعلى أم لي؟ فإذا متُّ فلا تبكين عليَّ باكية، لا ينعني مادح وشدّوا عليَّ أزاري فإني مخاصم [1] مات سنة ٤٣ هـ وله نيف وثمانين سنة [2].

---

[1]- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر:٢/٤٣٥.

[2]- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر:٢/ ٤٣٥.

عن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قاتله - أي قاتل عمار - وسالبه في النار. فقيل لعمرو سمعت هذا من رسول الله وها أنت قاتله[١].

سيكولوجية عمرو بن العاص في التعامل

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص يستقدمه إلى الشام كوزير ومشير، فقد ألم بمعاوية ما لا طاقة له بدفعه عنه: «مبعوث الخليفة يأمره بإعلان بيعته ودخوله فيما دخل فيه الناس» وقيصر الروم يتهدده، فرأى في عمرو مخلصاً مما هو فيه إذا ما انضم إليه وشاركه موقفه؛ فكتب إليه يستنصره: أما بعد، فقد كان من أمر علي، وطلحة، والزبير، ما قد بلغك، وقد سقط علينا مروان ابن الحكم في رافضة البصرة !وقدم عليً جرير بن عبد الله في بيعة علي! وقد حبست نفسي عليك، فاقدم على بركة الله..!!

إن عمراً حين أتاه كتاب معاوية استشار ولديه: عبد الله، ومحمداً، وقال لهما:

يا ابني. أنه كان مني في أمر عثمان فلتات لم استقلها بعد، وقد كان هروبي بنفسي حين ظننت أنه مقتول، ما قد احتمله معاوية عني!

فأشارا عليه: أما عبد الله فذكره بمواقفه أيام النبي ﷺ وأنه كان راض عنه وكذلك أبو بكر وعمر مضيا راضيان عنه، فلو بقيت على اعتزالك خيراً لك، واما محمد فأشار إلى مكامن الطموح في نفس أبيه، وأشار عليه بأن يشارك معاوية أمره.

فقال عمرو لهما: أما أنت يا عبد الله فقد أشرت علي بما هو خير لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأشرت بما هو خير لي في دنيا!!

---

[١] - أنساب: ١/ ١٩١.



ثم أمر عمرو وردان خادمه أن يرحل، ثم قال له: أحطط يا وردان. أرحل يا وردان وأخذ عمرو يكرر ذلك. فقال له: وردان لو شئت نبأتك عما في نفسك!.

فقال عمرو: هات يا وردان!.

فقال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك! فقلت: مع علي الآخرة بلا دنيا[١]، ومع معاوية دنيا بغير آخرة! فأنت واقف بينهما!.

فقال عمرو: ما أخطأت ما في نفسي! فما ترى يا وردان؟

قال: أرى أن تقيم في منزلك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وأن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك!!

فقال عمرو: الآن حين شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية !!. ﴿أخذته العزة بالأثم﴾.

ثم ألتقى طموح معاوية مع طمع وتطلع عمرو واتفقا بعد بيعة عمرو لمعاوية بالخلافة وأن يناصره في حربه على عليﷺ أن تكون مصر لعمرو، وبتدخل عتبة ابن أبي سفيان[٢]؛ فتمت الصفقة.

من أقوال عمرو لمعاوية

قال عمرو لمعاوية: أعطني مصر! فتلكأ معاوية!وقال: ألم تعلم أن مصر كالشام؟

قال عمرو: بلى! ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك! وإنما تكون

---

[١]- لا يعرف مرتكز لهذه المقولة، إلا ما أخبر به النبي (ص) من إقبال بعض الصحابة على الدنيا، أي أنها وردت ذماً، وشاعت بعد عهد عثمان وتركزت بعد تولي معاوية.

[٢]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة:١/١٠٠.

لك إذا غلبت علياً على العراق، وقد بعث أهلها بطاعتهم إلى علي!!
وقال عمرو لمعاوية أيضاً:إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولا أقوم أنا ولا أنت له، فأنت تقاتله على أمر وهو يقاتلك على غيره، وأنت تريد البقاء وعلي يريد الفناء، وليس يخاف أهل الشام من علي ما يخافه أهل العراق منك[1].

وعن ابن طاوس عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أنه أخبره قال: لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال لا أدري أكان معه أم أخبره أبوه فقال قتل عمار وقد قال رسول الله ﷺ تقتله الفئة الباغية، قال: فقام عمرو فزعا يرتجع حتى دخل على معاوية فقال معاوية: ما شأنك فقال: قتل عمار، فقال معاوية: قتل عمار فماذا، قال عمرو: سمعت رسول الله يقول تقتله الفئة الباغية، فقال له معاوية: دحضت في بولك أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: سيوفنا[2].



[1] - الامامة والسياسة، ابن قتيبة:١/١٢٠.

[2] - تاريخ ابن عساكر:٤٣/ ٤٣١.

موقف معاوية من البيعة

توجه المسلمون بعد مقتل الخليفة الثالث إلى بيت الامام علي عليه السلام طالبين منه أن يمد يده حتى يبايعوه؛ لأنهم رأوا أنه ليس من الصحيح أن يبلغ أهل الأمصار مقتل الخليفة، ولا أحد قد شغل مكانه، وتولى مهام الامامة[1]؛ هكذا كانوا يحاورون الامام كي يبسط يده للبيعة، إلا أن علي بن أبي طالب عليه السلام وضع نصب أعينهم احداثاً، وأموراً لا بد لها من مخاض وولادة تحملها بين ثناياها الأيام المقبلة، (لا تقوم لها القلوب)، وهو يقبض يده ويسحبها، وهم يأخذونها إليهم ويبسطوها، حتى أذعن لهم وطلب منهم أن تتم بيعته في المسجد على مرأى ومسمع من المسلين كافة «أنصار ومهاجرين، ومن قدم من أمصار الدولة»[2].

وعلى ذات التقليد الذي انتهجه من سبقه من الخلفاء، أرسل الامام علي عليه السلام إلى الآفاق يبلغهم ببيعة الأنصار والمهاجرين له، فمن أجاب كتابه وأخذ البيعة للخليفة الجديد اقره الخليفة على ولايته، كما هو موقف الخليفة من أبي موسى الأشعري في الكوفة والأشعث بن قيس وعبد الله بن جرير البجلي، وأرسل بعثمان بن حنيف إلى البصرة، لأن واليها عبد الله بن عامر انضم إلى معاوية هارباً من ولاية البصرة.

---

[1]- تاريخ الطبري : أحداث عام «٣٥هـ».

[2]- تاريخ الطبري:٥/أحداث عام «٣٥هـ ».

أما والي الشام معاوية بن أبي سفيان، فكان قد ألبس الشام وأهله – السواد – ثوب الحداد على الخليفة المقتول، ونشر قميصه وأصابع زوجته، وحشد الرأي العام الشامي على الأخذ بثأر الخليفة من علي بن أبي طالب فهو الذي قتله، فلابد من محاربته وقتاله، ومع عدم النباهة التي اتصف بها الشاميون والتقبل المتسرع تعبداً بقول الولاة، استطاع معاوية من اكتساب الشرعية لأنه ولي القتيل – وإن كان ابناء عثمان هم الأولى بذلك وهم أحياء– وقد طلب منه الضحاك أبرز شخصية شامية أن يطالب بدم الخليفة وإلا أخرجوه من الشام – وبالتالي امتنع عن البيعة وامتنع بالشاميين عنها، فماطل مبعوث الخليفة عبد الله بن جرير البجلي – ومن تبعه من رسل الخليفة – وبقي في الشام فترة تجاوزت أشهراً، ولم يجبه بشيء، وأفاد هو من هذه المماطلة في كسب بعض المناوئين لعلي والمبغضين له، فاستمال عمرو ابن العاص إلى جانبه، وهو من قد عرف بالمكر والخديعة وحب الدنيا وحب الرئاسة فاشترط على معاوية أن يطعمه «مصر» مقابل أن يكون إلى جانبه في محاربة الشرعية، النص التاريخي:

«قال معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله، إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع الرحم. قال عمرو: إلى من؟ قال: إلى جهاد علي، قال: فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعلي بعكمي[1] بعير، مالك هجرته ولا فقهه

---

[1]- عَكَمَ المتَاعَ يَعْكِمُه عَكْماً: شدَّه بثوب، وهو أن يبسُطَه ويجعلَ فيه المتاعَ ويَشُدَّه ويُسَمَّى حينئذ عِكْماً. و العِكامُ: ما عُكِمَ به، وهو الحَبْلُ الذي يُعْكَمُ عليه، لسان العرب: ١٢/٤١٥، وفي مختار الصحاح: ١/١٨٨، العِكْم بالكسر العِدل وعَكَم المتاع شدَّه وبابه ضرب و العِكَامُ بالكسر الخيط الذي يُعْكم به.

وعلمه.. والله إن له مع ذلك حداً وجداً، وحظا وحظوة، وبلاء من الله حسنا، فما تجعل لي إن شايعيك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمة. قال: فتلكأ عليه معاوية»[1].

قبل رفع المصحف

كادت وقعة صفين أن تنهي تطاول الجيش الشامي،وأسطورة دهاء معاوية ومكر ابن العاص،وبالتالي تبعد معاوية ومن آزره عن ساحة الفعل بالنسبة للتجربة الآسلامية، وتعود بالأمة إلى سابق عهدها وتعاد للتجربة زاهر أيامها وتعيش الأمة العدل والمساواة،وأخيراً لا ظهور لفرقة الخوارج ولا ترويج لأفكارها ولكان لنظام الحكم الآسلامي صورة بمعالم أخرى غير التي نُقلت إلينا عن طريق المدون التاريخ والمسرد التراجمي للأعلام وغيرها من المصادر.

وإن اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة صفين إلا أن المقطوع فيه،هو أنها تلت وقعة الجمل بأشهر وكانت الأخيرة قد حدثت عام ستة وثلاثين هجرية.

وبُعيد أن بُويع أمير المؤمنينعليه السلام بالخلافة، واستخلافه أحدهم على المدينة وآخر على مكة توجه إلى الكوفة وفي أثناء مسيره كانت رسالة أم الفضل - من السابقات إلى الآسلام أسلمت مع أم المؤمنين خديجة «رض» - قد وصلته تحذره فيها خروج عائشة والزبير وطلحة ومن سار معهم من مكة إلى البصرة.

فتوجه بمن معه إلى البصرة وبعث بابن عباس والحسن بن عليعليه السلام وعمار بن

---

[1]- وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ٣٧.

ياسر إلى الكوفة يستمد واليه (أبا موسى الأشعري) الجند، بيد أن أبا موسى سعى لتثبيط الناس عن الالتحاق بالخليفة ويحذرهم (الفتنة التي القاعد فيها خير من القائم....)، وهو صحابي أيضاً،وحصلت سجالات ومشادة بينه وبين عمار ومن ثم مع ابن عباس، حتى عزل من ولاية الكوفة، والتحق الركب الكوفي مع الامام الحسن عليه السلام متوجهاً إلى البصرة ليكون له موقف مشرف في الدفاع عن مبادئ الرسالة والخليفة الشرعي. وتنتهي وقعة الجمل بمقتل طلحة على يد مروان بن الحكم والزبير على يد ابن جرموز الذي يقتل هو ايضاً في النهروان ويقتل آلاف حول الجمل من الطرفين وتعود، عايشة إلى المدينة، ويتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة ليعسكر بالنخيلة ثم ينطلق بمن معه نحو الشام وينزل في صفين، وبعد العذر والآنذار يحارب معاوية وجيش الشام الذي هُيئ للخروج ولقتال الخلفية بعذر وتعليلات لا واقع لها إلا أن تفسر بالنفعية والقتال من أجل السلطان ليس إلا. وهكذا كانت تحركات معاوية حيث بايعت الأمة واجتمعت كلمتها على علي ابن أبي طالب عليه السلام، بُعيد مقتل الخليفة الثالث، بثورة كبرى قادها الصحابة في المدينة. وكانت الجمل أولى حروب الامام التي خاضها على الخارجين عليه - الناكثين- وأسفرت عن مقتل قادتها وسقوط الكثير ممن شارك فيها قتيلاً وهزيمة الباقين، وكان للأحداث التي أعقبت وقعة صفين مساهمة فاعلة في تغيير مسار الدولة والمجتمع الآسلامي وشكلت منعطفاً خطيراً في تاريخ الأمة عموماً وتاريخ الرسالة الآسلامية فيما بعد خصوصاً؛ حيث قد أعقبها مستجدات وملابسات على مستوى الاعتقاد وفتح باب الاجتهاد (القياسي) على مصراعيه مقابل «النص» وابتدع منهج خاص لتداول السلطة، مما كان له أثره الفاعل في منعطف آخر على

مستوى الفكر الآسلامي وبنية العقل، ونكوص في الواقع التطبيقي على امتداد القرون التي تلت عام (٣٨هـ).

وللقارئ أن يسأل ما هي دوافع (أهل المصحف) من الخروج على الشرعية، ومن تأليب الرأي الشامي بصورة عامة، ورأي بعض ابناء الخلفاء وسواهم من الأنصار وان كان عددهم محدوداً ضد الخليفة المنتخب بأغلبية ساحقة، فضلاً عن أن الانتخاب تم على وفق الشروط التي أقرت خلافة سابقيه، وبيعة الامام عليه السلام أقرب في جميع مفاصلها إلى روح الشورى وحرية الاختيار، فقد أشر على البيعات السابقة، وأخذ على طريقتها مآخذ، وكانت بعد العهد أو تمامية بيعة أحدهم يُدعى الناس، لمبايعة الخليفة المنصوب، وحتى أن عثمان عهد لعبد الرحمن بن عوف سراً، وأرسل إليه بالكتاب، إلا أن عبد الرحمن غضب وحلف أن لا يكلم عثمان، وفعلاً لم يكلمه حتى مات.

ولم يذكر إكراه من الخليفة لأحد معارضيه أو من لم يعطه صوته؛ كما هو حال عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وسعد بن أبي وقاص...، بيد أن المنقول التاريخي في ما يخص بيعة من سبق الامام علي عليه السلام قد أشار إلى إكراه أو تعريض أو تهديد أو...!!

١- بيعة السقيفة.

الف - تهديد الزبير وأخذ سيفه منه وكسره.

ب - اقتلوا سعداً قتله الله[1].

ج - دفع الخليفة الثاني المقداد في صدره، وإن عمر بن الخطاب، هو الذي وقم المخالفين لبيعة أبي بكر، وتوعد من لجأ إلى بيت فاطمة من الهاشميين وأخرجهم. ولولاه

---

[1]- تاريخ الطبري، أحداث عام ١١/ هجرية. فقد نقل هذه القضايا.

لم يثبت لأبي بكر أمر ولا قامت له قائمة[1].

٢- موقف الخليفتين بُعيد بيعة السقيفة من الامام علي عليه السلام، وتخلفه ولم يبايع إلا بعد ستة أشهر على الأصح حسب عبارة الطبري[2].

٣- وقف عمار بعد بيعة عثمان والتهديدات التي صدرت تجاهه.

٤- تصريح عبد الرحمن بن عوف للامام علي عليه السلام بعد بيعة الخليفة الثالث، بايع ولا تجعل على نفسك سبيلاً، وكان يخاطب الامام علياً عليه السلام[3].

وصحيح أن بعض خلص الصحابة قد طلبوا من الامام عليه السلام أن يسمح لهم أن يذهبوا إلى الأشخاص الذين توقفوا عن بيعته، وقد ذهب عمار لمحاورة بعضهم والوقوف على الأسباب التي تقف وراء موقفهم هذا. وكانت بينه وبينهم حوارات.

من كتب الامام عليه السلام لمعاوية

«إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْر وَ عُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُل وَسَمَّوْهُ اماماً كَانَ ذلِكَ لله رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْن أَوْبِدْعَة رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ منه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى ولَعَمْرِى، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ

---

[1] - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٧٤، باب/ ٣.

[2] - تاريخ الطبري، (أحداث عام ١١ هـ). السقيفة.

[3] - تاريخ الطبري: أحداث عام [٢٣-٢٤].

بعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَة عَنْهُ، إلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى; فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلاَمُ».

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَر لاَغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً».

«وأما قولُك: (إنّا بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل)، فكذلك نحنُ، ولكنْ ليس أُميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللّصيق، ولا المُحقّ كالمُبطل، ولا المؤمن كالمُدغل. ولبئس الخلَف خلَفاً يتّبع سلَفاً هَوى في نار جهنّم. وفي أيدينا بعدُ فضلُ النبوّة التي أذللنا بها العزيز، ونَعَشْنا بها الذليل. ولمّا ادخل اللهُ العربَ في دينه أفواجاً، وأسلمت هذه الأمةُ طوعاً وكَرْهاً، كنتم ممّن دخل في الدين: إمّا رغبة، وإمّا رهبة، على حين فاز أهل السَّبقِ بسَبقِهم، وذهب المهاجرونَ الأوّلونَ بفضلهم»[1]

كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْب مُجْلِيَة، أَوْ سِلْم مُخْزِيَة، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلاَمُ»[2].

---

[1] - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧٧/١٥، وشرح النهج لابن ميثم البحرانيّ ٤: ٣٨٩.

[2] - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر : ١٣٥/٥٩.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٧/٣

وقعة الجمل

الناكثون

النكث: نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها. وفي حديث علي كرم الله وجهه: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

النكث: نقض العهد، وأراد بهم أهل وقعة الجمل[1].

وقعة الجمل: سُمّيت واصطلح عليها بـ (وقعة الجمل)؛ لأنّ عائشة - وهي التي قادت المعركة- كانت على جمل في هودج، وقد أُلبس هودجها الدروع والنسائج الحديد[2].

وكان لعقر وقتل الجمل دور في الآيذان بنهاية الوقعة، واندحار وانهزام أصحاب الجمل بعد اعتزال الزبير وقتله وقتل طلحة بن عبيد الله، وقال الامام عليّ عليه السلام لأصحابه:

(ولو عقر فقط لم تثبت لهم ثابتة).

وكان حدوثها في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين هجريّة، وبعد تولّي الامام عليه السلام الخلافة بأشهر.ولقد حصلت ودارت رحى حرب الجمل في البصرة في موضع يسمّى

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور: ١٤ /٢٧٨.

[2]- الفخري : ٨٨.

(الخُرَيبَة)[1] .

المدعمات الروائيّة والنقليّة:

عن الرسول ﷺ:

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأربب، تسير حتّى تنبحها كلاب الحوأب؟ يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير»[2] .

وللحديث طرق عديدة، ونقل بألفاظ مختلفة ومتعدّدة[3] .

أمّ سلمة تحذّر عائشة:

طلبت عائشة من أمّ سلمة -وهي زوج الرسول ﷺ وأمّ المؤمنين، وقد أخبرها الرسول ﷺ بأنّها على خير يوم جمع الرسول ﷺ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، وقال: **اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**[4] -أنْ تخرج معها إلى البصرة، لأنّ عثمان قتل مظلوماً، وقد أخبرها بذلك ابن عمّها وزوج أختها -أيْ طلحة والزبير- فلم تخرج أمّ سلمة معها، بل أخبرتها أنّ واجبها أنْ تقرّ في البيت الذي ضرب عليه حجابها الرسول الأكرم ﷺ ثمّ قالت لها:

لو أنّ الرسول عارضك في بعض الطرق فما أنت قائلة له، وقد وضع

---

[1] - الأخبار الطوال، ابن قتيبة : ١٤٦.

[2] - البداية والنهاية، ابن كثير:٦ /٢١٨.

[3] - المعيار والموازنة، أبو جعفر الاسكافي : ٢٨.سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي: ١٠/١٥١.

[4] - كتاب سليم بن قيس، وفاته عام ٩٥هـ تحقيق محمد باقر الأنصاري: ٢٠٠.مسند أبي يعلى الموصلي: ١٢/٤٥١.

الجهاد عن النساء؟ ولكنها لم تتّعظ ولم ترجع، بل علت الجمل وخرجت محاربة للخليفة الشرعي الذي بايعه أصحاب محمدﷺ[1].

وعن عائشة نفسها أنّها لّما نبحتها كلاب الحوأب قالت:

ردّوني، وما أراني إلاّ راجعة، قال لي رسول الله ﷺ: لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب[2].

فأيّ مدعم وقرينة تفصح عن أنّ القوم ناكثون وخارجون على شرعيّة الخليفة والامام نصاً وبيعة، إجماعاً واجتماعاً؟

وفي يوم كان الخليفة عثمان في المسجد، أخرجت عائشة قميص الرسول -ﷺ- وقالت:

هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنّته، فاقتلوا نعثلاً فقد كفر[3]، فقال عثمان: ربّي اصرف عنّي كيدهن إنَّ كيدهن عظيم.

تشخيص موقف عائشة:

لقد حدّد الامام عليه السلام موقف عائشة من الخليفة في قوله عليه السلام:

وكان من عائشة فيه فلتة غضب[4].

---

[1]- تاريخ الطبري: ٣/٤٥٠.

[2]- مصنف ابن أبي شيبة : ٨/٧٠٨. جواهر المطالب في مناقب الامام علي (ع)،ابن الدمشقي: ٢/٢٩.

[3]- الفخري في الآداب السلطانية، ابن طباطبا، /٨٧، وفي غيره: فجر.

[4]- شرح النهج، محمّد عبده، ح٢/٢.

إشارات الامام عليّ ﵇:

إنَّ الامام ﵇ لمّا بايعه طلحة، قال:

ما أخلقه أنْ ينكث. ولمّا دخل عليه طلحة والزبير واستأذناه بالذهاب للعمرة، قال ﵇: إنّما أرادا الغدرة. وأمّا فلانة ـ أيّ عائشة ـ فأدركها رأيُ النساء، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليه[١].

تشخيص موقف طلحة:

قال الامام عليّ ﵇:

«والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلاّ خوفاً من أنْ يُطالب بدمه؛لأنّه مظنّته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر، ويقع الشك. ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالما – كما كان يزعم – لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه، المعذرين فيه. ولئن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويركد جانبا، ويدع الناس معه. فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره»[٢]

فقد كان طلحة يوم قتل عثمان متنكراً يرمي بسهامه على دار عثمان.

---

[١]- شرح النهج، محمد عبده: ٢٨٣/٢.

[٢]- شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:٣/١٠.

جيش الامام عليه السلام

ولقد شهد الوقعة مع الامام عليّ عليه السلام ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممّن شهد بيعة الرضوان مع النبيّ صلى الله عليه وآله[1]، ثم انضم إليه في الطريق الكثير من بني أسد وطيء، ثم جاءه مدد أهل الكوفة.

جيش أهل الجمل

تآلف فيه مع طلحة والزبير بعض ولاة عثمان الذين عزلهم الامام عليّ عليه السلام كعبد الله بن عامر ومروان بن الحكم، والباقون أغلبهم من عوام الناس ممن لا سابقة له، وكان الذين خرجوا معها - عائشة- من مكّة حوالي ستمائة رجل، ثم انضم إليهم آخرون من أهل البصرة[2].

دوافع الحرب

يُرجع ابن طباطبا السبب في خروج طلحة والزبير وسواهما، إلى أنَّ الامام عليّاً عليه السلام لّما بُويع سار بالناس بالعدل والمساواة ولم يفضّل أحداً على أحد، حتّى أنَّ أخاه - عقيل بن أبي طالب- طلب منه أنْ يزيده فلم يجبه إلى ذلك، وقال له: انتظر عطائي[3].

فأبدى البعض من الصحابة عدم الارتياح لموقفه في التسوية والعدل، وأتاه طلحة والزبير فقالا: إنّه قد نالتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جفوة، فاشركنا في أمرك! فقال: أنتما

---

[1] - العقد الفريد، ابن عبد ربّه: ٣١٣/٤.

[2] - البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٤٢/٧.

[3] - الفخري: /٨٦.

شريكاي في القوة والاستقامة، وعوناي على العجز والأود[١].

وقد طلب جماعة من بني أميّة - ولاة الخليفة عثمان - من الامام عليه السلام أنْ يترك لهم ما بأيديهم من مال وغيره ولا يطالبهم بشيء ممّا كان لهم أيّام عثمان، فقال عليه السلام: والله، لو وجدته قد تُزوج به النساء، ومُلك به الآماء، لرددته[٢].

إنّ مواقف الامام عليه السلام يوم بدر وأحد كان لها الأثر البارز في انحراف بعض الناس عنه، فهو الذي قتل صناديد قريش وأغلبهم كان من الأمويّين، وهو قاتل مرحب اليهودي، وهو أخو محمّد بن مسلمة الصحابي[٣]؛ ولذا فالامام عليه السلام يقول: وما ذنبي لمحمّد بن مسلمة إلاّ أنّي قاتل أخيه مرحب.

فاجتمع الفرقاء على نكث البيعة والخروج لقتال الخليفة، فكانت وقعة الجمل.

الرسول صلى الله عليه وآله والناكثون

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله أخبر عن كثير من الحوادث المستقبليّة، والتي ستلدها الأيّام بعد رحيله، ومن هذه الحوادث وقعة الجمل وأصحابها وقادتها، وأشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى ظلمهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وخروجهم عليه.

فعن الزبير قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتقاتلنّه - أي عليّاً - وأنت ظالم له. وهو

١- تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٠.

٢- شرح النهج، محمّد عبده: ١/٤٦.

٣- الامامة والسياسة:١/٥٢-٥٣.

الحديث الذي احتجّ به الامام علي عليه السلام، على الزبير فاعتزل الحرب، وبرّر الزبير لولده عبد الله اعتزاله من الحرب لمّا ذكّره الامام عليه السلام بهذا الحديث. ونقل بألفاظ مختلفة[1].

وعن قتادة قال:

لمّا ولّى الزبير يوم الجمل بلغ ذلك عليّاً، فقال: لو كان ابن صفيّة يعلم أنّه على حقّ ما ولّى[2].

خروج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله

عن أمّ سلمة (رضوان الله عليه) قالت:

ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله خروج بعض أُمّهات المؤمنين فضحكت عائشة، فقال لها: انظري يا حميراء أنْ لا تكوني أنت[3]. لذا لمّا نبحتها كلاب الحوأب في طريقها إلى البصرة، قالت: ردّوني.

إشارتان

١- عن عليّ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ سرّه أنْ ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد بن صوحان، وقد قتل زيد في الجمل مع عليّ عليه السلام.

---

[1] - البداية والنهاية، ابن كثير: ٦/٢١٩.

[2] - يراجع البداية والنهاية: ٦/٢١٨.

[3] - البداية والنهاية: ٦/٢١٨.

٢- عن ابن مسعود قال:

إذا اختلف الناس كان ابن سميّة - أيّ عمّار بن ياسر- مع الحقّ. وكان مع الامام عليّ عليه السلام في حروبه حتّى قُتل (رضوان الله عليه) في صفّين[1].



---

[1]- البداية والنهاية: ٦/٢٢٠.

سير الأحداث وتتابعها

في المدينة المنوّرة بعد اتّساق البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث بايعه أهل الحرمين ومن حضر المدينة من الأمصار، بعث ولاته إلى الأمصار، فرفض معاوية الدخول فيما دخل فيه الناس، وخرج رهط من الشام فرأوا سهل بن حنيف وهو والي الامامعليّ عليه السلام على الشام فردّوه. وفي البصرة قام عبد الله بن عامر – لّما بلغه مبايعة الناس لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام – خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، إنّ خليفتكم عثمان بن عفّان قُتِلَ مظلوماً وبيعته في أعناقكم، ونصرته ميتاً كنصرته حيّاً، ولي عليكم اليوم ما كان لي بالأمس، وقد بايع الناس عليّاً، ونحن اليوم طالبون بدم عثمان، فأعدّوا للحرب عدّتها؛ فوثب إليه حارثة بن قدامة السعدي، فقال له: يا ابن عامر، إنّك لن تملكنا عنوة، ولن نولّيك عن مشورة، إنّما بطاعة غيرك، وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار فلم يغيروا على قاتله، وقد بايع الناس عليّاً، فإنْ أقرّك على عملك أطعناك، وإنْ عزلك عصيناك، والسلام[1]

ثمّ نزل عبد الله بن عامر من المنبر، وخرج في جوف الليل هارباً نحو المدينة، فلقيه طلحة والزبير فقالا:

لا مرحباً بك يا مضيع ولا أهلاً، تركت البصرة والأموال وأتيت مكّة فزعاً من عليّ بن أبي طالب – رضوان الله عليه–! هلاّ لا أقمت بالعراق حتّى وافيناك بها؟

---

[1] – الفتوح: ٢/٤٤٩.

الكوفة

كان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفة لعثمان، وقد أقـرّه عليهـا الامـام ﷺ حين أشار عليه الأشتر أنْ يقرّه عليها. ولّما بلغ أبو موسـى بيعـة المهـاجرين والأنصـار للامام عليّ ﷺ عمد إلى تثبيط الناس، وقال لهم: إنّ بيعة عثمان لا تزال في عنقـي[١]، كما هي في أعناقكم، ثمّ أجبروه على بيعة الامام عليّ ﷺ.

خطبة أبي موسى الأشعري

أيّها الناس: إنّ أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممّن لم يصحبه، وإنّ لكم حقّاً عليّ أُؤدّيه إليكم، إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، والقاعد خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم حتّى تنجلي هذه الفتنة.

وكان أبو موسى قد أمر أهل الكوفة بعـدم مناصـرة أمـير المـؤمنين ﷺ، وقـال للنّاس:

أمّا سبيل الآخرة ففي أنْ تلزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم– يعني عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر – فأطاعوه في ذلك[٢]، ثمّ قال أبو موسى: فثبطوا أيّها الناس، واجلسوا في بيوتكم إلاّ عن قتلة عثمان بن عفان[٣]!! وبذلك قام أبو موسى

---

[١]- تاريخ الطبري: ٥/٥١٢.

[٢]- الامامة والسياسة: ١/٦٢.

[٣]- تاريخ الطبري: ٥/٥١٤.



ومشى ودخل في الفتنة التي نهى عنها الناس من أخمص قدميه حتى أذنيه، كما دعا الناس لنصرة عائشة.

خطبة عمّار بن ياسر

فقام عمّار بن ياسر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، إنّ أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين، ولعمري ما صدق فيما قال، وما رضى الله من عباده بما ذكر، قال عزّ وجلّ:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾[1].

وقال: ﴿وَقَاتِلوُهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُون الدِّينُ للهِ﴾[2] فلم يرضَ من عباده بما ذكر أبو موسى من أنْ يجلسوا في بيوتهم ويخلّوا بين الناس، فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم، وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه، فإنْ أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حقّ الله، وإنْ بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئة الباغية فقاتلتموها حتّى تفيء إلى أمر الله، كما أمركم الله وافترض عليكم[3]

---

[1]- سورة الحجرات الآية: ٩.

[2]- سورة البقرة الآية: ١٩٣.

[3]- الامامة والسياسة: ١/٦٣.

كتاب الامام ؏ إلى أهل الكوفة

أمّا بعد: فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سامعه كمن عاينه، إنّ الناس طعنوا على عثمان، فكنت رجلاً من المهاجرين أقلّ عيبه وأكثر استعتابه – إزالة سبب عتبه ومحاولة إرضائه– وكان هذان الرجلان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه اللهجة[١] والوجيف، وكان من عائشة فيه قول على غضب، فانتحى له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين، وهما أوّل من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي، ثمّ استأذنا إلى العمرة فأذنت لهما، فنقضا العهد، ونصبا الحرب، وأخرجا أمّ المؤمنين من بيتها ليتّخذاها فتنة، وقد سارا إلى البصرة، اختياراً لأهلها، ولعمري ما أياي تجيبون، ما تجيبون إلاّ الله. وقد بعثت ابني الحسن، وابن عمّي عبد الله بن عبّاس، وعمّار بن ياسر، وقيس بن سعد، فكونوا عند ظنّنا بكم، والله المستعان[٢].

كتاب أمّ المؤمنين أمّ سلمة (رضوان الله عليها)

وروى المؤرّخون[٣] أنّ الامام عليّاً ؏ بعد أنْ اتسّقت له الأمور سار بمن تبعه قاصداً الكوفة، وفي الطريق ورد عليه كتاب أمّ سلمة، وكتاب من أمّ الفضل بنت الحارث، تخبرانه بأمر طلحة والزبير وعائشة وخروجهم إلى البصرة.

١- اللسان والاغراء.

٢- الامامة والسياسة: ١/٦٣.

٣- مروج الذهب، المسعودي:٢ /٣٥٨. وانظر تاريخ الطبري : ٣/٤٧٠.

نصّ الكتاب

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أمّ سلمة بنت أبي أميّة، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنَّ طلحة والزبير وعائشة وبنيها بني السوء وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الجزّار عبد الله بن عامر إلى البصرة، يزعمون أنَّ عثمان بن عفّان قتل مظلوماً وأنَّهم يطلبون بدمه، والله كافيكم وجاعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى. وتالله، لو لا ما نهى الله عزّوجلّ عنه من خروج النساء من بيوتهن، وما أوصى به النبيّ ﷺ عند وفاته، لشخصت معك، ولكنّ بعثت بأحبّ الناس إلى النبيّ ﷺ وإليك ابني عمر، والسلام.

وكان لعمر بن أبي سلمة فضل وعبادة وعقل[1].

كتاب أمّ الفضل بنت الحارث

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أمّ الفضل بنت الحارث.

أما بعد: فإنَّ طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكّة يريدون البصرة، وقد استنفروا الناس إلى حربك، ولم يخف معهم إلاّ من كان في قلبه مرض، ويد الله فوق أيديهم. والسلام[2].

كتاب زيد بن صوحان إلى عائشة

كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان كتاباً طلبت فيه أنْ يثبّط الناس عن عليّ، وأنْ

---

[1] - الفتوح: ٢/٤٥٥- ٤٥٦.

[2] - الفتوح: ٢/٤٥٦.

يكون في مكانه حتّى يقدمون عليه أو يأتيه أمرها، فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة أمّ المؤمنين، سلام عليك.

أما بعد: فإنّك أُمرتِ بأمر وأُمرنا بغيره، أُمرتِ أنْ تقرّي في بيتك، وأُمرنا أنْ نقاتل حتّى لا تكون فتنة، فتركت ما أُمرتِ به، وكتبتِ تَنْهينا عمّا أُمرنا به، والسلام[1].

ثأركم على أعجاز الإبل

خرج مروان بن الحكم مع عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، ولقيهم سعيد بن العاص وجماعة من الأمويّين الذين هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان، وبيعة الامام عليّ عليه السلام، ودار حوار بين سعيد و مروان، وسعيد وطلحة والزبير، فاعتزل سعيد ومن معه، وهربوا إلى الشام.

قال سعيد لمروان:

أينَ تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل - يعني طلحة والزبير

---

[1]- العقد الفريد: ٤/٣١٧- ٣١٨. وروى الطبري بسنده عن أبو مخنف عن مجالد بن سعيد قال: لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة، كتبت إلى زيد بن صوحان من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي. فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله أما بعد فأنا ابنك الخالص؛ إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلا أول من نابذك. قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه. الطبري: ٢٢/٣.



وعائشة-؟!

قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً.

وخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إنْ ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني.

قالا: لأحدنا أيّنا اختاره الناس.

قال: بل اجعلوه لولد عثمان، فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه، قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم[1]؟!

ثمَّ لمّا كانت وقعة الجمل رمى مروان بن الحكم طلحة بسهم مسموم فأصاب ركبته، ثم مات بسببه، وقال مروان: لا أطلب بعد هذا اليوم بثأر عثمان[2].

أهل الجمل: التخطيط والتحرك

واجتمع طلحة والزبير وعائشة وأجمعوا على المسير من مكّة، وأتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم إلى البصرة، ووعدهم الرجال والأموال.

فقال سعيد بن العاص لطلحة والزبير:

إنَّ عبد الله بن عامر قد فرّ من أهلها - أيّ البصرة - فرار العبد الآبق وهم في طاعة عثمان، ويريد أنْ يقاتل بهم عليّاً وهم في طاعة عليّ، وخرج من عندهم أميراً، ويعود إليهم طريداً، وقد وعدكم الرجال والأموال، فأمّا الأموال فعنده، وأمّا الرجال فلا رجل. ثمّ استقرّ رأيهم على المسير إلى البصرة.

---

[1]- تاريخ الطبري: ٥/٤٧٨-٤٧٩.

[2]- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣/٤٣.

اطمئنان مروان من علي

وذكروا أن مروان بن الحكم لما بويع علي هرب من المدينة، فلحق بعائشة بمكة.

فقالت له عائشة: ما وراءك؟ فقال مروان: غلبنا على أنفسنا. فقال له رجل من أهل مكة: إياك وعليا فقد طلبك، ففر من بين يديه. فقال مروان:لم؟ فوالله ما يجد إلي سبيلا. أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن، ولا ينصب إلا على اليقين، وايم الله ما أبالي إذا قصر علي سيفه ما طال علي من لسانه. فقال الرجل: إذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه. قال مروان: كلا إن اللسان أدب، والسيف حكم[1].

مروان والبيعة لطلحة والزبير

وأشار مروان بن الحكم على طلحة والزبير أنْ يدعوا الناس إلى البيعة، فقال لهما:

أيّها الشيخان، ما يمنعكما أنْ تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة عليّ، فإنْ أجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته، وإنْ لم يجيبوكما عرفتما ما لكما في أنفس الناس.

فقال طلحة: يمنعنا أنَّ الناس بايعوا عليّاً بيعة عامّة، فبم ننقضها؟

وقال الزبير: ويمنعنا أيضاً من ذلك:

١- تثاقلنا عن نصرة عثمان.

٢- وخفّتنا إلى بيعة عليّ.

ورجع سعيد بن العاص إلى منزله، واجتمعت كلمتهم على المسير.

قال طلحة للزبير: إنّه ليس شيء أنفع ولا أبلغ في استمالة أهواء

---

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الشيري: ١/٧٣.

الناس من أنْ نُشخص لعبد الله بن عمر، فأتياه فقالا: يا أبا عبد الرحمن، إنّ أُمّنا عائشة خفّت لهذا الأمر رجاء الإصلاح بين الناس، فاشخص معنا فإنّ لك بها أُسوة، فإنْ بايعنا الناس فأنت أحقّ بها.

فقال ابن عمر: أيّها الشيخان، أتريدان أنْ تخرجاني من بيتي، ثمّ تلقياني بين مخالب ابن أبي طالب؟ إنّ الناس إنّما يُخدعون بالدينار والدرهم[١].

وقدم عليهم من اليمن يعلى بن منبة، وكان عاملاً لعثمان، فأخرج أربعمائة بعير، ودعا إلى الحملان، فقال الزبير: دعنا من إبلك هذه، واقرضنا من هذا المال، فأقرض الزبير ستين ألفاً، وأقرض طلحة أربعين ألفاً[٢].

فقال الوليد بن عقبة: إنّ عثمان بن عفّان قد كان استعان بمعاوية لينصره وقد حوصر فلم يفعل، وتربّص حتّى قتل؛ لذلك يتخلص له الشام، أفتطمع أنْ يسلمها إليكم؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم بغيرها. ثمّ اعتزلهم الوليد بن عقبة وأَنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

قولا لطلحة والزبير خطئتما بقتلكما عثمان خير قتيل[٣]

كتب أهل الجمل إلى البصرة

ولمّا استقرّ رأي طلحة والزبير ومن شايعهم على التوجّه إلى البصرة، سأل الزبير

---

[١]- الامامة والسياسة: ١ /٥٧.

[٢]- الامامة والسياسة:١ /٥٧.

[٣]- الفتوح: ٢/٤٥٣.

عبد الله بن عامر عن رجال البصرة؟ قال:

ثلاثة، كلّهم سيّد مطاع، كعب بن مسوّر، والمنذر بن ربيعة، والأحنف بن قيس. فكتب طلحة والزبير إلى هؤلاء يُعلمانهم بقدومهما إلى البصرة طالبين بدم الخليفة المظلوم، يحثانهم على النصرة. والقتال معهما للثأر.

فلمّا وصلت كتبهما إلى القوم، قام زياد بن مضر، والنعمان بن شوال، وغزوان، فقالوا:

ما لنا ولهذا الحيّ من قريش؟ أيريدون أنْ يخرجونا من الإسلام بعد أنْ دخلنا فيه، ويدخلونا في الشرك بعد ما خرجنا منه؟! قتلوا عثمان، وبايعوا عليّاً، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم[1].

كتاب كعب بن مسور

وكتب كعب إلى طلحة والزبير:

أما بعد: فإنّا غضبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان، فجاء أمر الغير فيه بالسيف، فإنْ يك عثمان قُتل ظالماً، فما لكما وله؟ وإنْ كان قتل مظلوماً، فغيركما أولى به. وإنْ كان أمره أشكل على من شهده، فهو على من غاب عنه أشكل.

كما وكتب أيضاً الأحنف بن قيس، وأشار المنذر في كتابه إليهما إلى أنّ عثمان

(قد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، وبدا لكم هذا الرأي؟).

فلمّا «قرآ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا»[2].

---

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة، تحقيق شيري: ١/٨٠.

[2]- الامامة والسياسة : ١/٥٨.

كلمة لعبد الله بن خلف

أتى عبد الله بن خلف طلحة والزبير قبل مسيرهما إلى البصرة، فقال لهما: إنّه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء إلاّ وقد بلغ أهل العراق. وقد كان منكما في عثمان من التجليب والتأليب ما لا يدفعه جحود، ولا ينفعكما فيه عذر، وأحسن الناس فيكم قولاً من أزال عنكما القتل وألزمكما الخذل. وقد بايع الناس عليّاً بيعة عامّة، والناس لاقوكم غداً، فما تقولان؟

فقال طلحة:

ننكر القتل، ونقرّ بالخذل، ولا ينفع الإقرار بالذنب إلاّ مع الندم عليه، ولقد ندمنا على ما كان منّا.

وقال الزبير:

بايعنا عليّاً والسيف على أعناقنا، حيث تواثب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا، ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الديّة، ولا عمداً فيجب القصاص.فقال عبد الله بن خلف: عذركما أشد من ذنبكما[1].

قتلة عثمان معك

ولّما نزل طلحة والزبير وعائشة بـ(أوطاس) من أرض خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاص ومعه المغيرة، فنزل وتوكاً فأتى عائشة، فقال - سعيد بن العاص- لها:

أين تريدين يا أمّ المؤمنين؟

قالت: أريد البصرة. قال: وما تصنعين بالبصرة؟

---

[1]- الامامة والسياسة: ١/٥٩.

قالت: أطلب بدم عثمان!

قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك. ثمّ أقبل على مروان فقال له: وأنت أين تريد أيضاً؟ قال: البصرة.

قال: وما تصنع بها؟

قال: أطلب قتلة عثمان.

قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، إنَّ هذين الرجلين – طلحة والزبير– قتلا عثمان.

وسبق أنْ أشرنا إلى قول سعيد بن العاص حول قتلة عثمان، وأنّهم على أعجاز الآبل، وإنّ مروان خارج معهم لعلّه يثأر لعثمان، وفعلاً إنّه رمى طلحة وأصابه بسهم.

ثم إنّ المغيرة قال لهم:

إنْ كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان[1].

طلحة وأهل البصرة

ولّما نزل أهل الجمل البصرة، خطب طلحة بالناس، فقال:

يا أهل البصرة، توبة بحوبة – والحوبة الهم والحزن[2] إنّما أردنا أن نستعتب عثمان ولم نرد قتله، فغلب السفهاء الحكماء حتّى قتلوه.

فقال الناس لطلحة: يا أبا محمّد، قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا من ذمه والتحريض على قتله.

ثمَ أتى عبد الله بن حكيم التميمي بكتب كتبها طلحة إليهم يؤلّبهم فيها على عثمان، فقال له حكيم:

---

[1]- الامامة والسياسة: ١/ ٦٠.

[2]- لسان العرب: ج٣/٣٧٥.



أتعرف هذه الكتب؟

قال: نعم.

قال: فما حملك على التأليب عليه أمس والطلب بدمه اليوم؟

فقال: لم أجد في أمر عثمان شيئاً إلاّ التوبة والطلب بدمه[1].

الناكثون و والي البصرة

ولّما قرب أهل الجمل من البصرة، خرج إليهم عثمان بن حنيف الأنصاري – وهو والي الامام ﷺ على البصرة – في شيعة عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وهَمَّ بمحاربتهم، ثم إنّه كره القتال، ومشى بعضهم إلى بعض وسألوا الصلح إلى أنْ يقدم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، على أنْ يكون المال ودار الأمارة في يد عثمان بن حنيف، فرضي الطرفان بذلك وكتبوا بينهم كتاباً[2].

وفي (أنساب الأشراف) و (الطبري) وغيرهما، إنّه قد نشبَ بينهما قتال، وكثرت القتلى، فجنحوا إلى الصلح والموادعة وكتبوا كتاب الصلح بينهم[3].

---

[1] – أنساب الأشراف، البلاذري: ٢٨/٣.

[2] – الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٤٥٨/٢.

[3] – يراجع أنساب الأشراف ج٣ /٢٦، وتاريخ الطبري: ج٥/٤٩٤.

نصّ كتاب الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين.

إنّ عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده، وإنّ طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما، حتّى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن مسور من المدينة، ولا يضارّ واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرضة، بينهم عيبة مفتوحة حتّى يرجع كعب بالخبر، فإنْ رجع بأنّ القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما، وإنْ شاء عثمان خرج حتّى يلحق بطيته، وإنْ شاء دخل معهما. وإنْ رجع بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان، فإنْ شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة عليّ، وإنْ شاء اخرجا حتّى يلحقا بطيتهما، والمؤمنون أعوان الفالج منهما[1].

ومن خلال السياق للمنقول التاريخي في (أنساب الأشراف) و (الامامة والسياسة) و (الفتوح) يُرجّح أنْ يكون ما أورده البلاذري وابن قتيبة الدينوري هو الأصح وما يتناسب وسير الأحداث، وما كان من نقض الصلح من قبل أهل الجمل وهجومهم على عثمان بن حنيف ومن كان يصلّي معه، وقتل حرّاس بيت المال، وما فعلوا بعثمان بن حنيف حيث نتفوا شعره، وضربوه ثمّ حبس. ولم يذكر البلاذري أنّه أُرسل إلى عليّ عليه السلام كتاب، بل إنّهم ينتظرون قدومه عليه السلام.

---

[1]- تاريخ الطبري: ٤٩٦/٥.

قال ابن قتيبة:

إنّه لمّا اختلف القوم اصطلحوا على أنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة ومسجدها وبيت المال، وأنْ ينزل أصحابه حيث شاءوا من البصرة، وأنْ ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاءوا حتّى يقدم عليّ، فإنْ اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس، وإنْ تفرقوا يلحق كلّ قوم بأهوائهم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيّه، وأُشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً.

فانصرف عثمان، فدخل دار الآمارة، وأمر أصحابه أنْ يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم، وافترق الناس[1].

نقض العهد

وتناظر طلحة والزبير، فقال طلحة: والله، لئن قدم عليّ البصرة ليأخذن بأعناقنا. فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر، وواطآ أصحابهما على ذلك، حتّى إذا كانت ليلة ريح وظلمة جاءوا إلى ابن حنيف وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة، فأخذوه وأمروا به فوطئ وطأً شديداً، ونتفوا لحيته وشاربيه، فقال لهما:

إنّ سهلاً حيّ بالمدينة، والله لئن شاكني شوكة ليضعنّ السيف في بني أبيكما – يخاطب بذلك طلحة والزبير– فكفّا عنه وحبساه[2].

---

[1]– الامامة والسياسة: ١/٦٥.

[2]– أنساب الأشراف: ٣/٢٦



الإغارة على بيت المال

إنّ طلحة والزبير بعثا عبد الله بن الـزبير في جماعـة إلى بيـت المـال، وعليـه قـوم يكونون أربعين، ويقال:

> **أربعمائة، فامتنعوا من تسليمه دون قدوم عليّ، فقتلوهم ورئيسهم أبا سلمة الزطّي، وكان عبداً صالحاً**[1].

وقد قتل أيضاً قبل يوم الجمل حكيم بن جبلة في سبعين من قومـه، وقتـل أخوتـه الثلاثة؛ لأنّه عاهد عثمان بن حنيف أنّ دمه مضمون ولو لم يكن أمـيراً علـيهم لوجـب ذلك عليه لمكانته من الرسول ﷺ، وكان يحثّ قومه على قتال أهل الجمل[2].



---

[1]- أنساب الأشراف: ٣/٢٦.

[2]- الامامة والسياسة: ١/٦٥.



الامام علي عليه السلام والناكثون

أهم إحداثات أهل الجمل:

١- تأليب الناس في مكّة وفي سواها على الخليفة عليّ بن أبي طالب، وإظهارهم نكث بيعته والتوجّه إلى البصرة.

٢- التصرّف بأموال المسلمين التي هرب بها عبد الله بن عامر - والي عثمان سابقاً - من البصرة.

٣- نقض كتاب الصلح الذي كتبوه مع عثمان بن حنيف والي الامام عليّ عليه السلام على البصرة.

٤- ضرب عثمان بن حنيف ونتف شعره وحبسه.

٥- قتل حرّاس بيت المال في البصرة والاستيلاء على ما فيه عنوةً وغدراً لما نقضوا ما اتفقوا عليه من انتظار قدوم عليّ عليه السلام إلى البصرة، ولكنّهم بيّتوا له وهجموا على عثمان وهو يصلّي.

ومع كلّ ذلك وما صدر منهم، إلاّ أنّ الامام عليّاً عليه السلام أجّلهم ثلاثة أيّام، وكاتبهم وراسلهم وأرسل إليهم من يحدّثهم ويذكرهم الألفة والجماعة وإنهما بايعا طائعين، ولم يحدث عليّ أمراً، ولم يخالف سُنّةً ولا كتاباً.

قراءة أخرى لمواقف أهل الجمل

الزبير:

قال الامام عليّ ﷺ:

يزعم أنه – يعني الزبير – قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يُعرف، وإلاّ فليدخل فيما خرج منه[1].

وخاطب طلحة والزبير قائلاً:

لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أيّ شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه، وأيّ قسم استأثرت عليكما به، أمْ أيّ حقّ دفعه إليَّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه[2]؟

فإنْ كنتما بايعتماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإنْ كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية[3].

ثم إنّ الامام عليّاً ﷺ يحدّد في كلام له أسباب اجتماع الناكثين وخروجهم عليه، قال ﷺ:

---

[1] – شرح النهج، محمّد عبدة : ٤٢/١.

[2] – شرح النهج: ٤١٩/١.

[3] – شرح النهج: ج١١١/٢.



ألاَ وإنّ الشيطان قد ذمر حزبه، واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه.

والله ما أنكروا عليّ منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه، ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلاّ عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أُمّاً قد فطمت، ويحيون بدعة قد أُمِيتت[١].

وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان[٢]، فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة، ثمّ يُلزم كلّ أمرئ بقدر ما احتمل[٣].

وأرسل الامام عليه السلام ابن عبّاس إلى الزبير وأوصاه أنْ يقول له:

يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا[٤].

تصويره عليه السلام لخروجهم عليه

فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرّ الأمة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس

١- شرح النهج، ابن أبي الحديد: ١/٣٠٣.

٢- انظر أنساب الأشراف: ٣/٢٥.

٣- شرح النهج، محمّد عبده: ٢/١١١.

٤- شرح النهج، محمّد عبده: ١/٧٦.

رسول الله ﷺ لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة وسمع لي بالبيعة طائعاً غير مكره[١].

ثمّ يخاطب طلحة والزبير قائلاً:

فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما فإنّ الآن أعظم أمركما العار، من قبل أنْ يجتمع العار والنار[٢].

وفي موضع آخر يشير إلى أنّه استتابهما وتأنّى حتّى بدء القتال معهم، فقال عليه السلام:

ولقد استبتهما قبل القتال، واستأنيت بهما امام الوقاع، فغمطا النعمة وردّا العافية[٣].

قتل جيش برجل

ويوضح الامام عليّ عليه السلام ما فعلوا بشيعته وأنصاره، وما لقي واليه على البصرة. ثمّ يؤكّد الامام عليه السلام أنَّ له أنْ يقيدهم – بقتل جيش أهل الجمل كلّه – لقتلهم رجل مسلم بلا ذنب ولا جرم. فيقول عليه السلام:

فقدموا على عاملي بها – أي البصرة – وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً، وطائفة غدراً.
فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه، (لحل لي قتل ذلك الجيش كلّه)، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد، دَعْ ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين

١- شرح النهج محمد عبده : ١ /٣١٩.

٢- شرح نهج البلاغة : ٢ /١١١.

٣- شرح النهج، محمّد عبدة:١ /٢٥٦.

مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم[١].

لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه[٢]. فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم[٣].

كتب الامام عليه السلام لقادة حرب الجمل

كتابه إلى طلحة والزبير:

أمّا بعد: فقد علمتم أنّي لم أرد الناس حتّى أرادوني، ولم أبايعهم حتّى أكرهوني، وأنتم ممّن أرادوا بيعتي، ولم تبايعوا (لسلطان غالب، ولا لغرض حاضر) ... ودفعكم هذا الأمر قبل أنْ تدخلوا فيه كان أوسع لكم من خروجكم منه بعد إقراركم، وأمّا قولكم: أنّي قتلت عثمان بن عفّان، فبيني وبينكم مَنْ تخلف عنّي وعنكم من أهل المدينة ثمّ يلزم كلّ أمرئ بما يحتمل، وهؤلاء بنو عثمان بن عفّان فليقرّوا بطاعتي ثمّ يخاصموا قتلة أبيهم إليّ.

وبعد فما أنتم وعثمان قتل مظلوماً! كما تقولان، أنتما رجلان من المهاجرين، وقد بايعتموني ونقضتم بيعتي، وأخرجتم أمّكم من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه – والله حسبكم– والسلام[٤].

---

[١]- شرح النهج، محمد عبدة: ١/٣١٩.

[٢]- شرح النهج : ٢/٤٣٨.

[٣]- شرح النهج: : ٢/٣٦.

[٤]- الفتوح: ٢/٤٦٥.

كتاب الامام عليه السلام إلى عائشة:

وكتب الامام عليّ - عليه السلام - إلى عائشة:

أما بعد: فإنّك خرجت عاصية لله ولرسوله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس؟ تطالبين بدم عثمان، ولعمري لمن عرّضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان وما غضبْتِ حتّى أغْضبْتِ، وما هجْت حتّى هيّجتِ، فاتقي الله، وارجعي إلى بيتك[1].

وفي تاريخ ابن أعثم: فطلبتِ! - زعمتِ - بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أميّة وأنت امرأة من بني تيم بن مرّة[2].

وقد كتبت عائشة:

جلّ الأمر عن العتاب، والسلام[3].

وإنّ طلحة والزبير قد أجاباه:

يا أبا الحسن، قد سرت مسيراً له ما بعده، ولست براجع وفي نفسك منه حاجة، ولست راضياً دون أنْ ندخل في طاعتك، ونحن لا ندخل في طاعتك أبداً، واقض ما أنت قاضٍ، والسلام[4].

---

[1] - الامامة والسياسة: ١/٦٦- ٦٧.

[2] - الفتوح: ٢/٤٦٥.

[3] - الامامة والسياسة: ١/٦٧.

[4] - الفتوح: ٢/٤٦٥- ٤٦٦.

خطبة الامام عليه السلام يوم الجمل

وجمع الامام عليّ عليه السلام الناس قبل نشوب القتال، فخطبهم خطبة بليغة، وقال:

أيها الناس، إنّي قد ناشدت هؤلاء القوم كيما يرجعوا ويرتدعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إليّ أنْ ابرز إلى الطعان واثبت للجلاد،وقد كنت وما أهدد بالحروب ولا أدعى إليها وقد أنصف القارة من راماها. ولعمري، لئن أبرقوا وأرعدوا فقد عرفوني ورأوني، ألا! وإنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يمت يقتل، وإنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موته على الفراش. ثم رفع يده إلى السماء وهو يقول: اللهمّ إنّ طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة بيمينه طائعاً ثمّ نكث بيعته، اللهمّ فعاجله ولا تميّطه. اللهمّ إنّ الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدّوي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنّه ظالم، فاكفنيه كيف شئت وأنّى شئت[1].

وقد سأل الناس الامام عليه السلام بعد أنْ كلّم طلحة والزبير، فقال عليه السلام:

إنّ شأنهما لمختلف، أمّا الزبير فقاده اللجاج، ولن يقاتلكم، وأمّا طلحة فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل، ولقيته باليقين، ولقيني بالشكّ، فوالله ما نفعه حقّي، ولا ضرّني باطله، وهو مقتول غداً في الرعيل الأوّل[2].

---

[1] - الفتوح : ٢/٤٦٨.

[2] - الامامة والسياسة: ٢/٦٨١.

لم يكونوا أنصار عثمان

وروي أنَّ الامام الحسن بن عليّ ﷺ خطب يوم الجمل وقبل التحام الجيشين – ردّاً على مزاعم ابن الزبير– فحدّد هوية من يقاتلون، وإنّهم أهل باطل وليسوا بأنصار عثمان بن عفّان، قالﷺ:

> **فأمّا زعمه أنّ عليّاً قتل عثمان فقد علم المهاجرون والأنصار بأنّ أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتني عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحة راكد رأيته على باب بيت ماله وهو حيّ، فإنَّ أعظم حجّة أبيه الزبير أنّه زعم أنّه بايعه بيده دون قلبه، فهذا إقرار بالبيعة، وأمّا تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة فما يعجب من أهل حقّ وردوا على أهل باطل، ولعمري ما نقاتل (أنصار عثمان)، ولعلي أنْ يقاتل أتباع الجمل. والسلام[١].**

معاوية والناكثون

لما بلغ معاوية بن أبي سفيان خروج الزبير وطلحة وعائشة كتب إلى الزبير محرضاً له ومظهراً تأييده له، بل يخبره أن بايع له، وقد جاء في كتابه: «**أما بعد فقد بايعت لك أهل الشام؛ فأجابوا واستوثقوا كما يستوثق الجلب؛ فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لاشيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان أظفركما الله، وخذل مناوئكما**»[٢]؛ فمخيلة معاوية فضائها رحب لا يجد مكراً وغدراً، فإن

١- الفتوح: ٢/٤٦٦–٤٦٧.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١/٢٣١.

ظهرا فهما أوهون عليه إذا ما أراد أن يواجههما، وإن غلبهما علي، فهو بذلك كاسب الود القرشي المضاد في كلها لعلي. هكذا كان يقرأ معاوية الأحداث نافذاً منها مؤلفاً بينها؛كي ينتهي بها أو تنتهي به إلى غاية يسعى إليها (تولّي الأمر).



أحداث ما قبل الوقعة

انصراف الزبير:

ولمّا لم يجد الامام عليه السلام أيَّ تغير في موقف أتبـاع الجمـل، ورأى تعبـأتهم وتهيّـأهم للقتال، خرج فوقف بين الصفّين ثمّ نادى بأعلى صوته:

أين الزبير بن العوام؟، فليخرج إلي.

فقال الناس: يا أمير المؤمنينّ، أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجج في الحديد؟!

فقال رضوان الله عليه: ليس عليّ منه بأس، فامسكوا. قال: ثمّ نادى الثانية أين الزبير بن العوام؟ فليخرج إلي.

فخرج إليه الزبير، ونظرت عائشة فقالت:

واثكل أسماء! - زوج الزبير- فقيل لها: يا أمّ المؤمنين، ليس على الزبير بأس، فإنّ عليّاً بلا سلاح فأطمئنت[1].

ثم قال الامام عليّ عليه السلام:

يا زبير، قف بنا حجزة، فتواقفا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال: ويحك يا زبير، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: أما إنّ ابن عمّتك (أي الزبير) هذا سيبغي عليك ويريد قتالك ظالماً؟

---

[1]- الفتوح: ٢/٤٦٩.

قال الزبير: اللهمّ بلى، فخرج من العسكر متوجّهاً إلى المدينة، فقتله ابن جرموز بوادي السباع[١].

وقد رويت هذه الحادثة بألفاظ مختلفة في المصادر الأخرى إلاّ أنّها تتفق على قول رسول‌الله- ﷺ- للزبير: يا زبير، إنّك تقاتل عليّاً وأنت له ظالم[٢].

الزبير وعائشة:

ثمّ رجع الزبير إلى عائشة وهي واقفة في هودجها، فقالت:

ما وراؤك يا أبا عبد الله؟

فقال الزبير: ورائي والله ما وقفت موقفاً قطّ، ولا شهدت مشهداً من شرك ولا إسلام إلاّ ولي فيه بصيرة، وأنّي اليوم لَعَلّي في شك من أمرك، وما أكاد أبصر موضع قدمي!

فقالت عائشة: لا والله، ولكنّك خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنّها طول حداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها لقد خافها الرجال من قبلك[٣].

ولعبد الله بن الزبير محاورة مع أبيه تضمّنت نفس المضمون والدلالة[٤].

الامام علي عليه السلام وطلحة بن عبيد الله:

١- أنساب الأشرف: ٣ /٤٩. (موضع الوادي بين البصرة ومكة وعلى بعد خمسة أميال من البصرة). شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد، ٩ / ١١٤.

٢- الامامة والسياسة:١ /٦٨. ويراجع الفتوح:٢ /٤٦٩ ـ ٤٧٠.

٣- الفتوح:٢ /٤٧٠. شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد، ٢ / ١٦٧.

٤- أنساب الأشراف : ٥٢/٣.

إنّ الامام عليّاً عليه السلام نادى طلحة بعد انصراف الزبير، فقال:

يا أبا محمّد، ما جاء بك؟

قال: أطلب دم عثمان.

قال عليّ: قتل الله أولانا بدم عثمان[1].

قال طلحة: فخلّ بيننا وبين من قتل عثمان، أما تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّما يحلّ دم المؤمن في أربع خصال، زانٍ فيرجم، أو محارب لله، أو مرتد عن الإسلام، أو مؤمن قتل مؤمناً عمداً. فهل تعلم أن عثمان أتى شيئاً من ذلك؟

فقال عليّ: لا.

قال طلحة: فأنت أمرت بقتله.

قال عليّ: اللهم لا.

قال طلحة: فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين، فإنْ رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس، وإنْ رضوا غيرك كنت رجلاً من المسلمين.

قال عليّ: أولم تبايعني يا أبا محمّد طائعاً غير مُكره؟ فما كنت لأترك بيعتي.

قال طلحة: بايعتك والسيف على عنقي.

قال عليّ:

ألم تعلم أنّي ما أكرهت أحداً البيعة، ولو كنت مُكرِهاً أحداً لأكرهت سعداً – ابن أبي وقّاص – وعبد الله بن عمر ومحمّد بن مسلمة، أبوا البيعة واعتزلوا، فتركتهم. ثمّ قال: إنما كان لكما ألاّ ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة، وأمّا الآن فليس لكما غير ما رضيتما به، إلاّ أنْ

---

[1] - مروج الذهب، المسعودي: ٢/٣٦٤.

تخرجا ممّا بويعت عليه بحدث، فإنْ كنت أحدثت حدثاً فسمّوه لي.
وأخرجتم أمّكم عائشة وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أرضى هذا لرسول الله أنْ تهتكوا ستراً ضربه عليها، وتخرجوها منه؟
فقال طلحة: إنّما جاءت للإصلاح.
قال عليّ: هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج. أيها الشيخ، اقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل أنْ يكون العار والنار[١].

وفي المسعودي: إنّ الامام علياً عليه السلام قال لطلحة:

أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»! وأنت أوّل من بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[٢].
فقال: أستغفر الله، ثمّ رجع.
فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحة، ما أُبالي رميت ههنا أم ههنا، فرماه في أكحله فقتله[٣].

بدء القتال

إنّ الامام علياً عليه السلام قبل بدء القتال مع أهل الجمل - وكانوا قد قتلوا أحد أصحابه - دعا بمصحف، ونادى في أصحابه:

أيّها الناس، من يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟

---

[١] - الامامة والسياسة: ١/٧٠.
[٢] - سورة الفتح: ١٠.
[٣] - مروج الذهب: ٢/٣٦٤-٣٦٥.

فوثب غلام من مجاشع يقال له مسلم، عليه قباء أبيض فقال:

أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فقال له عليّ: يا فتى، إنّ يدك اليمنى تقطع، فتأخذه باليسرى فتقطع، ثمّ تُضرب عليه بالسيف حتّى تقتل.

فقال الفتى: لا صبر لي على ذلك.

ثمّ نادى عليّ الثانية والمصحف في يده.

فقام إليه ذلك الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله.

ثمّ أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم، فقال: يا هؤلاء، هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم. قال: فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها، فأخذ المصحف بشماله فقطعت، فاحتظن المصحف بصدره، فضرب على صدره حتّى قتل رحمه الله[1].

فقال عليّ: الآن حلّ قتالهم.

وقالت أمّ الفتى - مسلم - بعد ذلك ترثيه:

لا هم إنّ مسلماً دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

وأُمّهم قائمة تراهم يأتمرون الغيّ لاتنهاهم قدخضبت من علق لحاهم[2]

عدد من حضر وقعة الجمل

اختلفت المرويّات في عدد جند الامام عليّ عليه السلام، وعدد جند المرأة كما اختلفوا في قتلى الفريقين أيضاً بين مقلّ ومكثر.

---

[1] - الفتوح:٢ /٤٧٢-٤٧٣.

[2] - تاريخ الطبري : ٥ /٥٤٦.

وقد ذكروا أنّ من حضر مع الامام عليّ عشرون ألفاً، وأما عائشة فكانت في ثلاثين ألفاً ويزيدون[1].

بيعة أهل البصرة

وبعد أنْ انتهت المعركة، دخل الامام عليّ عليه السلام البصرة، فبايعه أهلها على رايتهم، حتّى الجرحى والمستأمنة، ثم إنّه عليه السلام ولّى عبد الله بن عبّاس البصرة[2].

كتاب الامام عليه السلام إلى عامله بالكوفة

وكتب عليّ بالفتح إلى عامله بالكوفة:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين.

أما بعد: فإنّا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخُرَيبَة – فناء من أفنية البصرة – فأعطاهم الله عزّ وجلّ سنة المسلمين وقتل منّا ومنهم قتلى كثيرة[3].

ترحيل عائشة إلى المدينة

وأمر الامام عليّ عليه السلام ابن عبّاس أنْ يذهب إلى عائشة، فيقل لها:

أنْ ترتحل إلى المدينة، وفعلاً جُهِّزت، وأمر الامام عليّ عليه السلام أنْ يُرسل معها أربعين امرأة – وفي رواية (سبعين)– وأنْ يتزيين بزي رجال، عليهم عمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقها: فعل بي عليّ

---

[1] – الفتوح:٢ /٤٨٧.

[2] – أنساب الأشراف : ٣ /٦٢.

[3] – تاريخ الطبري: ٥/٥٧٩.

وفعل، ثمّ وجّه معي رجالاً يردّوني إلى المدينة! فسمعتها امرأة منهن فحرّكت بعيرها حتّى دنت منها ثمّ قالت: ويحكي يا عائشة، أما كفاك ما فعلت حتّى إنّك الآن تقولين في أبي الحسن ما تقولين! ثمّ تقدّمت النسوة وسفرن عن وجوههن، فاسترجعت عائشة، واستغفرت[1].

وكان لبعض الصحابة - عمّار بن ياسر - محاورة وحديث مع عائشة، وكذا إنّ محمّد بن أبي بكر جاءها لائماً لما كان منها، وتركها لبيتها ومجيئها محاربة لأمير المؤمنين عليه السلام[2].

ثم إنّ الامام عليّاً عليه السلام بعد مبايعة أهل البصرة له وتأميره لعبد الله بن عبّاس على البصرة وزياد على خراجها، قصد الكوفة بمن معه.

---

[1]- الفتوح: ٢/٤٨٦-٤٨٧.

[2]- راجع تاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب، وتاريخ الطبري (وقعة الجمل) حول محاورات عمّار ومحمّد بن أبي بكر وابن عبّاس مع عائشة.

سيرة الامام ﴿ع﴾ مع أهل الجمل

١- أنْ لا يحمل على جريح.

٢- أنْ لا يُتبع هارب.

٣- أنْ لا تهاج امرأة.

٤- أن يأخذ السلاح الذي قوتل به، وما كتب عليه اسم السلطان يرجع إلى بيت المال.

٥- أن لا تُسبى النساء والأطفال.

ثمّ كانت سيرته حجّة اتبعها فقهاء المسلمين وعلماؤهم، حتّى قيل: لو لا قتال عليّ أهل القبلة ما عرفنا حُكم قتالهم.

ومن خلال تتبّع المنقول التاريخي في المصادر المختلفة يتحصل:

١) إنّ أمير المؤمنين ﴿ع﴾ لم يحدث أمراً أو يبدل سُنّةً.

٢) لم يكتب له أو يحاججه أيّ من أهل الجمل قبل خروجهم عليه.

٣) ثبت من خلال أحداث ومواقف مختلفة أنّ أوّل من بايع الامام علياً ﴿ع﴾ طلحة مختاراً لا مُكرها، وكذا الزبير بن العوام لم يُكره على البيعة.

٤) عدم إكراه الامام ﴿ع﴾ لبعض الصحابة، كسعد بن أبي وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وزيد بن حارثة، وغيرهم، ولم يُكره عبد الله بن عمر على بيعته، دليل يضاف على عدم إكراه طلحة والزبير.

٥) إنّ أصحاب الجمل هم اليد الطولى في مقتل الخليفة؛ لذا طلب الامام عليه السلام منهم أنْ يقرّ له ولد عثمان بالبيعة ومن ثمّ يتحاكمون إليه، وإنّه سيقتصّ ممّن شرك في دم عثمان بن عفّان.

٦) إنّ الامام عليه السلام أتّهم قادة الجمل بقتل عثمان بن عفّان.

٧) لم يبدأ الامام القتال حتّى قتلوا جماعة من أصحابه وشيعته، وحتّى أعذر وأنذر، ولما لم يستجيبوا له قاتلهم؛ لأنّه كان يرى عدم قتالهم (كفر بما أُنزل على رسولالله صلى الله عليه وآله).

٨) وإنّ معاوية في أحد كتبه إلى الامام عليّ عليه السلام يقول:

(ولا حجّتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير، كانا بايعاك فلم أبايعك أنا)[1].

وفي قول معاوية تأكيد لبيعة طلحة والزبير، ومن يبايع ليس له أنْ ينقض إلاّ بحدث من الخليفة أو تبديل، فيجوز خلعه ومبايعة غيره؛ وهذا ما لم يُشر إليه المنقول التاريخي.



---

[1] - العقد الفريد: ٤/٣٣٣.

القاسطون

وقعة صفين

بعد مقتل قادة الجمل وما أصيبوا به من هزيمة نكراء، ومبايعة أهل البصرة؛ توجه الامام علي عليه السلام إلى الكوفة بمن كان معه ممن خرجوا من المدينة أو التحقوا به عليه السلام خلال مسيره إلى البصرة؛ وعند دخوله الكوفة بدء بالتعبئة وحث المسلمين من مهاجرين وأنصار، وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله لقتال القاسطين، معاوية وأهل الشام ومن انضم إليهم، وإنّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي أطلق عليهم هذه التسمية: "القاسطون ".

وقد أتضح سابقاً – خلافة عثمان – أن أحد الأسباب التي أثارت المسلمين على عثمان بن عفان، فساد ولاته وسوء تصرفاتهم، لذا كانت أولى خطوات الامام في الآصلاح الآداري أمر بعزل ولاة عثمان، وتولية أكفاء وثقات بدلاً عنهم، ولم يعبأ بمشورة ابن عباس، والمغيرة في إبقاء معاوية على ولاية الشام وما حولها[1]، ثم كان عصيان معاوية واعتزاله بالشام وأهلها، وكان قد وليها أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان[2]، وكان معاوية خرج إلى الشام في بداية

---

[1]- ضم عثمان الأجناد الأربعة، يراجع: تاريخ اليعقوبي: ٢/١٢٧- ١٧٨، وتاريخ الطبري (٨- مجلدات): ٢/ ٥٨٥، ٣/ ٩٨ . طبعة مؤسسة الأعلمي- بيروت.

[2]- أسلم يزيد يوم فتح مكة (سنة ٨هجرية)، وتوفي بالطاعون عام (١٨هجري) في خلافة عمر بن الخطاب. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، وفاته عام ٣٦٣هـ: ١/٨٨.

خلافة أبي بكر وبقي فيها إلى أن مات سنة(٦٠) هجرية، أي انه حين تولى الامام علي عليه السلام الخلافة كان قد مضى على وجوده في الشام حوالي (٢٠) عاماً أو تزيد على ذلك، مما ساعده في تقوية مركزه وأن يأتلف أهل الشام، ولم يتولى عليهم غيره خلال هذه الفترة مما عمق وجذر وجوده فيها، ولذا كان الشاميون أهل طاعة وسمع له، ثم إنّه قد صاهرهم فقوى نفوذه في الشام وامتدت سلطته إلى فلسطين وغيرهما.

ويضاف إلى ذلك قلة مخالطة أهل الشام لأهل الأمصار، الحجاز وغيرها وليس فيهم المهاجر ولا الأنصاري، ومعاوية من مسلمة الفتح، فصحب ذلك قلة معرفة أهل الشام بكثير من الأمور المتعلقة بالرسالة وتفصيلاتها مما مهد لمعاوية أن ينفصل بها ويمتنع عن بيعة الخليفة الشرعي الامام علي عليه السلام، ومن ثم الخروج عليه وقتاله، ولم يجد معارضة من الشاميين، بل وجد التأييد والطاعة والانقياد له، علماً أنه ليس من أهل السابقة ولا من المهاجرين، بل شارك قريش مع أبيه وأخوته في حروبها ضد الرسول صلى الله عليه وآله حتى فتحت مكة عام (٨ هجرية).

ولم يكن معاوية يتورع عن اتخاذ أية وسيلة تمكنه من السيطرة والاستيلاء على السلطة والخلافة، حتى روي أنه قد دعا إلى بيعته بعد مقتل عثمان، وكان يشيع في أهل الشام أن علي بن أبي طالب، لا يصوم ولا يصلي، وأنه قتل عثماناً وألب عليه، حتى أن أحد رجالات الشام في بداية معركة صفين إلتقاه هاشم المرقال وكان يسب الامام عليه السلام والصحابة، وقال لهاشم أن صاحبكم لا يصوم ولا يصلي، وحاوره هاشم حتى رجع ذلك الشخص عما كان يتبناه، واتضح له أن الامام عليه السلام ومن معه من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله هم أهل الحق وأن معاوية قد أغرى وخدع أهل الشام.

كما كان من وسائل معاوية محاولته شراء الذمم، فقد كاتب الكثير ممن كانوا مع الامام علي عليه السلام يمنيهم ويغريهم، ففشل مع الأغلب منهم، ونجح مع البعض ممن كانت همته الدنيا، كالأشعث بن قيس وغيره.

وكان الامام علي عليه السلام في بدء مكاتباته لمعاوية يدعوه وأهل الشام إلى كتاب الله تعالى، كما دعاه إلى أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون كافة، ومن ثم صرح له الامام عليه السلام أن يحاكم قتلة عثمان، ولم يكن هم معاوية إلاّ السلطة والتسلط، ولم يستنكر عليه أهل الشام أمراً؛ ولما كانت وقعة صفين ودارت رحى الحرب ضد معاوية وكاد أن يفر، لولا خديعة عمرو ابن العاص برفع المصاحف، واختلاف وافتراق أصحاب الامام علي عليه السلام.

وقد سميت «وقعة صفين» بذلك لأنها حدثت في موضع - صفين- بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي[١]، شرقي بلاد الشام[٢]. وقد حدثت في غرة صفر عام ٣٧ هـ

أطراف الصراع:

- الامام علي عليه السلام الخليفة الشرعي، ومعاوية بن أبي سفيان والي عثمان على الشام.

- جيش الامام علي عليه السلام، يكون من المهاجرين والأنصار - صحابة النبي صلى الله عليه وآله- وأهل البصرة واليمن والكوفة وغالبية المسلمين وكان تعداد جيش الامام عليه السلام بين (٩٠

١- معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣/٥٧١.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٧/٢٦٨.

-١٢٠) ألف مقاتل. وقتل منهم خمسة وعشرون ألفاً، منهم ستة وعشرون رجل من أهل بدر[١].

- جيش معاوية (القاسطون): وكان أغلبه من أهل الشام وبعض قبائل اليمن الذين نزلوا الشام ولم يكن فيه إلاّ مسلمة بن مخلد والنعمان بن بشير من الأنصار، ولم يذكر المؤرخون مشاركة لأصحاب الرسول ﷺ مع معاوية بن أبي سفيان.

وكان تعداد جيشه بين (٨٥ ـ ٩٠) ألف مقاتل[٢]. وقد قتل في المعركة منهم خمسون وأربعون ألفا.

ويذكر اليعقوبي أنه كان مع علي من أهل بدر سبعون رجلا، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل.

قميص عثمان:

ولما قتل عثمان بن عفان، كتبت نائلة بنت الفرافصة - زوج عثمان- إلى معاوية تخبره بكيفية قتل عثمان وما آل إليه أمره، ثم أرسلت النعمان بن بشير الأنصاري إلى معاوية بقميص عثمان وعليه دمه، وعقدت شعر لحيته في زر قميصه[٣]، ولما وصل النعمان إلى معاوية، جعل معاوية القميص على المنبر في مسجد دمشق وجمع حوله أهل الشام وتباكى وأبكاهم مطالباً بدم الخليفة المقتول واشتد أهل الشام على معاوية

---

[١]- معجم البلدان: ٣/٥٧١.

[٢]- تاريخ المسعودي: ٣/٣٧٥، ويراجع البداية والنهاية: ٧/٢٧٢.

[٣]- الامامة والسياسة: ١/٤٥.

فدعوه للثأر والمطالبة بدم الخليفة وقتل من ساهم في قتله[1].

سير الأحداث:

مبعوث الامام عليه السلام إلى معاوية

لقد أرسل الامام علي عليه السلام جرير البجلي إلى معاوية، وقال له:

أيت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلاّ فانبذ إليه، وأعلمه أني لا أرض به أميراً، وأن العامة لا ترضى به خليفة.

فاِنطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية - فدخل عليه - وأخبره باجتماع الناس من أهل الحرمين ومصر وأهل الحجاز، واليمن وأهل العروض وعمان والبحرين واليمامة، فلم يبق إلاّ أهل هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها. ومن ثم قال جرير لمعاوية: وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل. ودفع إليه كتاب علي ابن أبي طالب[2].

نص كتاب الامام علي عليه السلام لمعاوية؛ وقد أرسله إليه بعد وقعة الجمل:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت في الشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان. فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.

وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه

---

[1] - وقعة صفين، نصر بن مزاحم:٣٢.

[2] - تاريخ الطبري: ٥/٦٠٠.

اماماًكان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه! فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا.

وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي؛ فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية، إلاّ أن تتعرض للبلاء ...

وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن ثدي أمه، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان[(١)] .

واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى.

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة، فبايع ولا قوة إلاّ بالله[(٢)] .

وروى ابن أعثم، إنّ الامام علي ﷺ أرسل الحجاج بن عمر بن غزية الأنصاري إلى معاوية بكتاب، فلما دخل على معاوية قال له:

أظنك ممن قتل عثمان بن عفان!

---

[١]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة، تحقيق د. طه الزيني: ١/٨٥.

[٢]- وقعة صفين: ٢٩.العقد الفريد : ٤/٣٣٤-٣٣٣، ويراجع الفتوح: ابن أعثم: ٢/٥٠٦.، للمقارنة بين نص الكتاب فيهما.

فقال الأنصاري: وأظنك يا معاوية ممن استنصره عثمان فلم ينصره ولكن خذله وقعد عنه، فغضب معاوية وقال: ارجع إذاً لصاحبك بغير جواب فإن رسولي في أثرك إن شاء الله تعالى[1]. وقيل أن معاوية أرسل كتاباً للامام علي عليه السلام لم يضمنه إلاّ بسم الله الرحمن الرحيم.



[1]- الفتوح : ٢/٤٩٨-٤٩٥.

مبايعة أهل الشام

لما ورد على معاوية النعمان بن بشير بكتاب (نائله بنت الفرافصة): قال أهل الشام لمعاوية:

هو ابن عمك – أي عثمان – وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوه أميراً عليهم، وكتب وبعث الرسل إلى كور – مدن – الشام، وكتب إلى شرحبيل بن السمط الكندي وهو بحمص. يأمره أن يبايع له بحمص كما بايع له أهل الشام، فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشراف أهل حمص؛ فقال لهم: ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن بايع لمعاوية أميرا، وهذه سقطة، ولكنا نبايع له بالخلافة، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة؛ فبايع هو وأهل حمص لمعاوية بالخلافة – مع أن البيعة الشرعية كانت سابقة من أهل الحل والعقد لعلي في المدينة – ثم كتب إلى معاوية: أما بعد: فإنك أخطأت خطأ عظيماً حين كتبت إلي أن أبايع لك بالإمرة، وإنك تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة، وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة[1]؛ فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك، ودعا الناس، وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل، ودعاهم إلى بيعته بالخلافة، فأجابوه، ولم يتخلف منهم أحد، فلما بايع القوم له

---

[1] – وكان ذلك أواخر عام (٣٥) وبداية عام (٣٦).

بالخلافة، واستقام له الأمر، كتب إلى علي[1].

كتاب معاوية

سلام الله على ما اتبع الهدى. أما بعد، فإن كنا نحن وإياكم يدأ جامعة، وألفة أليفة، حتى طمعت يابن أبي طالب فتغيرت، وأصبحت تعد نفسك قوياً على من عاداك، بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط (أهل مصر) وغوغاء السواد وأيم الله لينجلين عنك حمقاها، ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء؛ قتلت عثمان بن عفان، ورقيت سلماً أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك. وقتلت الزبير وطلحة، وشردت بأمك عائشة، ونزلت بين المصريين (البصرة والكوفة) فمنيت وتمنيت، وخيل لك أن الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وأن تعرف أمنيتك لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقية الإسلام، فيحيطون بك من ورائك، ثم يقضي الله علمه فيك، والسلام على أولياء الله[2].

كتاب الامام عليه السلام لمعاوية

أما بعد، فقدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جند، ولا يشتغل بالهزل من قوله، فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق، أوثق عندي من قوتي بالله ومعرفتي به؛ فليس عنده بالله يقين من كان على هذا، فناج نفسك مناجاة من يستغني بالجد دون الهزل، فإن في القول

[1]- الامامة والسياسة: ١/٧٤.

[2]- الامامة والسياسة: ١/٧٤-٧٥.

سعة، ولن يعذر مثلك فيما طمع إليه الرجال.

وأما ما ذكرت من أنا وإياكم يداً جامعة فكنا كما ذكرت، ففرق بيننا وبينكم أن الله بعث رسوله منا، فآمنا به وكفرتم، ثم زعمت أني قتلت طلحة والزبير، فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره، ولو حضرته لعلمته، فلا عليك، ولا العذر فيه إليك، وزعمت أنك زائري في المهاجرين، وقد انقطعت الهجرة حين أسر أخوك، فإن يك فيك عجل فاسترفه – تأنّ واسترح – وإن أزرك فجدير أن يكون الله بعثني عليك للنقمة منك، والسلام[1].

كما كتب معاوية إلى الامام ﷺ يذكر فيه أن الله اصطفى نبيه وجعله الأمين على وحيه، وإن الله اختار من المسلمين له أعوانا، وذكر فيه أنه كان أفضلهم وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة، والخليفة الثالث. ويشير معاوية في كتابه إلى أنّ الامام ﷺ قد حسدهم، وبغى عليهم، ويعلل معاوية ذلك بقوله: (عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك على الخلفاء...).

فأجابه الامام علي ﷺ بكتاب ضمنه صدق وعد الله سبحانه للرسول ﷺ بالنصر وتمكينه في البلاد، كما ذكر أن الله أظهره على الأعادي من قومه – تعريض بمعاوية وبني أمية، فهم قادة الأحزاب– الذين أظهروا له التكذيب، وألبوا عليه العرب، ونابذوه بالعداوة، وظاهروا على إخراجه وإخراج اصحابه، وخربوا الأحزاب، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

وذكرت أن الله أختار من المسلمين أعواناً أيده بهم، فكانوا في منازلهم عنده على

---

[1]- الامامة والسياسة: ١/٧٥.

قدر فضائلهم في الآسلام ... وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً فإن كان محسناً فسيلقى ربا شكوراً يضاعف الحسنات ويجزيه الثواب العظيم. وإن يك مسيئاً فسيلقي رباً غفوراً، لا يتعاظمه ذنب يغفره[1].

سهم أهل البيت عليهم السلام

ولعمري إني لأرجو إذا الله أعطى الأسهم أن يكون سهمنا «أهل البيت» أوفر نصيب، وايم الله، ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنصح لله في طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله في طاعة الله، ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف، من هؤلاء النفر من أهل بيته، الذين قتلوا في طاعة الله عبيد بن الحارث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وجعفر بن أبي طالب يوم مؤته، وفي المهاجرين خير كثير، جزاهم الله بأحسن أعمالهم[2].

الإبطاء عن الخلفاء:

وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إياهم والبغي عليهم؛ فأما البغي، فمعاذ الله أن يكون[3]، وأما الكراهة لهم، فو الله ما أعتذر للناس من ذلك[4].

---

[1]- المناقب، الموفق أحمد بن محمد الخوارزمي: ٢٥٢.

[2]- أنساب الأشراف البلاذري: ٣/٦٩.

[3]- ففي معركة نهاوند كان الامام (ع) الوحيد من بين الصحابة الذين أشار على عمر بن الخطاب أن لا يخرج لقيادة الجيش الاسلامي لأن الفرس سيبذلون جهدهم لقتله كي يُهزم المسلمون، الفتوح :١/٢٨٩- وما بعدها.

[4]- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٥/٧٨.

البغي على عثمان

وذكرت بغي على عثمان وقطعي رحمه، فقد عمل عثمان بما قد علمت، وعمل به الناس ما قد بلغك.

فقد علمت أني كنت من أمره في عزلة، إلاّ أن تجنى، فتجن ما شئت[1].

قتلة عثمان

وأما ذكرت من أمر قتلة عثمان فأني نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل، ولا بر ولا بحر[2].

طلب البيعة

وقد كان أبوك أبو سفيان أتاني حين توفي رسول الله ﷺ فقال:

أبسط يدك أبايعك، فأنت أحق الناس بهذا الأمر.
فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين لقرب عهد الناس بالكفر؛ فأبوك أعلم بحقي منك، وإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك. وإلاّ فنستعين الله عليك[3].

وإن الامام علياً عليه السلام يستنكر على معاوية، أن يتدخل في أمر الخلافة وأمور المسلمين بأي مستوى كانت، لعدم أهليته لذلك قال عليه السلام:

---

[1]- المناقب، الموفق الخوارزمي: ٢٥٢، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٧- ٧٨.

[2]- وقعة صفين: ٩١.

[3]- العقد الفريد : ٤/ ٣٣ - ٣٥- ٣٦.

(... وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم [١].

الإيمان يجمع ويفرق

الامام علي ﷺ يقول لمعاوية:

أما بعد فقد كنا وإياكم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم؛ أمس أن آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها [٢].



[١]- نهج البلاغة، ترتيب صبحي الصالح: كتاب: ٣٨٤/٤٨-٣٨٥.

[٢]- شرح النهج، محمد عبده: ١٢٢/٢.

الراهب والامام علي ﷺ

لما أتى علي الرقة نزل على شاطئ نهر البليخ على جانب الفرات؛وكان هناك راهباً؛ فنزل من الصومعة، فقال يا أمير المؤمنين: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم ﷺ أعرضه عليك؟ فقال علي: نعم! فقرأ الراهب الكتاب.

(بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى وسطر فيما سطر؛وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله، لا غظ ولا غليظ، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل شرف، وفي كل صعود وهبوط، وتذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير وينصره الله على كل من ناوأه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم يمر رجل من أمته بشاطئ الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد - أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة).

ثم قال لعلي: أنا صاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك،

فبكى علي، ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار[١].

وإن الراهب قد صحب الامام علي ﷺ حتى أصيب يوم صفين، وصلّى عليه الامام ﷺ ودفنه.

كتاب الامام علي ﷺ لجرير البجلي:

كان جرير بن عبد الله البجلي والياً لعثمان بن عفان على ثغر همدان فكتب - الامام علي ﷺ - إليه مع زحر بن قيس الجعفي:

نص الكتاب:

(أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دون من وال.وإني أخبرك عن نبأ من سرنا إليه من جموع طلحة والزبير، عند نكثهم بيعتهم، وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف.

إني هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار، حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، فاستنفروهم فأجابوا، فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت في الدعاء،وأقلت العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلاّ قتال، فاستعنت بالله عليهم، فقتل من قتل وولوا مدبرين إلى مصرهم، فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل

---

[١] - وقعة صفين: ١٥- ١٦ وفي الامامة والسياسة أن مبعوث الامام(ع) هو زحر بن قيس. الفتوح: ٤٧٢/٢. دار الندوة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

اللقاء، فقبلت العافية، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبد الله بن عباس، وسرت إلى الكوفة. وقد بعثت إليكم زحر بن قيس. فاسأل عما بدا لك)[١].

موقف جرير البجلي

وأما موقف جرير من كتاب أمير المؤمنين، فإنه بايع وأخذ بيعة من قبله، وسار حتى قدم الكوفة[٢]، ولما قرأ جرير الكتاب قام، فقال:

أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه.

وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها.

ألا، وإن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة، وعليّ حاملكم على الحق ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم[٣].

كتاب الامام عليه السلام للأشعث بن قيس:

وكان الأشعث والي الخليفة الثالث عثمان بن عفان على أذربيجان - وإن عمرو بن عثمان قد تزوج ابنة الأشعث قبل ذلك- فكتب إليه علي:

(أما بعد، فلولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل

---

[١]- الأخبار الطوال: ١٥٦.

[٢]- وقعة صفين: ١٦.

[٣]- وقعة صفين: ١٢٠-١٢١.

الناس، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً، إنْ أتقيت الله، ثم إنّه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك، وكان طلحة والزبير ممن بايعاني ثم نقضا بيعتي على غير حدث، وأخرجا أم المؤمنين وسارا إلى البصرة، فسرت إليهما فالتقينا، فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا، فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية.

وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه أمانة، وفي يديك مال من مال الله، وأنت من خزان الله عليه تسلمه إليّ، ولعلي ألا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت. ولا قوة إلاّ بالله)[1].

موقف الأشعث:

وبعد أن قرأ الأشعث الكتاب قام زياد بن كعب خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس. إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان، ولم يشف منه الخبر، غير أن من سمعه كمن عاينه، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به، وإن طلحة والزبير نقضنا بيعة علي على غير حدث، وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار إليهم[2]، فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة، فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين[3].

ثم قام الأشعث بن قيس خطيبا، فقال:

---

[1]- الامامة والسياسة: ١/٨٣.

[2]- وقعة صفين: ٢١.

[3]- الامامة والسياسة: ١/٨٣.

أيها الناس، إن عثمان ولاني أذربيجان، وهلك وهي في يدي، وقد بايع الناس عليا، وطاعتنا له لازمه، ولاني وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك.

وأنشأ الأشعث بن قيس أبياتاً من الشعر منها:

أتانا الرسول رسول علي فسر بمقدمه المسلمونا

رسول الوصي وصي النبي له الفضل والسبق في المؤمنينا

بما نصح الله والمصطفى رسول الآله النبي الأمينا

يجاهد في الله، لا ينثني جميع الطغاة مع الجاحدينا

وزير النبي وذو صهره وسيف المنية في الظالمينا

وكم بطل ماجدٍ قد أذاق منية حتف، من الكافرينا

وكم فارس كان سال النزال فآب إلى النار في الآئبينا

فذاك علي امام الهدى وغيث البرية والمقمحينا[1]

واستشار الأشعث قومه حول مصيره إلى معاوية، فردوه وقالوا له: إن في ذلك العار، فقدم على الامام علي عليه السلام في الكوفة مع أشراف قومه[2].

---

[1] - وقعة صفين: ٢٣.

[2] - يراجع وقعة صفين :١٣٠، والأخبار الطوال : ١٥٤.

وقعة أهل الجزيرة

وكانت هذه الوقعة[1] قبل صفين، وسببها أن معاوية بعث الضحاك بن قيس للآغارة على أهل الجزيرة، والتي اجتمع فيها من قد هربوا من الكوفة والبصرة بعد هزيمة أهل الجمل، وإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وجه إليها وإلى الموصل وغيرها مالك الأشتر والياً، فالتقى بالضحاك في وقعات انهزم الأخير فيها وكان معاوية قد أمده بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبقي الأشتر يطاردهم حتى ضبط الجزيرة ضبطاً محكماً[2] حتى كانت صفين فالتحق بالامام عليه السلام.

القاسطون / تداول وتحالفات

وهم معاوية وأهل الشام ومن انضم إليه في قتال أمير المؤمنين عليه السلام.

بعد قدوم رسول الخليفة الشام ومقابلته لمعاوية، ومن ثم قراءة كتاب الخليفة جمع معاوية ذويه، وأخبرهم بطلب الامام علي أن يبايعه أو أن يذهب إلى مقابلة الامام عليه السلام مع وفد من أهل الشام، مع علم معاوية أن الامام علي عليه السلام لا يوليه الشام ولا سواها، وكان ذلك قد اتضح من حديث الامام عليه السلام مع المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عباس والامام لم يزل في المدينة وقبل صدوره منها إلى البصرة ثم إلى الكوفة، وقبل خروج الناكثين إلى البصرة.

وحين اجتمعوا إلى معاوية أشاروا عليه أن يستعين بعمر وبن العاص ويستميله بشيء حتى ينحاز إليه.

---

[1]- الفتوح: ٢/٤٩٣-٤٩٤.

[2]- أنساب الأشراف: ٣/٧٢، الغارات، محمد بن إبراهيم الثقفي، وفاته عام ٢٨٣، مطبعة بهمن، إيران: ١/٣٢٤.



كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

(أما بعد: فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير؛ ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان في جماعة من أهل البصرة ممن رفض علياً وأمره، وقدم عليّ جرير بن عبد الله يدعونا إلى البيعة له أو إيذان بحرب[1] وحبست نفسي عليك حتى تأتيني، فاقدم عليّ على بركة الله وتوفيقه)[2].

استشارة غير ملزمة

عمرو وولديه:

فلما أتاه كتاب معاوية استشار عمرو ولديه عبد الله و محمد، فقالا له:

أيها الشيخ، إنّ رسول الله ﷺ قبض وهو عنك راض و مات أبو بكر و عمر، وهما عنك راضيان، فإياك أن تفسد دينك لدنيا تصيبها من معاوية فتكب كبأ في النار[3].

وأما عثمان فإنه قتل وأنت عنه غائب، وقد وسع الله عليك فاقعد في بيتك، فإنك لا تطمع أن تكون خليفة، وليس ينبغي لك أن تكون حاشية معاوية على دنيا قليلة زائلة عن أهلها[4].

---

[1] - الأخبار الطوال: ١٥٧.

[2] - أنساب الأشراف: ٣/٧٢- ٧٣.

[3] - الفتوح : ٢/٥١٠-٥١١.

[4] - وقعة صفين: ٣٤.

وفي وقعة صفين قال عبد الله لأبيه:

(فقر في منزلك فلست مجعولاً خليفة، ولا تزيد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، أوشك أن تهلك فتشقى فيها)[1].

وقال محمد بن عمرو:

أنت ناب من أنياب العرب، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر.

قال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بالذي هو خير لي في آخرتي، وأسلم في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بالذي أنبه لي في دنياي وشر لي في آخرتي، ثم قدم على معاوية ومعه ولديه، فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان.

معاوية و عمرو

دخل عمرو بن العاص وولديه على معاوية وكانوا يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو: أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة لمظلوم - ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو - فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك! انصرف إلى غيره؛ فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لعجب لك! إني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني! أما والله إنْ قاتلت معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية وعطف عليه[2].

---

[1] - الفتوح: ٢/٤٩٧.

[2] - الفتوح: ٢/٤٩٥ .

الوليد بن عقبة ومعاوية

لما علم الوليد بن عقبة بكتاب علي إلى معاوية، فكتب أبياتاً يـأمر معاويـة أن لا يجيب علياً بشيء مما يريد ويحرضه على حرب علي، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

معاوي إن الملك قد جب غاربه وأنت بها في كفك اليوم صاحبه[1]

أتاك كتاب من علي بخطة هي الفصل فاختر سلمه أو تحاربه

ولا تدعن الملك والأمر مقبل تطلب ما أعيت عليك مذاهبه

فإن كنت تنوي أن تجيب كتابه فقبح ممليه وقبح كاتبه

ومنها:

معاوي إن الشام شامك فاعتصم شامك لا تدخل عليك الأفاعيا

وحام عليها بالقنابل والقنا ولاتك محشوش الذراعين وانيا[2]

وأشار الوليد في شعره إلى كتاب الامام علي عليه السلام:

وإن كتاباً يا ابن حرب كتبته على طمع يزجى إليك الدواهيا[3]

وقد سر معاوية وفرح بورود كتاب الوليد إليه، وعزم على مخالفة علي رضي الله عنه. ثم كتب كتاباً إلى الامام علـي عليه السلام لم يتضـمن إلاّ ﴿بسـم الله الـرحمن الـرحيم﴾، وأرسله بيد رجل من (عبس)[4].

---

[1] - صفين: ٥٣، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/٨٥.

[2] - صفين: ٥٣.

[3] - الفتوح، :٢ ص ٤٩٥-٤٩٦.

[4] - الفتوح :٢ ص٤٩٧.تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمـي، بـيروت لبنـان

قدم رسول معاوية الكوفة فدخل على عليّ رضي الله عنه، وعنده المهاجرين والأنصار، فسلم ثم التفت يميناً وشمالاً فقال: ههنا أحد من بني عبس أو من ابناء قيس بن عيلان؟

فقيل له: نعم، هات ما عندك!

شيوخ الشام والقميص

لما وصل مبعوث معاوية (العبسي) إلى الكوفة قال:

عندي والله من الخبر أني قد تركتُ بالشام خمسين ألف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم على قميص عثمان، وانهم قد عاهدوا الله عزّ وجلّ أنهم لا يشيمون سيوفهم في أغمادها أبداً ؛ حتى يقتلوا من قتل عثمان، يوصي به الميت الحي ويرث الحي عن الميت[1] . و همّ الناس بالعبسي – أي أرادوا قتله – وقاموا إليه بالسيوف.
فقال علي رضي الله عنه: دعوه فإنه (رسول)، ولكن خذوا منه الكتاب، فأخذوا الكتاب من يده ودفع إلي علي؛ فلما فضه لم ير فيه شيئاً أكثر من:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

ثم إنّ العبسي رسول معاوية قام إلى علي رضي الله عنه فقال:

يا أمير المؤمنين! والله لقد أقبلت وأنا من أشد الناس عليك حنقاً لما

(٨ مجلدات): ٣/ ٤٦٤.

[1] – الفتوح: ٢، ص٤٩٧ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤/ ٤٠ .



أخبرني عنك أهل الشام، وقد والله أبصرت الآن ما فيه أهل الشام من الضلال وما أنت عليه من الهدى[1] ، ولاء الله ما كنت بالذي أفارقك أبداً ولا أموت إلاّ تحت (ركابك).

ثم إنّه كتب إلى معاوية أبياتاً مطلعها:

كدت أهل العراق بالبلد الشام شفاها وكان كيدي ضعيفاً[2]

كتاب معاوية إلى شرحبيل:

وكتب معاوية كتاباً يحرض فيه شرحبيل للطلب بدم عثمان وكان شرحبيل هذا من وجوه أهل الشام.

فكتب إليه:

(إن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر فظيع، فاقدم)، كما دعا معاوية: يزيد بن أسد، وبسر بن أرطاة، وعمرو ابن سفيان، ومخارق بن الحارث الزبيدي، وحمزة بن مالك، وحابس بن سعد الطائي - وهؤلاء من الوجوه - فأمرهم أن يلقوه - أي شرحبيل بن السمط - ويخبروه أن علياً قتل عثمان[3] .

وقال عبد الرحمن بن غنم الأزدي - وكان أفقه أهل الشام -:

إن الله لم يزل يزيدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم، وإنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما يقوم حتى

---

[1]- الامامة والسياسة، الدينوري: ٧٧.

[2]- الفتوح، ابن أعثم الكوفي، دار الندوة الجديدة،بيروت، لبنان، بدون تاريخ:٢/ ٣٥٩.

[3]- صفين: ٤٥.

يغيروا ما بأنفسهم، إنه قد ألقي إلينا قتل عثمان، وأن عليا قتل عثمان، فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكام على الناس، وإن لم يكن قتله فعلام تصدق معاوية عليه؟ لا تهلك نفسك وقومك[١].

وعمد معاوية للتغرير بشرحبيل، فقال له:

إن جرير يدعونا إلى بيعة علي، وعلي خير الناس لولا أنه قتل عثمان، وقد حبست نفسي عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام، أرضى ما رضوا، وأكره ما كرهوا. ثم إنّ شرحبيل قال، لمعاوية: أبى الناس إلاّ أن علياً قتل عثمان. ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك[٢].

مبايعة عمرو بن العاص

لقد بايع عمرو بن العاص معاوية ووافقه على محاربة علي. وكان عمرو ابن العاص: مشترط على معاوية أن يعطيه أرض مصر حتى يشترك معه، ويسانده ضد الامام علي عليه السلام. وأشار عمرو في حديثه إلى أنه ومعاوية كانا قد خذلا عثماناً، وإن عثمان قد استنصر معاوية فخذله، وهو محصور في المدينة.

ثم قال عمرو لمعاوية؛

لا أعطيك من ديني شيئاً أو آخذ منك مثله، فهات ما الذي تعطيني، فقال معاوية: أعطيك رضاك، قال عمرو: رضاي أرض مصر.

---

[١]- صفين: ٤٧.

[٢]- الفتوح: ٢/٥١٣.

قال معاوية: إن مصر كالعراق.

قال عمرو: صدقت، إنها لكذلك، ولكنها تكون لي إذا كانت العراق لك.

فثقل ذلك على معاوية وأبى أن يعطيه أرض مصر، وخرج عمرو فصار إلى رحله[1].

وأقبل عتبة بن أبي سفيان إلى معاوية فقال:

أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر إن صفت لك قليتك لا تغلب على الشام.

وقال معاوية لعتبة:

بت عندنا ليلتك هذه، فبات عتبة عنده، فلما أخذ معاوية مضجعة أنشأ عتبة:

أيها المانع سيفاً لم يهز إنما ملت على خز وقز
إنما أنت خروف فاعم بين ضرعين وصوف لم يجز
إن مصراً لعلي أو لنا يغلب اليوم عليها من عجز[2]

وسمع معاوية ذلك، فلما أصبح بعث إلى عمرو، فأعطاه ما سأل، وكتبا بينهما في ذلك كتاباً، ثم إنّ معاوية استشار عمراً في أمره، وقال ما ترى؟

قال عمرو:

(إنه قد أتاك في هذه البيعة خبر أهل العراق من عند خير الناس، ولست أرى لك أن تدعو أهل الشام إلى الخلافة، فإن ذلك خطر

---

[1]- أنساب الأشراف البلاذري: ٧٤/٣، والأخبار الطوال: ١٥٨-١٥٩.

[2]- الأخبار الطوال: ١٥٩.

عظيم حتى تتقدم قبل ذلك بالتوطين للأشراف منهم، وإشراب قلوبهم اليقين، بأن علياً مالأ على قتل عثمان، وأعلم أن رأى أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، فأرسل إليه ليأتيك، ثم وطن له الرجال على طريقة كله، يخبرونه بأن علياً قتل عثمان.

ويكونوا من أهل الرضى عنده فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام، وإن تعلق هذه الكلمة بقلبه لم يخرجها شيء أبداً.

فدعا معاوية يزيد بن أسد، وبسر بن أرطاة، وسفيان بن عمرو، ومخارق ابن الحارث، وحمزة بن مالك، وحابس بن سعد، وغير هؤلاء من أهل الرضا عند شرحبيل بن السمط، فوطنهم له على طريقة، ليخبرونه أن علياً مالأ على قتل عثمان، ثم أشربوا قلبه ذلك.

ثم أمر منادية أشراف الشام باستقباله، فاستقبلوه، وأظهروا تعظيمه، فكان كلما خلا برجل منهم ألقى إليه هذه الكلمة، فأقبل حتى دخل على معاوية مغضباً، فقال:

(أبا الناس إلاّ أن ابن أبي طالب قتل عثمان، والله لئن بايعته لنخرجنك من الشام).

فقال معاوية:

(ما كنت لأخالف أمركم، وإنما أنا واحد منكم، قال: فأردد هذا الرجل - جرير- إلى صاحبه فعلم عند ذلك معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل، ومن ثم أشار على معاوبة أن يسير في المدائن ليعلمهم بالطلب بثأر الخليفة، وإن يبايعهم على النصرة والمعونة[1].

---

[1]- الأخبار الطوال: ١٦٠.

فلما أطمئن معاوية لأهل الشام وعرف مبايعتهم له قال لجرير:

(إلحق بصاحبك وأعلمه أني وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة)[١].

كتب معاوية إلى أهل المدينة

كتب معاوية في أول الأمر كتاباً عاماً لأهل المدينة، ولما ورد جوابهم عليه ساءه، فكتب إلى بعض الأشخاص كتباً خصهم به.

كتابة إلى أهل المدينة ومكة:

أما بعد، فإنه مهما غاب عنا فإنه لم يغب علينا أن علياً قتل عثمان، والدليل على ذلك أن قتلته معه، فنقتلهم بكتاب الله تعالى، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين، على ما جعلها عمر بن الخطاب، فأما الخلافة فلسنا نطلبها، فأعينونا يرحمكم الله، وانهضوا من ناحيتكم[٢].

وذكروا أنه لما قرأ عليهم كتابه، اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم إلى المسور بن مخرمة، فجاوب عنهم، فكتب إليه:

أما بعد، فإنك أخطأت خطأ عظيماً، وأخطأت مواضع النصرة، وتناولتها من مكان بعيد، وما أنت والخلافة يا معاوية، وأنت طليق، وأبوك من الأحزاب، فكف عنا، فليس لك قبلنا ولي ولا نصير[٣].

---

[١]- الامامة والسياسة: ١/٨٩.

[٢]- الامامة والسياسة: ١/٨٩.

[٣]- الامامة والسياسة: ١/٨٩.



كتاب معاوية إلى ابن عمر

أما بعد، فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إليّ أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان، فذكرت خذلك إياه، وطعنك على أنصاره، فتغيرت لك، وقد هون ذلك عليّ خلافك على علي، وطعنك عليه، وردني إليك بعض ما كان منك، فأعنا يرحمك الله على حق الخليفة المظلوم، فإني لست أريد الإمارة عليك، ولكني أريدها لك، فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين[1]؛ فأجابه عبد الله بن عمر: أما بعد! فإن الرأي الذي أطمعك في هو الذي صيرك إلى ما صرت إليه، يا معاوية!! إذ حدثتك نفسك أني أترك علياً والمهاجرين والأنصار واتبعك، فأما زعمك أني طعنت على عليّ وخالفته فلعمري ما أنا كعلي في الإيمان والهجرة ونكايته في المشركين ومكانه من رسول الله ﷺ، ولكنه حدث أمر لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله ﷺ، ففزعت فيه إلى الوقوف وقلت: إن كان هذا هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالاً نشر نجوت منه فاروعنا نفسك، والسلام[2].

كتاب سعد بن أبي وقاص

وكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص:

أما بعد فإن إخواننا من شيعة عثمان بن عفان أهل الشورى من قريش الذين عرفوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير وهما

---

[1] - الفتوح: ٢/٥٢٩.

[2] - الفتوح: ٢/٥٢٩.

شريكاك في الأمر، ونظيراك في الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين، فلا تكرهن ما رضوا به، و (لا تردن) ما قبلوا، فإنما نريدها شورى بين المسلمين، والسلام[1].

وكتب إليه سعد:

أما بعد! فإن الشورى لم يدخل فيها عمر بن الخطاب إلاّ من يحل له الخلافة، ولم يكن أحد من أهل الشورى أحق بالخلافة من صاحبه بالاجتماع عليه، غير أن علياً كان فيه ما فينا، ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر كرهنا أوله وكذا نكره آخره، وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيراً لهما، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت، والسلام[2].

كتاب محمد بن مسلمة الأنصاري

وأرسل معاوية كتاباً إلى محمد بن مسلمة. يحاول فيه: استمالته إلى طرفه جاء فيه:

أما بعد، فإني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك، ولكني أذكرك النعمة التي خرجت منها، إنك كنت فارس الأنصار، وعدة المهاجرين، فادعيت على رسول الله ﷺ أمراً لم تستطع فيه الإمضاء، فهذا منعني عن قتال أهل الصلاة.

كتاب محمد بن مسلمة إلى معاوية:

أما بعد فقد أخبرت بالذي هو كائن قبل أن يكون، فلما كان كسرت

---

[1]- وقعة وصفين: ٧٥، الفتوح: ٢/٥٢٩-٥٣٠.

[2]- الامامة والسياسة: ١/٩٠.

سيفي، ولزمت بيتي واتهمت الرأي على الدين. إذ لم يصح لي معروف آمر به، ولا منكر أنهى عنه، ولعمري يا معاوية ما طلبت إلاّ الدنيا، ولا اتبعت إلاّ الهوى، ولئن كنت نصرت عثمان ميتاً، لقد خذلته حياً، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب[١].



[١]- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣/٨٧-٨٩.

إشارات وتشخيصات

رسالة عمرو بن العاص لابن عباس

إن معاوية بن أبي سفيان طلب - بعد أن كانت وقعات بين جيش الامام عليه السلام والجيش الأموي الذي بان الضعف فيه - من عمرو بن العاص أن يكتب إلى «عبد الله بن عباس» كتاباً يستميله به، وقال معاوية:

«فإنه إن قال قولاً لم يخرج منه علي وقد أكلتنا الحرب».
فقال عمرو: إن ابن عباس أريب لا يخدع ولو طمعت فيه لطمعت في علي، قال: صدقت انه لأريب ولكن أكتب إليه على ذلك.
فكتب إليه:

من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن عباس.

أما بعد: فإن الذي نحن وأنتم فيه، ليس بأول أمر قاده البلاء وساقته العافية، وأنت رأس هذا الأمر بعد علي، فأنظر فيما بقي بغير ما مضى، فو الله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة، وأعلم أن الشام لا يملك إلأ بهلاك العراق، وأن العراق لا يملك إلأ بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم؟ وما خيركم بعد! أعدادكم منا، ولست أقول: ليت الحرب عادت ولكن أقول: ليتها لم تكن، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مشاور مأمون وهو أنت، فأما السفيه فليس

بأصل أن يعد من ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى[1] ،
وكتب في آخر كتابه أبياتاً:

طال البلاء فما يرجى له اس بعد الآله سوى رفق ابن عباس
أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة لحرب ذات أنفاس
والسلم فيه بقاء ليس يجهله إلاّ الجهول وما النوكي كأكياس

فلما قرأ ابن عباس الكتاب عرضه على الامام علي عليه السلام، فقال علي:
قاتل الله ابن العاص ما أغره بك،يا بن عباس أجبه،وليرد عليه شعره فضل ابن العباس[2] .

جواب ابن عباس

وكتب إليه عبد الله بن عباس:

أما بعد: فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياء منك، إنه مال بك إلى معاوية الهوى وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت للناس في عشواء طخياء – الليلة المظلمة – طمعاً في هذا الملك، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدماء إعظام أهل الدين، وأظهرت فيها زهادة أهل الورع، ولا تريد بذلك إلاّ تهيب الحرب وكسر أهل العراق، فإن كنت أردت الله بذلك، فدع مصر وأرجع إلى بيتك فإن هذه الحرب ليس لمعاوية فيها كعلي، ابتدأها علي بالحق وانتهى فيها إلى العذر، و بدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف، وليس أهل الشام فيها

[1] – الامامة والسياسة: ١/١٣١.

[2] – صفين: ٤١٢.

كأهل العراق، بايع علياً أهل العراق وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه، ولست أنا وأنت فيها بسواء أردت الله، وأردت مصر، فإن ترد شراً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه. [والسلام][1]، ثم دعا [أخاه] الفضل بن العباس فقال له: يا ابن أم، أجب عمرا.

فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس   فاذهب فليس لداء الجهل من آسى
إلا تواتر طعن في نحوركم   يشجى النفوس ويشفى نخوة الراس
هذا الدواء الذى يشفى جماعتكم   حتى تطيعوا عليا وابن عباس
أما على فإن الله فضله   بفضل ذى شرف عال على الناس
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة   أو تبعثوها فإنا غير أنكاس
قد كان منا ومنكم في عجاجتها   ما لا يرد وكل عرضة الباس
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة   هذا بهذا وما بالحق من باس
لا بارك الله في مصر لقد جلبت   شرا وحظك منها حسوة الكاس
يا عمرو إنك عار من مغارمها   والراقصات ومن يوم الجزا كاسى[2]

ولما قرأ معاوية الكتاب قال: ما أغنانا عن هذا[3].

---

[1] - وقعة صفين: ٤١٢-٤١٣.

[2] - وقعة صفين: ٤١٣.

[3] - شرح النهج، محمد عبده، :٢ /١٣٥، الكتاب:٧٥.

مع معاوية

البداية: الدعوة للبيعة

أما بعد، فقد علمت أعذاري فيكم وإعراضي عنكم حتى كان ما لابُدّ منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إلي في وفد من أصحابك[١].

إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم، إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً، والرأي عندي مع الأناة[٢].

كتاب الامام عليه السلام إلى جرير

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيّره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته- والسلام[٣].

---

[١] - وقعة صفين: ٥٥، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/٣٢٢، بتفاوت بين النص فيهما.

[٢] - الامامة والسياسة: ١/ ١١٦، شرح النهج، محمد عبده: ٢/٨.

[٣] - شرح نهج البلاغة: ١/٤١٥، خطبة (٢٠٠).

حقيقة معاوية

قال الامام ﷺ يصف معاوية وما هو عليه:

والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر[١].

وأما طلبك إليّ الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس[٢].

وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل الناس، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى، وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن[٣].

فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له[٤].

وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الأمر، فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك.

وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان، وقد علمت حيث وقع الدم عثمان، فأطلبه من هناك إن كنت طالباً[٥].

وذكرت إنك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة

---

[١]- شرح النهج: ٢/١٦،كتاب (١٧).

[٢]- شرح النهج: ٢/١٢٤، كتاب (٦٤).

[٣]- شرح النهج: ج٢، ص٦٢، كتاب (٣٧).

[٤]- شرح النهج:٢، ص٩، وس١١.

[٥]- المعجم المفهرس لألفاظ النهج: ص١٠٤، كتاب (٦٤).

يوم أسر أخوك، فإن كان فيك عجل فاسترقه[1].

وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً وأخرج إلي، واعف الفريقين من القتال.

فاتق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك[2].

فقلنا تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم بإطفاء الثائرة، وتسكين العامة، حتى يشتد الأمر ويستجمع، فنقوى على وضع الحق مواضعه، فقالوا بل نداويه بالمكابرة[3].

قال الامام علي ﷺ:

(قاتلت الناكثين – أهل الجمل – وهؤلاء القاسطين – معاوية وحزبه – وسأقاتل المارقين– الخوارج–)[4].

وصف الامام ﷺ لعمرو بن العاص

الملاحظ على مواقف الامام ﷺ من الأحداث وأشخاصها عند تقييمه لها أو قراءتها دائماً يستند المرجعية الآسلامية في ذلك، ففي تقيمه وقراءته لنفسية ابن العاص يرتكز أولاً الرجوع إلى الأثر النبوي المبارك «المؤمن لا يكذب» قارناً لهذا الارتكاز السلوك المتجسد لعمرو والمشخص من معاصريه، فيكون تشخيصه والحال هذا مؤثر في

---

[1] – شرح النهج: ٢، ص٥٧.

[2] – شرح النهج، محمد عبده: ح٢، ص١١٤.

[3] – أنساب الأشراف:٣ / ٨٠.

[4] – أنساب الأشراف: ١٤٧/١. وقد قال (ع): هذا قبل التحكيم وقتال الخوارج.

سامعيه أولاً، ومن ثَمَّ منظور فيه التأسيس البُعدي الرسالي كدالة شاخصة للآنسان المسلم - الأجيال الآسلامية المتتابعة - على الامتداد الظرفي، فيكون للرسالة دورها الفاعل في حياته، حتى لا يلتبس عليه موقف أو مواقف حيال ظواهر وأحداث سبقته في وقوعها، أو ستتجسم في آخرين خارجين على المرجعية الآسلامية، محاولين الاستظلال بها. وقد ورد عنه في عمرو بن العاص، قوله عليه السلام:

«أما شر القول الكذب، إنه - يعني عمرو بن العاص - يقول فيكذب ويعد فيخلف: ويسأل فيحلف ويخون العهد ويقطع الأل، فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم أسته.

وإنه - أي عمرو بن العاص- ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، انه لم يبايع معاوية حتى تشرط أن يؤتيه آتية، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[1].

ولم يبايع حتى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمنا، فلا ظفرت يد البايع، وخزيت أمانة المبتاع[2].

فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا أمرئ مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للرغام، يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقي إليه ما فضل فريسته

---

[1] - أنساب الأشراف: ١/ ٦٧، والاحتجاج، الطبرسي: ١/ ٢٦٩، وشرح النهج: ٦/ ٢٨٠، والرضيخة العطية.

[2] - أنساب الأشراف: ٢، ص٦٤.

فأذهبت دنياك وآخرتك»[1].

وقد روي البلاذري أن عمراً قال:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظر كيف تصنع[2]

تشخيص الامام عليه السلام لجنده ومقاتليه

يتضح من سياق النقل التاريخي، إن تشخيصاته عليه السلام لجيشه ولمن كان يقاتل معه، بعد رفع المصحف ونكولهم عن الحرب، وعندما كان معاوية يأمر قادته بشن الغارات على المسالح المحاذية للشام أو البعيدة عن الكوفة، فكان الامام عليه السلام يستحثهم على قتال أهل البغي، ففي البداية وحتى يوم (الهرير) كانت مواقفهم جيدة وأثخنوا أهل الشام بجراح كبيرة وكادوا يهزموهم لولا خدعة رفع المصحف، ومن قبل قد هزموا قادة الجمل - صحابيان من أهل الشورى وأمّ المؤمنين - وأتباعهم؛فمن إشاراته عليه السلام في هذه الاتجاه:

أيها الناس: إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت؛ ... وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون[3].

ألا وأني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم في عقر

---

[1] - أنساب الأشراف: ٢/٧٥.

[2] - شرح النهج: ١/٢٤٠.

[3] - الامامة والسياسة: ١/ ١٠٤، شرح النهج، :١/٦٨.

دارهم إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان[1].

فواعجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم[2].

وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم بالباطل، وبأدائهم الأمان، إلى صاحبهم وخيانتكم[3].

أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم...

صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب الشام يعصي الله وهم يطيعونه[4].

خطبة الامام عليه السلام يصف فيها غارة على الأنبار

وهذا أخو غامد - أمير جيش معاوية- وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعثها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام ثم إنّصرفوا وآخرين ما نال رجل منهم كلهم ولا أريق لهم دم...

---

[1]- شرح النهج: ١/٦٩.

[2]- شرح النهج: ١/٦٤.

[3]- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١/٣٣٢.

[4]- الامامة والسياسة : ١/ ١٠٢.كنز العمال، المتقي الهندي: ١١/٣٥٥.المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢٠- ٢١، خطبة ٢٧.

فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى: يُغار عليكم ولا تغيرون، وتغـزون ولا تغزون ويعصـى الله وترضـون. وأفسـدتم علـيّ رأي بالعصـيان والخـذلان؛حتى قالـت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهـل أحـد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين! و (لكن لا رأي لمن لا يطاع)[1].

خطبة الامام الحسن بن علي عليه السلام

ثم قام الحسن بن علي خطيباً فقال:

الحمد لله لا إله غيره. وحده لا شريك له، واثني عليه بما هو أهله.

ثم قال: إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم نعمه ما لا يحصى ذكره.

خطبة الامام الحسين عليه السلام:

ثم قام الحسين بن علي خطيباً، فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الآثار؛ جدوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفة ما ذاع منكم.إلاّ أن الحرب أثرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع ممشاة فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يألم لكومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك ممن لا ينفع قومه؛ وأن يهلك نفسه، نسأل الله العون أن يدعكم

---

[1] - وقعة صفين : ١٢٥.

بألقته[١].

هاشم بن عتبة المرقال: قال مخاطباً أمير المؤمنين ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين ينبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحرّموا حلاله، واستدلاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناهم الأماني حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى، وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة. وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله ﷺ رحما، وأفضل الناس سابقة وقدماً وهم يا أمير المؤمنين مثل الذي علمنا لكن كتب عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جذلة على من خالفك وتولى الأمر دونك. والله ما أحب أنا لي ما في الأرض مما أقلت، وما تحت السماء مما أظلت، وأني واليت عدوّا لك، أو عاديت ولياً لك.

فقال علي: اللهم أرزقه الشهادة في سبيلك والمرافقة لنبيك (ص)[٢].

معاوية يساوم مبعوث الخليفة

ينتقل معاوية من المطالبة بدم الخليفة المظلوم والخلافة إلى مساومة مبعوث الامام علي ﷺ إليه إلى ولاية مصر والشام و جبايتهما،وقد ذكر المؤرخون أن معاوية قال لجرير: إني قد رأيت رأياً.

---

[١]- وقعة صفين: ١١٢.

[٢]- الامامة والسياسة: ١، ص٨٦.

قال جرير:

هات. قال أكتب إلى علي أن يجعل لي الشام ومصر جباية، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده في عنقي بيعة، وأسلم إليه هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة.

قال جرير: اكتب ما شئت.

كتاب علي إلى جرير

وكتب الامام علي عليه السلام إلى جرير:

أما بعد: فإن معاوية إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحب، وقد كان المغيرة بن شعبة: أشار علي وأنا بالمدينة أن استعمله على الشام، فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني اتخذ المضلين عضدا، فإن بايعك الرجل وإلاّ فأقبل[1].

موقف مالك بن حبيب

قال مالك بن حبيب - وهو على شرطة علي- وهو آخذ بعنان دابته عليه السلام:

يا أمير المؤمنين، أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال؟

فقال له علي: إنهم لن يصبوا من الأجر شيئاً إلاّ كنت شريكهم فيه، وأنت هاهنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم.

فقال - مالك-: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين. فخرج علي حتى

---

[1]- صفين: ١٣١-١٣٢.

إذا جاز حدّ الكوفة صلّى ركعتين[١].

كتاب الامام عليه السلام إلى عماله

ولما عسكر الامام عليه السلام في النخيلة كتب إلى عماله يستحثهم بالقدوم عليه، ولما اجتمع إلى علي قواصيه، وانضمت إليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيلة، وأرسل زياد بن النضر وشريح بن هانئ، بعد أن عقد لكل واحد منها على ستة آلاف فارس، ليكونا مقدمته في لقاء عدوه[٢].

سيد التابعين

عن ابن عباس سأله رجل عن أويس القرني (رحمة الله)، قال ابن عباس:

ويحك! أويس القرني له شأن عظيم، وهو سيد التابعين! وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول لأصحابه: «يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني، يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر، لو أقسم على الله لأبر قسمه، فمن لقيه من بعدي فليقرئه، مني السلام».

قال ابن عباس، فقال له علي: يا رسول الله: وفينا من يلقاه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم يا علي أنت تلقاه فإذا لقيته فأقرئه مني السلام وأسأله أن يدعو لك بخير».

وسأل الامام علي عليه السلام الرسول صلى الله عليه وآله أن يصفه له فوصفه له وأعلمه بصفته وملبسه وهيأته.

١- الأخبار الطوال: ١٦٥-١٦٦.

٢- الفتوح: ابن أعثم: ٢/٥٤٤- ٥٤٥.

وقتل أويس القرن (رحمه الله) بصفين، فعن أبي البختري قال:

أصيب أويس القرني مع علي بصفين[١]، وإن الدلالة فيما ورد عن الرسول ﷺ في أويس: هي ذات الدلالة في قوله ﷺ لعمار (تقتلك الفئة الباغية)، فضلاً عن كونها أخبار عن أمر مستقبلي، فهي بيان للحق وأهله وتميزاً لهم عن الفئة الباغية التي يجب قتالها وبتالي لتكون الحجة بالغة على الناس فيما هم مكلفون به فيستحقوا بذلك الثواب والعقاب، وهما تعبير عن التكليف والمسؤولية الشرعية.

التوجه إلى صفين

ولما عزم الامام ﵇ بالخروج إلى صفين وبعد أن أتم تعبئة جيشه خطبهم حاثاً لهم على الجهاد وقتال أهل البغي.

الخطبة

(سيروا إلى قتال أهل الشام العماة الطغاة سيروا إلى أولياء الشيطان وأعداء السنة والقرآن سيروا إلى الكذبة الفجار وقتلة المهاجرين والأنصار! سيروا فقد أمرت بقتال الناكثين والقاسطين (المارقين)، فو الله لقد قرأت ما بين دفتي المصحف، فقلبت هذا الأمر ظهراً لبطن فما وجدت إلاّ قتالهم أو الكفر بما جاء محمد ﷺ[٢].

---

[١]- الفتوح: ٢، ص ٥٥٠.

[٢]- المعيار والموازنة : أبو جعفر الاسكافي :١٤٧.وفي شرح النهج، ابن أبي الحديد: وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعنى إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه – وآله – وسلم، فكانت معالجة القتال أهون على من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون على

وجعل عمار بن ياسر يرتجز ويقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي   سيروا فخير الناس أتباع علي[1]

الإخبار عن مقتل الحسين عليه السلام

إن الامام علي عليه السلام لما سار إلى صفين نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات وأبصر هنا لك نخيلاً؛

فقال: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين ما أعرفه،

فقال: أما! أنك لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجاوزه حتى تبكي لبكائي،

قال: ثم بكى علي رضي الله عنه بكاء شديداً، حتى أخضلت لحيته بدموعه وسالت الدموع على صدره،ثم جعل يقول: مالي ولآل أبي سفيان! ثم التفت إلى الحسين (رضي الله عنه) فقال: أصبر أبا عبد الله فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي.

ثم جعل علي (رضي الله عنه) يجول في أرض كربلاء كأنه يطلب شيئاً، ثم نزل ودعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة، ثم قام فصلى ما شاء أن يصلي والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوى إلى شاطئ الفرات[2].

موتات الاخرة : ٦/٤.

[1] – الفتوح :٢/٥٥١– ٥٥٢.

[2] – الفتوح: ٢/٥٥٢.

ثم إنّ الامام عليه السلام خطف برأسه خطفة فنام، وأنتبه فزعا، وحدث عليه السلام ابن عباس بما رأى، وقد رأى عليه السلام أن رجالاً بيض الوجوه في أيديهم أعلام بيض، وهم متقلدون بسيوف لهم، فخطو حول هذه الأرض خطة، وقد رأى عليه السلام أن الامام الحسين عليه السلام قد غرق في الدم وأنه يستغيث فلا يغاث، وأن الرجال البيض نزلوا من السماء وهم ينادون: صبراً آل الرسول صبراً ثم تقدموا إلى الامام علي عليه السلام فعزوه بولده وقالوا: أبشر يا أبا الحسن فقد أقر الله عينك بابنك الحسين غداً يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقال الامام عليه السلام لابن عباس:

> فو الذي نفس عليّ بيده! لقد حدثني الصادق المصدوق أبوالقاسم صلى الله عليه وآله أني سأرى هذه الرؤيا بعينها في خروجي إلى قتال أهل البغي علينا، وهذه أرض كربلاء الذي يدفن فيها ابني الحسين وشيعته وجماعة من ولد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وأن هذه البقعة المعروفة في أهل السماوات تذكر بأرض كرب وبلاء، وليحشرن منها قوم يدخلون الجنة بلا حساب[١].

النزول بصفين

وأشرف عساكر علي وأصحابه على أهل الشام، فلما نظر معاوية إلى إبل مجنبة بالخيل، أقبل على عمرو بن العاص فقال:

> أبا عبد الله! أما أبو الحسن فقد وفى لك بما قال إنه يجنب الخيل بالقلاص؛ فقال عمرو بن العاص: صدقت يا معاوية: ولكن أشدد حيازيمك لملاقاته، فإنك تعلم قد وافاك، والله من لو لقي أهل الشام

---

[١]- الفتوح: ٢/٥٦٨- ٤٦٩.

بأجمعهم وهو وحيد لم يخالجه خوف ولا رهبة فقال معاوية صدقت، ولكن معه رجال ومعنا رجال.

ونزل علي (رضي الله عنه) بالعساكر والأثقال، وذلك في النصف من المحرم سنة ثمان وثلاثين؛ وأمر معاوية أصحابه فنزلوا على شاطئ الفرات وحالوا بين علي وأصحابه وبين الماء)[1].

ولمّا (أنطلق السقاءون والغلمان إلى طريق الماء، حالت خيل معاوية بينهم وبين الماء[2].



[1]- الأخبار الطوال : ١٦٨.

[2]- الامامة والسياسة: ١/٩٤.

من آداب الحرب في الإسلام

الغلبة على الماء

أرسل معاوية بن أبي سفيان أبا الأعور السلمي حين نزل صفين ليحولوا بين جيش الامام عليه السلام وبين الفرات، ثم لما نزل الامام عليه السلام وأصحابه صفين منعوا الماء وحالت خيل معاوية بينهم وبينه، وشكى أصحاب الامام عليه السلام ما هم فيه، وموقف معاوية وجنده.

وأرسل الامام عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى معاوية وفي رواية الامامة والسياسة[1]، بعث الأشعث بن قيس إليه ليفاوضه حول مسألة الماء وانه مباح ولو سبقنا إليه لما منعاهم إياه.

الخلقية الأموية

ودعا أمير المؤمنين عليه السلام صعصعة بن صوحان؛فقال له:

> **ائت معاوية وقل له: إنا سرنا مسيرنا هذا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أُخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، والناس غير منتهين أو يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلوا**

---

[1]- تاريخ الطبري :٦١١/٥.

بين الناس وبين الماء ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم له، وإن كان أحب إليك أن نترك ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

إستشارة معاوية

وبعد أن أبلغ صعصعة بن صوحان رسالة الامام ﵇ معاوية استشارة أصحابه؛

وقال: ما ترون؟

فقال الوليد بن عقبة: أمنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفان، حصروه أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء، ولين الطعام، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله عطشاً[1].

وقال عبد الله بن أبي سرح – وكان أخا عثمان لأمه–: (أمنعهم الماء إلى الليل، لعلهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة، فيكون انصرافهم هزيمة)[2].

بيد أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يخل عن القوم يشربوا.

فقال معاوية: هذا أول الظفر لا سقاني الله من حوض الرسول إن شربوا منه، حتى يغلبوني عليه[3].

وإن عبد الله بن أبي سرح قد أكبر كلام الوليد؛ وقال لمعاوية:

صدق الوليد في قوله: فامنعهم الماء، منعهم الله إياه يوم القيامة !

فقال صعصعة بن صوحان إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة

---

[1]- الأخبار الطوال: ١٦٨.

[2]- الامامة والسياسة: ١ /٩٤.

[3]- الفتوح : ٦/٣.



مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سماه الله في الكتاب فاسقاً الوليد بن عقبة الذي صلّى بالناس الغداة أربعاً وهو سكران ثم قال: أزيدكم؟ فجلد الحد في الإسلام[1].

فوثب رجل من أهل الشام يقال له المعري بن الأقبل وكان ناسكاً؛

فقال يا معاوية، سبحان الله، الآن سبقتم القوم إلى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعوهم منه؟

أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه...

أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزلوا على فرضه أخرى فيجازوكم بما صنعتم؟

ثم قال لمعاوية هذا والله أول الجور. لقد شجعت الجبان، وبصرت المرتاب وحملت من لا يريد حقاً لك على قتالك، فأغلظ له معاوية.

ثم سار الرجل في سواد الليل، فلحق بعلي[2].

وإن الامام عليه السلام فعلاً لم يمنع أهل الشام الماء حين استولى جنده عليه.

الدعوة إلى الطاعة والجماعة

إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال عليه السلام:

ائتوا هذا الرجل – معاوية فادعوه – إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين، ألا تطمعه في سلطان توليه إياه، ومنزلة يكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك؟

---

[1] - صفين: ١٦٣-١٦٤، الفتوح: ٣/٧.

[2] - تاريخ الطبري: ٥/٦١٢-٦١٣.

فقال علي: ائتوه فالقوة واحتجوا عليه، وانظروا ما رأيه – وهذا في أول ذي الحجة، سنة ٣٦هـ – فأتوه، ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك، وجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدت الله عزّ وجلّ أن تفرق جماعة هذه الأمة، وإن تسفك دماءها بينها!

فقطع – معاوية – عليه كلامه، وقال: هلاّ أوصيت بذلك صاحبك؟

فقال أبو عمرة: إن صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام، والقرابة من الرسول ﷺ.

قال – معاوية – فيقول ماذا؟

قال: يأمرك بتقوى الله، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوا إليه من الحق، فإنه أسلم لك في دنياك، وخير لك في عاقبة أمرك.

قال معاوية: ونطل – نبيح – دم عثمان لا والله لا أفعل ذلك أبداً[1].

اتق الله يا معاوية، ثم بادره شبث بن ربعي، فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

يا معاوية، إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه والله لا يخفى علينا ما تعزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تغوي به الناس وتستميل به أهواءهم، وتستخلص طاعتهم إلاّ قولك: قُتل امامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام – أراذل

---

[1]- تاريخ الطبري: ٥/٦١٣-٦١٤.

الناس – وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة أصبحت تطلب، ورب متمني أمر وطالبه والله عزّ وجلّ يحول دونه بقدرته، وربما أوتي المتمني، أمنيته وفوق أمنيته، ووالله مالك في واحدة منها خير، لئن أخطأت ما ترجو أنك لشر العرب حالاً في ذلك، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق صُليّ النار، فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله.

فقال معاوية أما بعد: فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفة علمك، قطعك على هذا المشيب الشريف سيد قومه منطقه، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت، ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني وبينكم إلاّ السيف[١].

معاوية وزياد بن خصفة

وبعث معاوية إلى زياد بن خصفة التيمي فخلا به، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

أما بعد يا أخا ربيعة، فإن علياً قتل امامنا، وآوى قتلة صاحبنا، وإني أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك، ثم لك عهد الله جلّ وعزّ وميثاقه أن أُوليك إذا ظهرت أي المصرين أحببت.

وعن المحل بن خليفة قال:

سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث، قال: فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه، ثم قلت: أما بعد،

١– وقعة صفين: ١٨٧. تاريخ الطبري :٥/٦١٨. وبين المصدرين تفاوت بسيط في المنقول التاريخي.

فإني على بينة من ربي وبما أنعم علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين ثم قمت[1] .

حجة أخرى قبل الحرب

كان الطرفان قد توادعوا حتى ينصرم المحرم (٣٧هـ)، فلما انصرم أمر علي مرثد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس:

ألا أن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استدمتكم واستأنيت بكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ، فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى الحق، وإني قد نبذت لكم على السواء إن الله لا يحب الخائنين[2] .

ما ورد من الأحاديث في معاوية

نقل الرواة أحاديث تحمل فضائل لمعاوية بن أبي سفيان. قال عنها السيوطي: أنها لا تثبت[3] ، وإن القارئ لها يجدها متهافتة تتعارض وواقع مواقفه وسلوكه، أو مع ما روي عن الرسول ﷺ في حق بعض الصحابة، كعمار وحجر بن عدي، فضلاً عما ثبت عن الرسول ﷺ بذم معاوية وأبيه وأخيه.

فعن ابن الزبير عن جابر قال:

قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري

---

[1] - وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري: ١٩٩، وتاريخ الطبري: ٥، ص٦٢٢.

[2] - صفين : ٢١٧-٢١٨. تاريخ الطبري: ٤/ ٦، (٨) مجلدات، طبعة الأعلمي.

[3] - تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٦.

فأضربوا عنقه)[١] . قال الحسن البصري -: فما فعلوا ولا أفلحوا.

وعن الحسن قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه».

قال فحدثني بعضهم قال:

قال أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح، وعن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ألعن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس».

فقال ابن البراء لأبيه من الأقيعس؟ قال: معاوية[٢] .

فرقوا بين معاوية وعمرو.

عن جعفر بن محمد قال: دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على سرير، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص:

أما وجدت لك مجلساً إلاّ أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟

فقال زيد: إن رسول الله ﷺ غزا غزوة وأنتما معه، فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث، كل ذلك يديم النظر إليكما، فقال في اليوم الثالث: (إذا رأيتم معاوية وعمر بن

١- لسان الميزان: ٢/ ٢٤٧، و انظر: ميزان الأعتدال: ٢/ ٣٣٧.

٢- وقعة صفين: ٢١٨-٢١٩، شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي، وفاته عام ٣٦٣هـ مؤسسة النشر الاسلامي، قم: ٢/٥٢٧.

العاص مجتمعين فقرّقوا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير)[١].

وعن طاووس عن عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول:

(يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت وهو على غير سنتي، فشق عليّ ذلك وتركت أبي يلبس ثيابه ويجيء، فطلع معاوية)[٢].

إلى كثير من الأحاديث والروايات الأخرى في هذا المضمون لسنا بصدد الآحصاء لها أو سردها وإنما أخذنا قدر الحاجة إشارةً ليس إلا.

بدء القتال

وبعد انتهاء الموادعة وتصرم الشهر الحرام - حسب بعض الروايات - بدأ القتال بين الطرفين وكان يبرز الشخص للآخر من هذا الطرف أو ذاك، ثم تبرز الجماعة للجماعة حتى كان ليلة الهرير التي هجم بها جيش الامام عليه السلام على جيش معاوية وكاد النصر أن يكون لجيش الامام عليه السلام الذي تمكن من إلحاق خسائر فادحة بالجيش الشامي حتى بلغ بعض قادة جيش الامام عليه السلام فسطاط معاوية، غير أن خدعة ابن العاص أخذت مأخذها بين صفوف جيش الامام عليه السلام، فتفرقوا بين داعٍ للصلح والمهادنة، وبين مصر على استمرار القتال. وكان الامام عليه السلام رافضاً لمسألة التحكيم وعذل أصحابه عن قبول خدعة عمرو إلاّ أنهم أخيراً أكرهوا الامام عليه السلام على وقف القتال فنجى معاوية من هزيمة نكراء، وتحول الموقف لصالح معاوية في آخر المطاف بالكيد والخديعة، وإن

---

[١]- صفين: ٢٢٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، وفاته عام ٣٦٠هـ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ: ٢٨٩/٧.شرح الأخبار، القاضي النعماني المغربي: ٥٣٧/٢.

[٢]- صفين : ٢٧٤-٢٧٥.

الامام علي عليه السلام قد طلب من معاوية أن يكفيا الناس القتل والقتال ودعاه لمبارزته، فعن عمرو بن شمر قال:

ثم قام علي بين الصفين، ينادى يا معاوية: يكررها – فقال معاوية: اسألوه، ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة[1].

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص.

قال الامام عليه السلام لمعاوية: ويحك علام يقتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضا؟

أبرز إليَّ فأينا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما هاهنا، أبارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل[2].

فقال معاوية:

إنك تعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلاّ قتله، ولكنك طمعت فيها – الإمرة والخلافة – بعدي[3].

وقال معاوية:

ويحك ياعمرو ما أحمقك أتراني أبرز إليه ودوني عك والأشعرون وجذام؟

ثم إنّصرف معاوية إلى آخر الصفوف وعمرو معه؛ فلما رأى علي عليه السلام ذلك

---

[1] – وقعة صفين : ٢٧٥ .شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٣/٨.

[2] – البداية والنهاية، ابن كثير :٢٨٢/٧.

[3] – صفين: ٢٧٥.

ضحك وعاد إلى موقفه[1].

أهل الشام ومعاوية

ولما سمع أهل الشام نداء الامام ﷺ وصيحاته بمعاوية ليخرج لمبارزته، نهوه عن مبارزة علي: فقام أبرهة بن الصباح الحميري فقال: يا هؤلاء! أظن أن الله تبارك وتعالى قد أذن في هلاككم، ويحكم خلوا بين الرجلين فليقتتلا. فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً.

فقال معاوية لأصحابه:

> نحوا هذا واجعلوه في آخر الصفوف، فإني أظنه مصاباً في عقله؛ فقالت أهل الشام: لا والله يا معاوية! ما أبرهة بالمصاب في عقله وإنه لأكملنا عقلا ورأيا وديناً وفهما، ولكنك كاره في مبارزة علي[2].

وكان عتبة بن أبي سفيان قال لأخيه معاوية:

> إله عن كلام علي حتى كأنك لم تسمعه، فإنك تعلم أنّه قتل غلامك حريثاً، وفضح عمرو بن العاص، وليس أحد من العرب يقدم على مبارزة علي (رضي الله عنه) إلاّ وهو من نفسه آيس، فإياك ومبارزته أو والله لئن برزت إليه لا شممت رائحة الحياة بعدها أبداً[3]، وكان معاوية قال لعتبة: والله لقد دعاني إلى النزال حتى لقد استحييت من قريش.

---

[1]- الفتوح: ٣/١٠٤.

[2]- الفتوح :٣/ ١٠٣- ١٠٤.

[3]- الفتوح:٣/٤٧.

لواء عقده رسول الله ﷺ

وخرج عمرو بن العاص يوما، ومعه شقة سوداء على قناة، فقال الناس: (هذا اللواء عقده رسول الله ﷺ؛ فقال علي رضي الله عنه:

(أنا مخبركم بقصة هذا اللواء: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ، وقال من يأخذه بحقه؟ فقال عمرو: وما حقه يا رسول الله؟ فقال: لا تفر به من كافر، ولا تقاتل به مسلماً). فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ، وقد قاتل به المسلمين اليوم[1].

وقام ﷺ خطيبا، بعد أن أنهكت الحرب جيش معاوية وبان الضعف والوهن فيه، كما لا ينكر أنه قد فقد خلص أصحابه وأصحاب الرسول ﷺ كعمار بن ياسر وعبد الله بن بديل وهاشم بن عتبة بن أبي وقاس وغيرهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت أعتبر آخرها بأولها، وقد قاتلكم القوم على غير دين، حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا عاد عليهم بنفسي بالغداة أحاكمهم. إلى الله[2].



[1]- الامامة والسياسة: ١/١٠٨-١٠٩.

[2]- الامامة والسياسة: ١ /١٠٩.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع





الخوارج

كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم من التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، واعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[1] جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكى التميمي وزيد بن حصين الطائي حين، قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف؛ حتى قال:

أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله[2]، قالوا: لترجعن الأشتر[3].

الراسبي/ وهب بن عبد الله

لقد عُرف الراسبي «زعيم الخوارج» ومن خرج معه وما هم عليه من دين وصلاة

---

[1]- هذا التحديد من الشهرستاني لا دليل عليه؛ فالخوارج أعم من ذلك وأهل الجمل أول الخارجين على الامام الحق، ومن ثم معاوية وأهل الشام، فالكل يقع تحت هذا العنوان وهذا التعريف، ولا مبرر للحصر بأهل النهروان.

[2]- الملل والنحل، الشهرستاني: ١/١١٢.

[3]- الملل والنحل، الشهرستاني: ١/١١٢.

وصيام منذ زمن الرسول ﷺ في قصة اشتهرت بين المسلمين رويت عن الرسول الأعظم ﷺ في الراسبي وجماعته وما يؤول إليه أمرهم.

روى البخاري[1] عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري، قال: بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم، فقال:

> **يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك ومَنْ يَعدِل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل؛ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال ﷺ: دعه فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضبه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلم يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذي نعته.**

وهكذا رواه مسلم[2] من حديث أبي سعيد، ورواه البخاري أيضا من حديث الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك عن أبي سعيد، وأخرجه البخاري أيضا

---

[1] - صحيح البخاري: ٣/١٣٢١، ح٣٤١٤.

[2] - صحيح مسلم: ٢/٧٤٠، ح١٠٦٣.

من حديث سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه ومسلم عن هناد عن أبي الأحوص سلام بن سليم عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يعمر عن أبي سعيد الخدري به، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث داود بن أبي هند والقاسم بن الفضل وقتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال:

قال رسول الله: تمرق مارقة عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق،

ورواه أيضا من حديث أبي اسحاق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد مرفوعاً، وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن مسهر عن الشيباني عن بشير بن عمرو، قال:

سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله يذكر هؤلاء الخوارج، فقال: سمعته وأشار بيده نحو المشرق، وفي رواية نحو العراق يخرج قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية محلقة رؤوسهم، وروى مسلم من حديث حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر نحوه وقال سيماهم التحليق شر الخلق والخليقة[1].

ورواه البيهقي عن سفيان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن عمران بن جرير عن لاحق قال كان الذين خرجوا على علي بالنهروان أربعة آلاف في الحديد فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعة رهط، وإن شئت فاذهب إلى أبي برزة فانه يشهد بذلك قلت الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله لأن ذلك من

---

[1]- البداية والنهاية:٢١٦/٦.

طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ووقوع ذلك في زمان علي معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة وكما تواتر كيفية خروجهم وسببه ومناظرة ابن عباس لهم في ذلك ورجوع كثير منهم إليه.

وأخرج أحمد بن حنبل عن محمد بن كعب بن خيثم عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله لعلي حين ولى غزوة العشيرة:

يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى يبل هذه يعني لحيته.

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن اسلم عن أبي سنان المدركي عن علي في إخبار النبي بقتله، وروى من حديث هيثم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي قال:

إن ما عهد إلي رسول الله أن الأمة ستغلر بك بعدي ثم ساقه من طريق قطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمامي، قال: سمعت عليا يقول: إنه لعهد النبي الأمي إلي إن الأمة ستغدر بك بعدي[1] .

وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر عن

---

[1]- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/ ١٠٧ ؛ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، علي بن أبي بكر الهيثمي، وفاته عام ٨٠٧هـ ؛ مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع: ٢٩٦؛ البداية والنهاية: ٦/٢٤٤.

محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة الأنصاري وكان أبوه من أهل بدر، قال: خرجت مع أبي عائدا لعلي بن أبي طالب في مرض أصابه، قال: فقال:

أبي ما يقيمك بمنزلك هذا فلو اصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جهينة تحملك إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك فقال علي: إن رسول الله عهد إلي أن لا أموت حتى تخضب هذه يعني لحيته من دم هذه يعني هامته، فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين.

وقال أبو داود الطيالسي[1]: حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب، قال:

جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له: اتق الله فإنك ميت، فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه وأشار بيده إلى لحيته عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى.

وفي الصحيحين[2] من حديث الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن علي سمعت رسول الله يقول:

يخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم؛ فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم إلى يوم القيامة.

---

[1] - مسند الطيالسي: ١/ ٢٣، ح ٥٧. انظر المستدرك على الصحيحين: ١٥٤/٣.

[2] - صحيح البخاري : ١٣٢١/٣، ح ٣٤١٥، صحيح مسلم : ٧٤٦/٢، ح ١٠٦٦.

التحكيم ونتائجه

كان للفترة التي قضاها معاوية في الشام والتي تقرب من ربع قرن تقريباً من عام (١٢ - ٣٥هـ) دور بارز في إعطاء معاوية مركز منوط الأركان، وجيش لم يخض حرباً لفترة طويلة، وما كان من سياسة معاوية في إبعاد أهل الشام عن الاختلاط بالمسلمين من الأمصار الأخرى خوفاً على تغير طبائعهم وتأثرهم بسلوك وخلقية أهل الأمصار، حتى انه في وصيته ليزيد أشار عليه أن يبعد الشاميين عن الاختلاط بالآخرين جهده وإذا ما أضيف إلى ذلك عامل عرف به معاوية وأشتهر به، وهو أنْ لا تحجبه وسيلة ولا تمنعه عن بلوغ غايته، فهو لا يتحرج من اتخاذ كل طريقة وكل سبيل من أجل طموحه في السلطة والملك، وقد أبرز ذلك الأحداث من يوم استدعاه عثمان لنجدته وتماهله عنه وحتى نهاية حكمه بموته عام ٦٠هـ حيث عهد ليزيد بالخلافة؛ فتحولت إلى ملك عضوض، فمعاوية الذي استمال عمرو بن العاص بان جعل له مصر (طعمة)، حاول الكثير مع بعض أصحاب الامام علي عليه السلام وقادة جيشه، فخاب مع من عرف الحق، ونجح مع أهل المصالح كالأشعث بن قس الذي ألبس على الناس وأكره الامام عليه السلام على قبول التحكيم، وبالتالي أنقسم الجيش وكادت تقع الفرقة لولا أن حسم الامام علي عليه السلام الموقف بإرساله للأشتر أن يترك موقعه ويأتيه، فإصرار الأشعث ورهطه من أهل اليمن والخوارج وموقفهم وحواراتهم التي تنبأ أن يفعلوا بالامام عليه السلام - كما صرحوا - كما فعلو بعثمان بن عفان كل هذه العوامل قد أجبرت الامام عليه السلام على هذا الموقف الذي أدى إلى ظهور الخوارج وتولي معاوية الخلافة؛ فصحيح أنّ رفع المصاحف قد أبدل هزيمة محققة لمعاوية، وتحسم القضية له وبالهزيمة النفسية لجند الامام عليه السلام، إلاّ أنّ العوامل السابقة كانت ممهدة ومتسبب في النتائج، فضلاً عما أصاب

الجيش المنظم إلى الامام ﷺ من فرقة وانقسام، ولما كان قد ألم بـه يـوم الجمـل، فربما كان لذلك وللأسباب السابقة كلها أن تكون النتيجة لصالح معاوية، والـذي يقـول لما عاد الأشتر إلى علي كدت أطلب منه الأمان، وهممت بالهرب لولا رفع المصاحف.

مواقف من التحكيم

كان رفع المصاحف بداية التمهيد لقضية التحكـيم والحكمـين، ومـن ثم التأسـيس لقيـام الدولـة الأمويـة كمـا يرجـع إليـه مـا حصـل مـن فرقـةٍ واخـتلاف في جـيش الامامعلي ﷺ، وإن الحكمين وبالصورة التي ظهرت كانا من نتائج رفع المصحف أيضاً.

ونورد هنا جملة من الأقوال، لتوضيح سير الأحداث بعد رفع المصحف مـن قبـل جيش الشام وما كانت نتائج ذلك وتأثيره على الطائفتين:

روي أن شقيق بن ثور البكري وثب، فقال:

> **يا أهل العراق: أنكم تعلمون أننا كنا دعونا، أهل الشام إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإنّ رددناه عليهم حل لهم مثلما حل لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وإن علياً رضي الله عنه ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلاّ البقاء في الموادعة والسلام ...**

ثم وثبت خالد بن معمر السدوسي فقال:

> **فإن إذ سبقنا إلى الكلام، فإننا لا نرى البقاء إلاّ فيما دعاك القوم إليه، فإن رأيت ذلك فأجبهم وإن لم ترى ذلك فرأيك أفضل.**

ثم وثب رفاعة بن شداد البجلي وكان من أفاضل أصحاب علي رضـي الله عنـه،



فقال:

أيها الناس: إنه لا يفوتنا شيء من حقنا وقد دعونا القوم إلى ما دعوناهم إليه في أول أمرنا، فإن يتم الأمر على ما نحب وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق فبعد بلاء شديد وقتل ذريع، وإن تكن الأخرى أثرناها عجاجة، فهذه سيوفنا في رقابنا وأرماحنا في أكفنا[1].

وبعيد هذه السجالات الكلامية وغيرها، جاء إلى أي إلى الامام علي عليه السلام زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، قد اسودت جباهم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، وزيد ابن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان[2]، والله لنفعلها بك إن لم تجب القوم إلى كتاب الله[3].

موقف الامام عليه السلام

فقال الامام علي عليه السلام لهم:

ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني

---

[1] - الفتوح: ٣/١٨٣- ١٨٥.

[2] - وقعة صفين: ٤٨٩-٤٩٠.

[3] - الفتوح :٣/١٨٥.

إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، لكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فأبعث إلى الأشر ليأتيك. وقدكان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله[1].

حكاية لمصعب بن الزبير

سأل مصعب بن الزبير إبراهيم بن الأشتر – وهو ممن شهد صفين – حين دخل عليه بعد مقتل المختار – كيف كانت رفع المصاحف، فقال إبراهيم:

كنت عند علي حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، فأرسل إليه علي يزيد بن هانئ: أن ائتني، فأتاه فبلغه فقال الأشر ائته فقل له: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي... فرجع يزيد بن هانئ، إلى علي فأخبره، فما هو إلاّ أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام، فقال له القوم: والله ما نراك إلاّ أمرته بقتال القوم[2].

قالوا: فابعث إليه – أي لمالك الأشتر – فليأتك وإلاّ والله عزلناك[3]، وفي رواية وإلاّ قتلناك كما قلتنا عثمان[4].

---

[1] – صفين: ٤٩٠.

[2] – صفين/٤٩٠، ويراجع تاريخ الطبري: ٥/٦٦١-٦٦٢.

[3] – الفتوح :٣ /١٨٦.

[4] – صفين/٤٩١.



وحين عاد الأشتر قال لهم بعد أن وبخهم:

(أمهلوني فواقا، فإني قد أحسست بالفتح، قالوا: لا.

قال: فأمهلوني عدوة الفرس، فإني قد طمعت في النصر.

قالوا: إذن ندخل في خطيئتك.

قال: فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين، أحين كنتم تقتلون أهل الشام، أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار.

قالوا: دعنا منكم يا أشتر[1].

موقف عقائدي

وقال رجل للأشتر: يا هذا! إن أمير المؤمنين قد قبل الحق ورضي بحكم القرآن ولم يسعه إلاّ ذلك فلا تقتل نفسك.

فقال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد رضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين.

معاوية يطلب الأمان

فكان معاوية بعد ذلك يقول:

والله لقد رجع عني الأشتر يوم رفع المصاحف وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من علي[2].

---

[1]- صفين/٤٩١.

[2]- الفتوح: ١٨٨/٣.

وجاء الأشعث بن قيس - لما رفعت المصاحف - إلى علي فقال له:

ما أرى الناس إلاّ قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، فنظرت فيما يسأل، قال: ائته إن شئت.

الأشعث ومعاوية

فأتى الأشعث معاوية، فقال:

يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق، فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية.

فقال الناس: فإنا قد رضينا وقبلنا، فقال أهل الشام: فإنا قد أخترنا عمرو بن العاص.

فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري.

الامام عليه السلام وأبو موسى

قال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولي أبا موسى.

فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسعر بن فدكي: لا نرضي إلاّ به، فإن ما كان يحذرنا منه وقعنا فيه.

قال علي: فإنه ليس لي بثقة، قد فارقني، وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك.

قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس: لا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

قال علي: فإني أجعل الأشتر.

قال الأشعث: وهل سعر الأرض غير الأشتر؟! وقال: هل نحن إلاّ في حكم الأشتر؟ قال علي: وما حكمه[1].

قال: (يضرب بعض وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله)[2].

قال الامام ﷺ: فقد أبيتم إلاّ أبا موسى؟ قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم (اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم)[3]، ثم بعثوا إلى الأشعري وكان قد اعتزل القتال، وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر[4].

مواقف ضد اختيار الأشعري

إن أصحاب الامام ﷺ، الذين عرفوا (الأشعري) وموقفه من الامام ﷺ وحروبه وخلافته، طلبوا منه أن يرسل غيره، وكان أولهم مالك الأشتر، ثم جاءه الأحنف بن قيس وطلب منه أن يرسله بدلاً عن أبي موسى لعدم أهليته في مواجهة عمرو بن

---

[1]- تاريخ الطبري: ٥/٦٣٣-٦٦٤.

[2]- الأخبار الطوال: ١٩٢.

[3]- الفتوح: ٤/١٩٩.

[4]- وقعة صفين: ٥٠٠.

العاص، فأبى الناس إلاّ أبا موسى والرضا بالكتاب.

فقال الأحنف:

فان أبيتم إلاّ أبا موسى فادفئوا ظهره بالرجال[1] ، **ثم قال لهم الامام علي عليه السلام:**

غير أني أراكم قد أجتمعتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم[2]

ويروي ابن أعثم:

أن أبا الأعور السلمي أقبل من عند معاوية وعلى رأسه المصحف حتى وقف قريباً من عسكر علي رضي الله عنه، ثم نادى بأعلى صوته: ... قد جئتكم في أمر لنا ولكم فيه حياة، وعذر وصلاح وحقن الدماء وألفة الدين وذهاب الفتن، أن نجعل القرآن بيننا وبينكم حكما ويحكم بيننا حكمان مرضيان: أحدهما من أصحابنا والآخر من أصحابكم، يحكمان بما في كتاب الله عزّ وجلّ فإنه خير لنا ولكم، ونقطع هذه الفتن، فاتق الله يا علي! فيما دعيت إليه وأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فصاحت به الناس: إننا قد رضينا بحكم القرآن.

فقال أبو الأعور:

فالحمد لله على ذلك، ووفقنا وإياكم لصالح الأمور، ثم إنّصرف إلى العسكر.

فقال علي رضي الله عنه: ويحكم! إن معاوية لم يكن ليختار لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره إلاّ عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح

---

[1] - تاريخ الطبري: ٥/٦٦٤.

[2] - الفتوح: ٢/١٨٩.

للقرشي إلا مثله، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به، فإن عمراً لا يعقد عقدة إلاّ حلها، ولا يبرم أمراً إلاّ نقضه، ولا ينقض أمر إلاّ أبرمه.

فقال: الأشعث ومن معه: لا والله لا يحكم فينا مضريان أبداً حتى تقوم الساعة: ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن؛ فقال علي رضي الله عنه: إني أخاف أن يخدع يمانيكم، فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء؛ فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما تحب وهما مضريان[1].

ثم اجتمع قرّاء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكريين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على ما فيه أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن، فرضي الفريقان جميعاً بالحكمين، وجعلوا المدة فيما بين ذلك إلى سنة كاملة[2].

---

[1] - الفتوح: ٤/١٩٨.

[2] - الفتوح: ٤/١٩٧.



الاختلاف في كتابتها

فغمد الناس أسيافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا على التحكيم. والتقوا في المنصف بين العسكريين ودعوا بالكاتب، عبيد الله بن رافع مولى رسول الله ﷺ وهو كاتب علي عليه السلام واجتمع الناس من أهل العراق والشام[1].

وقالوا: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين) فقال معاوية: (بئس الرجل أنا إن أقررت بأنه أمير المؤمنين، ثم أقاتله).

فقال عمرو بن العاص: (بل أكتب أسمه واسم أبيه).

فقال: علي الله أكبر سنة بسنة، أما والله لقد جرى على يدي نظير هذا يوم الحديبية – قرية قريبة من مكة – وامتناع قريش أن يكتب محمد رسول الله[2]، فكتبت ذلك بأمر الرسول ﷺ، فقال يا علي! إن لك يوماً مثل هذا، أنا أكتبها للآباء وتكتبها للابناء[3].

---

[1] – الفتوح: ٤/٢٠١.

[2] – الأخبار الطوال/١٩٤.

[3] – الفتوح: ٤/٢٠١.

وكان أبو سفيان حاضراً في الصلح، فقال للنبي ﷺ:

يا محمد! إني لو أقررت أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن أكتب لنا صحيفتك باسمك واسم أبيك، ثم قال الامام علي ؑ، فكتبت ذلك[1].

نص الصحيفة

إن مما يلحظ على المنقول التاريخي في المصادر المختلفة، أن هناك تفاوتاً في النقل فضلاً عما اشتمل بعضه على إرباك وعدم وضوح وربما أن ما أورده صاحب الفتوح أدق وأكثر تماسكاً من غيره على وجازة نقله[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وأهل الحجاز وأهل العراق من شيعة علي وأهل الشام من شيعة معاوية،إنّهم ينزلون على حكم كتاب الله وأنّ كتاب الله بين علي ومعاوية من فاتحته إلى خاتمته. وأن يحيوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص.

وإن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بما أنزل الله في كتابه، فإن لم يجد في كتاب الله فبالسنة الجامعة غير المفرقة، وإن عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص قد أمنا من الجندين جميعاً على

---

[1]- الفتوح:٤ /٢٠١، وتاريخ الطبري: ٥/٦٦٤-٦٦٥.

[2]- الأخبار الطوال:١٩٤، وقعة صفين:٥٠٤، تاريخ الطبري: ٥/٦١٥ وما بعدها.

دمائهما وأموالهما، وإن الأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه، والعهد والميثاق على الفريقين جميعا أن يرضوا بما في هذه الصحيفة، وأن يرجع أهل العراق، إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم، وأن يكون المجتمع للحكم بدومة الجندل، والمدة بين علي ومعاوية سنة كاملة - والسلام)[١].

وكتب أهل العراق بهذا كتاباً لأهل الشام بخط عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي، وكتب أهل الشام بهذا كتاباً لأهل العراق بخط عمار بن عباد الكلبي كاتب معاوية، وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام، وشهود أهل الشام على أهل العراق[٢]. وإن الكتاب قد (كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين)[٣].



---

[١]- الفتوح: ٢٠٥/٤، ويراجع وقعة صفين للمقارنة: ٥١٥.

[٢]- انظر: وقعة صفين: ٥٠٦-٥٠٧، حول أسماء الشهود من الطرفين.

[٣]- الأخبار الطوال/١٩٦.

آراء في صحيفة التحكيم

موقف الأشتر من الصحيفة

وروى نصر بن مزاحم انه: لما كتبت الصحيفة دعي لها الأشتر فقال:

لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة، أو لست على بينة من ربي، ويقين من ضلالة عدوي؟!

أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!

فقال له رجل من الناس: إنك والله ما رأيت ظفراً ولا فوزاً، هلم بك مع الناس.

قال مالك: بلى والله، إن بي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة.

ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندي ولا أحرم دما.

فقال عمار بن ربيعة: فنظرت إلى ذلك الرجل – أي الأشعث بن قيس– وكأنما قبح على أنفه الحمم – أي الرماد والفحم وكل ما احترق من النار– ثم قال مالك: ولكن قد رضيت بما صنع أمير المؤمنين، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه؛فإنه لا يدخل إلاّ في هدى وصواب[1].

---

[1]- وقعة صفين:٥١١-٥١٢.

سليمان بن صرد الخزاعي

عن عون بن أبي صحيفة قال:

أتى سليمان بن صرد علياً أمير المؤمنين بعد الصحيفة ووجهه مضروب بالسيف، قال نظر إليه علي قال: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[1]، فأنت ممن ينتظر وممن لم يتبدل.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما لو وجدت أعواناً ما كتب هذه الصحيفة أبدا.

أما والله لقد مشيت في النار ليعودوا إلى أمرهم الأوّل فما وجدت أحداً عنده خير إلاّ قليلاً[2].

محرز بن جريش

وقام محرز إلى علي فقال:

يا أمير المؤمنين ما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل، فوالله إني لأخاف أن يورث ذلاً.

فقال علي: أبعد أن كتبناه ننقضه، إن هذا لا يحل[3].

شعار الخوارج

(لا حكم إلاّ لله): وقد رفعوه حين أخذ الأشعث بن قيس، كتاب الصلح - صحيفة

---

[1] الاحزاب، ٢٣.

[2] - وقعة صفين/٥١٩.

[3] - وقعة صفين/٥١٩.

التحكيم- يمر به على كل، راية راية، وقبيلة قبيلة فيقرؤه عليهم، فمر برايات عنـزة، وكان مع علي منهم أربعة آلاف رجل، فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم، اسمهما جعد ومعدان: (لا حكم إلاّ لله) ثم شدا على أهل الشام، فقاتلا حتى قتلا، وهما أول من حكم.

ثم نادى بهذا الشعار أيضاً أو بما يعطي دلالته، صالح بن شقيق من مراد، وبني راسب وبني تميم، وقال عروة بن أدية:

(أتحكمون في دين الرجال، فأين قتلانا يا أشعث؟) ثم حمل بسيفه على الأشعث فأخطأه، فانصرف الأشعث إلى قومه[1].

خطبة الامام علي عليه السلام بعد الصلح

روى نصر بن مزاحم عن الشعبي، أن علياً قال:

يوم صفين حين أقرّ الناس بالصلح، إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمفاسر تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس – الجيش – يتلوه الخميس وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاهم ... صدق صبر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سيل الله إلاّ جدا في طاعة الله، وحرصاً على لقاء الله.

ولقد كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابنائنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضياً على

---

[1]- الأخبار الطوال /١٩٦-١٩٧، وفي أنساب الأشراف اختلاف في أول من حَكَم (عروة بن أدية أو يزيد بن عاصم المحاربي) :٣ /١١٠.

أمضى الألم، وجد على جهاد العدو، والاستقلال بمبارزة الأقران،
ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين
يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من
عدونا، ومرة لعدونا منا.
فلما رآنا الله صبر صدقا أنزل الله بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر.
ولعمري لو كنا نأتي مثل الذي أتيتم ما قام الدين ولا عزّ الإسلام.
وايم الله لتحلبنها دماً - يعني الخوارج - فاحفظوا ما أقول لكم[1].

وصايا لأبي موسى الأشعري

سبق أن أشرنا إلى موقف أبي موسى من بيعة الامام ؑ وكذا موقفه عن حرب الجمل وتخذيل الناس ومحاولة إبعادهم عن الالتحاق بالامام ؑ ومنعهم من مشاركته في حروبه، وإن الامام ؑ لما أكره على التحكيم لم يرض بأبي موسى للسبب السابق ذكره، ولأن أبا موسى لا يستطيع من مواجهة منكر وأحابيل عمرو بن العاص؛ لذا قال الامام ؑ لهم: **أن أرموه عبد الله بن عباس، فإنه لا يعقد عمرو عقد إلاّ حله** ... غير أن القوم أكرهوا الامام ؑ أيضاً على أن يكون الأشعري ممثلاً عنهم وحكماً فيما بينهم وبين معاوية، إن أبا موسى ليس نداً لعمرو ولا أهل في أن يكون قبالته؛ لذا فان بعضهم تقدم إلى أبي موسى موصياً أياه بالحذر والتحفظ في التعامل مع عمرو لما عرف عنه بالغدر والمكيدة.

---

[1]- وقعة صفين: ٥٢٠ -٥٢١.

شريح بن هانئ

أقبل شريح على أبي موسى وقال له:

إنك قد نصبت لأمر لا يجبر صدعه ولا يستقال عثرته، فاعلم أنك إن قلت شيئاً لك أم عليك ألزمك حقه وزال عنك باطله، فاتق الله وأنظر كيف تكون، فإنك قد رميت بعمرو بن العاص، وهو رجل لا دين له، لأنه باع دينه بدنياه، فإياك أن يخدعك فإنه خداع مكار، والسلام[1].

الأحنف بن قيس

ويروي ابن مزاحم أنّ آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس، أخذ بيده ثم قال له:

(يا أبا موسى، أعرف خطب هذا الأمر، والله أنّ له ما بعده، وأنك إن أضعت العراق فلا عراق، فاتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا لقيت عمراً غداً فلا تبدأه بالسلام، فإنها وإن كانت سنة إلاّ أنه ليس من أهلها، ولا تعطيه يدك فأنها أمانة، وإياك أن يقدمك على صدر الفراش فإنها خدعة. ولا تلقه وحده، وأحذر أن يكلمك في بيت مخدع تخبأ فيه الرجال والشهود)[2].

عدي بن حاتم الطائي

ووثب عدي بن حاتم الطائي فقال:

أما والله يا عمرو! إنك لغير مأمون العيب فأما أنت يا أبا موسى فغير مأمون الضعف.

---

[1]- الفتوح: ٤/٢٠٧- ٢٠٨.

[2]- صفين: ٥٣٦.

فقال عمرو بن العاص:

والله يا عدي! مالك ولا لغيرك مع كتاب الله ورد ولا صدر، فامسك عنك هذا.

ثم قال عمرو لأبي موسى:

والله لقد كنت أحب أن لا يشهد هذا الأمر من يفسده علينا[١].

عبد الله بن عباس

وإن ابن عباس التقى بأبي موسى بعد لقاء أبي موسى بعمرو بن العاص، وقال له:

(ويحك يا أبا موسى، أحسب والله عمراً قد اختدعك، فإن كنتما قد اتفقتما على شيء فقدمه قبلك ليتكلم، ثم تكلم بعده، فإن عمراً رجل غدار، ولست آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه، فإذا قمت به في الناس خالفك).

قال أبو موسى:

(قد اتفقنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله)[٢]



١- الفتوح: ٤/٢١٠.

٢- الأخبار الطوال: ٢٠٠.

الحكمان

لقد رُسِمت صورة لها معالم وملامح واضحة بنسبة ما، لشخصية كل من عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، مما قد رواه المؤرخون والمحدثون، والذي:

درجناه تحت العناوين السابقة ابتداء من بيعة الامام ﷺ وما سبقها من أحداث إلى يوم التحكيم، حيث وضحت لنا الوصايا والتحذيرات لأبي موسى وحوارات معه ومع عمرو بن العاص - تلك الملامح والمعالم - ممن شهد وقعة صفين من صحابة وتابعين باحسان، وما سبق ذلك من أحداث وما تلاها.

أخبار الرسول ﷺ عن الحكمين

روى اليعقوبي المتوفى سنة (٢٨٤هـ) والمسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ) و ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ).

إن الرسول ﷺ أخبر عن حكمين يخرجان في أمته يُحكما فَيَضِلان ويَضلا من يتبعهما، كما كان قد حدث ذلك في بني إسرائيل، ولم يذكر المسعودي سند الرواية وفي اليعقوبي كما دون في الهامش (بياض في الأصل)، ويروي عن عبد الرحمن بن حصين بن سويد[1]، وذكر ابن كثير الدمشقي سند آخر، والروايات الثلاث لها مضمون واحد

---

[1]- بعد مراجعة كتب الرجال ظهر أن عبد الرحمن بن حصين أو حضين، بن اويس وليس سويد، وجميع المصادر ينقل عن عبد الله بن عمر. انظر: التابعين من الثقات، ابن حبان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٢هـ: ١٩٣، والجرح والتعديل، الرازي: ٥٠، أي أن لم يرد راوي بالاسم

ودلالة واحدة أيضاً، وإن اختلفت في الألفاظ فضلاً عما فيها من نقص أو زيادة[١].

رواية اليعقوبي

قال ابن الكلبي:

أخبرني عبد الرحمن بن حصين بن سويد[٢] قال: إني لأساير أبا موسى الأشعري على شاطئ الفرات، وهو إذ ذاك عامل لعمر - ابن الخطاب - فجعل يحدثني، فقال: إن بني إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض، حتى حكموا ضالين أضلا من اتبعهما.

قلت - أي سويد بن غفله -:

فإن كنت يا أبا موسى أحد الحكمين، قال فقال لي: إذاً لا ترك الله لي في السماء مصعداً ولا في الأرض مهرباً إن كنت أنا هو.

فقال سويد:

لربما كان البلاء موكلاً بالمنطق. ولقيته بعد التحكيم،

فقال أبو موسى:

إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب[٣].

الذي ورد في تاريخ اليعقوبي.

[١]- تاريخ اليعقوبي: ٢/١٩٠-١٩١، المسعودي، مروج الذهب: ٢/٣٩٢ والبداية والنهاية :٦/ ٢٢٠.

[٢]- ربما اشتباه من الناسخ، أو أن عبد الرحمن بن حصين ينقل عن سويد.

[٣]- اليعقوبي: ٢/١٩٠-١٩١.



ويجد القارئ من خلال المقارنة بين النصوص الثلاثة أن الذي يتحدث مع أبي موسى، هو سويد بن غفلة، وأخرى هو ينقل عن أمير المؤمنين ما رواه عن النبي ﷺ بخصوص حكمين يظهران عند اختلاف يكون بعد عصر النبي بين فئتين فيحكموهما في أمر فيضلان ويضلا غيرهما، وهو الذي يحاور أبا موسى بعد التحكيم، فيريه أنه روى الحديث وعاش الحادث وهو أحد الفاعلين فيه ولكن من غير وعي بمآل الحال، فمن سل ربك العافية، إلى إذا قضى الله أمراً لم يغالب، - فرب ناقل فقه وهو ليس بفقيه، أو ينقله إلى من هو أفقه منه - وتلك حالة تُرى في أحد الحكمين، والآخر يسعى بقصد وهدفية ليكون معاوية أو سواه أميراً لحاجة في نفسه، وهو يعي دور معاوية وسواه من خلال ما يكون له من موقع هنا أو هناك، لا يفوته في كل أحواله مكانة يطلبها، لأنه لا يجد في ابن أبي طالب ضعف، ووهن يستطيع اختراقه بما يملك من خبث، ومكر.

رواية المسعودي

قال المسعودي:

> **كان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول: إن الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم وتضعهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا يرضى به من اتبعهما، وإن هذه الأمة لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما، فقال سويد بن غفلة: إياك أن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين، قال: أنا؟ قال نعم أنت، قال: فكان يخلع قميصه ويقول: لا جعل الله لي إذاً في السماء مصعداً، ولا في الأرض مقعدا، فلقيه سويد بن غفلة بعد ذلك فقال: يا أبا موسى؛أتذكر مقالتك؟ قال: سل ربك العافية.**

رواية ابن كثير

فقد ذكر ابن كثير بطريق آخر - أي غير الذي ذكره اليعقوبي - عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار عن سويد بن غفلة قال:

إني لأمشي مع علي بشط الفرات فقال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا من اتبعهما، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلا وأضلا من اتبعهما[1].

وروى صاحب ميزان الأعتدال الرواية، والغريب ما استنكره الطبراني لما يمكن أن يعتبر قرينة ومدعم من روايتي اليعقوبي والمسعودي على صحة المنقول وصدوره عن صاحب الرسالة (ص) مع غض الطرف عن الروايات التي وردت عنه (ص) ولسانها الاشتشراف والاستقبال محدث بمآلات الأمة والصحابة، فقد ذكر الذهبي: ان الطبراني قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلم الرازي ثنا إسماعيل بن موسى السدي ثنا جعفر بن علي عن علي بن عابس عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن سويد بن غفلة قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يقول:

قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأمة رجلان ضالان ضال من تبعهما فقلت يا أبا موسى أنظر لا تكون أحدهما، قال: فوالله ما مات حتى رأيته أحدهما. وقال الطبراني: هذا باطل عندي لأن جعفر بن علي شيخ مجهول..[2]

---

[1] - البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٢١/٦.

[2] - ميزان الاعتدال، الذهبي، وفاته عام ٧٤٨هـ تحقيق علي محمد، عادل أحمد عبد الموجود، دار

ما اشترط على الحكمين

لقد تضمنت صحيفة التحكيم ما اشترطه الطرفان على الحكمين، بعد أن أخذا عليهما عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسوله أن يتخذا القرآن اماما ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يتعمدان لها خلافا، ولا يبغيان فيها بشبهة[1].

كما أن الصحيفة تضمنت ما للحكمين من حقوق، أن يكونا في آمان من الطرفين - في حكومتهما على الشرطين - على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأهاليهما وأولادهما ما لم يعدوا الحق، رضى به راض أو سخط به ساخطٍ، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما هو في كتاب الله[2].

وصية الامام علي لعمرو بن العاص

لما كان موعد اجتماع الحكمين أرسل الامام عليه السلام وصية إلى عمرو بن العاص مع شريح بن هانئ - فعن النضر بن صالح قال:

> **كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان، فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال له: قل لعمرو إن لقيته: إن علياً يقول لك:**
>
> **إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده،**

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ : ٨/٧١..٢٤٧.

[1] - الأخبار الطوال: ١٩٤- ١٩٥.

[2] - نفس المصدر.

وأبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده.
والله يا عمرو: إنك لتعلم أين موضع الحق، فلم تتجاهل؟ إن أوتيت طمعا يسيرا كنت به لله وأوليائه عدوا فكأن والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً، أما إني أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة[١].
قال شريح: فأبلغته ذلك فتمعر - أي تغير وعلته صفرة - وجه عمرو وقال: متى كنت أقبل مشورة علي أو أنيب إلى أمره واعتد برأيه؟!
فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه - وآله - مشورته[٢]، فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه، ويعملان برأيه، فقال: إن مثلي لا يكلم مثلك فقلت له: وبأي أبويك مترغب عني! بأبيك الوشيظ - الخسيس والتابع - أم بأمك النابغة - لقب أم عمرو[٣].

اجتماع وتداول الحكمين

لما رفع أهل الشام المصحف، خاطب أمير المؤمنين ﷺ أصحابه قائلاً: إن هذه خديعة وأن هؤلاء لم يعلموا القرآن ولا عملوا به، أو لستم على بينة من ربكم؟ فأمضوا لشأنكم وقاتلوا عدوكم. فلم يفعلوا وغلبوه فأجاب إلى ترك القتال.

١- تاريخ الطبري، (٨) مجلدات طبعة الأعلمي: ٤/٥٠-٥١.

٢- وقعة صفين/٥٤٢-٥٤٣.

٣- تاريخ الطبري: ٥/٦٨٣.

وروي ابن طباطبا:

فتراضى الناس جميعاً بذلك إلاّ أمير المؤمنين ﷺ، فإنه رضي كارهاً ونفر يسير من أصحابه كالأشتر وابن عباس رضي الله عنهم[1]، **وفي المصادر الأخرى قد ذكرت أسماء أخرى من أصحاب الامام ﷺ ممن لم يرضوا بالتحكيم وقالوا: إن رفع هذه المصاحف خدعة رفعت حين عرف أهل الشام أنهم مغلوبون**[2].

ويقول ابن طباطبا:

(ثم أرسل - أمير المؤمنين ﷺ - إلى معاوية، رسولاً يقول له: ما الذي تريد برفع هذه المصاحف؟

قال: نحكم منا رجلاً ومنك رجلاً ونقسم على الرجلين أن ينصحا الأمة ويعملا بما في كتاب الله عزّ وجلّ وما لم يجداه في كتاب الله حملاه على السنة والجماعة فأي شيء حكما به قبلنا[3].

وبعد مضي أشهر ووفقاً لبعض المرويات أن الحكمين اجتمعا في عام ثمان وثلاثين، وجرت بينهما مداولات وتحاورا، ثم أعلانا ما اتفقا عليه، ومن خلال تتبع المنقول التاريخي، كان المحور الذي ركز عليه أحد الحكمين - عمرو بن العاص - مسألة الخليفة عثمان ومظلوميته، وإن معاوية ولي الدم.

وأما الحكم الآخر فكان يركز على إعادة الأمر تارة إلى الأمة وأخرى يطلب من

---

[1] - الفخري، في الآداب السلطانية، ابن طباطبا: ٩١.

[2] - سبق أن أشرنا لذلك، وقد ذكرنا مصادره.

[3] - الأخبار الطوال: ١٩٩.

عمرو بن العاص إحياء سنة عمر بمبايعه ولده عبد الله بن عمر، وفي بعض المصادر لم يذكر ذلك.

تداول وحوار الحكمين

إن أهم ما يثار هنا:

أولاً: ما هو دور المصحف؟ وأين موقعه من الحكمين؟ أو بكلمة أدل ما المقصود بهذا الشعار «كتاب الله بينا وبينكم»؟

ثانياً: ما الأمر المبحوث عنه في المصحف؟ حتى إذا لم يجد الحكمان فيه عن هذا الأمر شيئاً، بحثا عنه في السنة غير المفرقة؟

ثالثاً: أكان الحكمان، يبحثان، عن خلع علي، وإثبات معاوية؟ أم أنهما كان يحكمان في أمرين لا ثالث لهما: وهما خروج معاوية على شرعية الخليفة والأمة. هذا من طرف علي ومن تابعه من الصحابة، مهاجرين وأنصار وتابعين بإحسان.

والأمر الثاني إن يصح من طرف معاوية، وهو الاقتصاص من قتلة عثمان، وهذا شعار معاوية ومن تابعه وهدفه المعلن، واحتجابه به واحتجاجه وذريعته بقتال الخليفة وأنه أبدى للشاميين ولغيرهم، أنه ليس كعلي في سابقته ودينه، ... إلا أنه آوى قتلة امامكم، ولو سلمهم لبايعته وتابعته...!

ومما يستغرب منه أن المنقول التاريخي عموماً لم يشر إلى هذه المطالب المثارة، فضلاً عن تجاهل لدور المصحف المرفوع في الأمر كله؛فلم يكن له حيزاً بين الحكمين في تداولهما، اللهم إلا أن لا يغفل ما تنابزا به الحكمان، [فأحدهما يلهث في حاليه، والآخر يحمل أسفاراً]، لا تعليق هنا.



وإذا تركنا الناقلين، وحجبهم ما يثار، فلا يسعنا إلا أن نسجل للتاريخ أيضاً غرابة موقف، وتغيب آخر وليس أخير حول هذه المطالب، من قبل متأخرين مكاناً وزماناً عن تلك الأحداث وملابساتها، إلا أنهم أبوا إلا أن ينظروا ويفكروا بنفس منظار السابقين، وبذات تفكيرهم.

ولكن من أجل من؟

ويؤرخ لهذا التوجه في القرن العشرين من عام ١٩٢٧، وإلى أواسط التسعينيات، أي يبدأ بكتاب (الدولة الأموية في الشام) أنيس النصولي، ولا ينتهي بكتاب سليم العوا (في النظام الآسلامي) حيث شغل الحكمان ومتعلقاتهما حيزاً يعتد به من مساحة الكتاب دفاعاً عنهما مصوراً كل المنقول التاريخي في هذا الاتجاه وهماً وما يشاكله، ولم يعقب على المتواتر بين المسلمين – خصوصاً له وعموماً لغيره – بل لم يدر بخلده حتى مجرد وهم حول مجريات الأمور التي تسببا في خلقها، فيقف متأملاً، أي حديث «متفق عليه» روي عن الرسول الأعظم ﷺ حول الحكمين، أو ما في دلالته يفضي مشيراً إلى دالة توجه نحو الحق أو رجالاته؛ فما وروى أبو سعيد الخدري، وأبو أيوب وسواهما، فيما يخص قتال، الناكثين، والمارقين، والقاسطين، أو ما له مثل هذه الظلال أو العطاء والتجلي، وليس التجني، وهو كثير، وقد أشرنا إلى بعض منه [1].

---

[1] – انظر: الدولة الأموية في الشام، أنيس زكريا النصولي، مطبعة دار السلام في بغداد، ١٩٢٧، الدولة الأموية يوسف العش، تاريخ الدولة الأموية، د.نبيه عاقل، دارالفكر، ط٣، ١٣٩٤هـ. إلى غير ذلك من المؤلفات .

ولنعد لحوارات الحكمين وما دار بينهما، وما خلصا إليه:

روى ابن قتيبة:

(إن عمراً غدا على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى قد عرفت حال معاوية في قريش، وشرفه في بني عبد مناف، وأنه ابن هند، وابن أبي سفيان، فما ترى؟

فقال أبو موسى: **أما معاوية فليس بأشرف في قريش من علي، ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية كان أخوال ذي أصبح** - وفي مصادر أخرى أبرهة بن صباح - ولكنني أرى وترى، وباعده أبو موسى، ثم غدا عليه عمرو، فقال:

يا أبا موسى إن قال قائل: إن معاوية من الطلقاء، وأبوه رأس الأحزاب، لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق، وإذا قال: إن علياً أوى قتلة عثمان، وقتل أنصاره يوم الجمل[1]، وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق، وفينا وفيكم بقية، وإن عادت الحرب ذهب ما بقي، فهل لك أن نخلعهما جميعا، ونجعل الأمر لعبد الله بن عمر، فقد صحب رسول الله ﷺ، ولم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً، وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه، فقال أبو موسى: جزاك الله بنصيحتك خيرا.

وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر أحداً، - بزعمه - لمكانه من رسول الله ﷺ، ومكانه من أبيه، لفضل عبد الله في نفسه، وافترقا على هذا الأمر، واجتمع رأيهما على ذلك[2].

---

[1] - سبق التحقيق في مسألة أهل الجمل ودورهم في مقتل عثمان.

[2] - الامامة والسياسة: ١/١١٧- ١١٨.

فلما كان من الغد أقبل - عمرو بن العاص - إلى أبي موسى ومعه شهود قد أعدهم للذي يريد أن يصنع؛ فدخل على أبي موسى واجتمعت الناس للكلام، فقال عمرو:

يا أبا موسى: أنشدك الله من أحق بهذا الأمر؟ من وفى أم من غدر؟

فقال أبو موسى: لا بل من وفى. قال: فما تقول في عثمان أقتل ظالماً أو مظلوماً؟ فقال أبو موسى: بل مظلوماً.

قال: فما تقول في قاتله أيقتل به أم لا؟

فقال أبو موسى: بل يقتل به.

قال عمرو: فمن يقتله؟

قال: يقتله أولياء عثمان، لأن الله عزّ وجلّ قال: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾[1].

قال عمرو: فهل تعلم أن معاوية من أولياء عثمان؟

فقال أبو موسى: نعم، هو من أولياء عثمان وفي الأخبار الطوال قال أبو موسى: فأولى منه - أي من معاوية - ابنه عمرو بن عثمان[2] -

قال عمرو: أيها الناس أشهدوا على ما قاله أبي موسى!

قال أبو موسى: نعم، فاشهدوا ثم أشهدوا على ما أقول: إن معاوية من أولياء عثمان، أقم يا عمرو! فاخلع صاحبك، فإننا على ما كنا عليه أمس.

فقال عمرو: سبحان الله! أقوم أنا قبلك، وقد قدمك الله عليّ في الإيمان والهجرة، لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت، وأقوم أنا من بعدك.

---

[1]- الأسراء: ٣٣.

[2]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/١١٨.

نتيجة التحكيم

إعلان ما اتفق عليه الحكمان

وهنا أيضاً يجد قارئ التاريخ الآسلامي أن المنقول والنصوص التي رويت في هذا الأمر الذي اتفق عليه الحكمان متفاوت ومتباين من مصدر إلى آخر ومن رواية إلى أخرى، فقد نقل ابن قتيبة: إن أبا موسى قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن خير الناس للناس. خيرهم لنفسه، وأني لا أهلك ديني بصلاح غيري، إن هذه فتنة قد أكلت العرب، وأني رأيت وعمرو، أن نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر، فانه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً[1] في حين أن البلاذري يروي، أن عمراً خلا بعبد الله بن عمر فقال: أنت أحق بهذا الأمر؛ فأجابه عبد الله بن عمر: ما أنا بالذي أقاتل الناس فتؤمروني عليهم، ولا حاجة لي في الآمرة[2].

ثم نعود إلى رواية الدينوري: ثم قام عمرو فقال:

أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين، وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا وقد خلع علياً وأنا أثبت معاوية.
فقال أبو موسى مالك؟ عليك لعنة الله: ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث! فقال عمرو: لكنك مثل الحمار تحمل أسفاراً.

---

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/١١٨.

[2]- انساب الأشراف :٣ /١١٩.

غير أن بعض المصادر ورد فيها أن الحكمين قد اتفقا على جعل الأمر شورى ليختار الناس لأنفسهم.

فقد روي الدينوري عن اتفاق الحكمين وتقديم عمرو لأبي موسى، فصعد أبو موسى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أيها الناس إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به الألفة هذه الأمة ويصلح أمرها، فلم نر شيئاً هو أبلغ في ذلك من خلع هذين الرجلين، علي ومعاوية، وتصيرها شورى ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلا، وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتم ثم نزل، وصعد عمرو، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه إلاّ وأني قد خلعت صاحبه كما خلعه، وأثبت معاوية، فإنه ولي أمير المؤمنين عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)[1].

إن أبا موسى يشبه عمرواً بالكلب والأخير يشبه أبا موسى بالحمار، وهما صحابيان ووصفتهما أقوال من كتب عنهم بزهد وتقوى أو ما شابه ذلك، فأيهما يُسمع قوله؟ وأيهما أعدل، لنعدِل به عن صاحبه، وما هما وخلع أو تثبيت وهما ليس من أهل السابقة، ولا ممن أنس برأيه في شورى أو بيعة على طول خط تداول السلطة «سقيفة، عهد أبي بكر، وشورى عمر»!

وهل رضيت الأمة بهما حكمين كيما يتسابا بالقرآن؟ وهل حكما القرآن؟ أم تحكما به؟

---

[1]- الأخبار الطوال: ٢٠١.

واختلط الناس بعد ذلك، فقالوا:

والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتمانا عما نحن عليه، وما صلحكما يلزمنا وإنا اليوم على ما كنا عليه بالأمس، ولقد كنا ننظر إلى هذا قبل أن يقع – وما أمات قولكما حقاً، ولا أحيا باطلاً[١] – ثم تشاتم أبو موسى وعمرو، ثم إنّصرف عمرو إلى معاوية، ولحق أبو موسى بمكة، وفي مصادر أخرى هرب من أهل الشام وأهل العراق[٢].

وفي رواية أبي حنيفة:

وأنسل أبو موسى، فركب راحلته وهرب، حتى لحق بمكة[٣].

وانصرف القوم إلى علي، فقال عدي:

أما والله يا أمير المؤمنين، لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال، وجعلت الحكم لله.

فقال علي عليه السلام: أما إني قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غير أبي موسى، فأبيتم عليّ، ولا سبيل إلى حرب القوم حتى تنقضي المدة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين: أبي موسى وعمرو. فقام الحسن عليه السلام– فتكلم فقال: ايّها الناس، قد اكثرتم في أمر أبى موسى و عمرو، و إنّما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى، فحكما

---

[١]– الفقرة تحتاج تأمل، الامامة والسياسة: ١/١١٨.

[٢]– الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ١/١١٩.

[٣]– الأخبار الطوال: ٢٠١.

بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما، ولكنه محكوم عليه، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال: خالف (يعني أبا موسى) أباه عمر، إذ لم يرضه لها - أي للخلافة - ولم يره أهلا لها، وكان أبوه أعلم به من غيره، ولا ادخله في الشورى إلاّ على أنه لا شيء له فيها، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى، فهذه واحدة، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والأنصار، الذين يعقدون الامامة، ويحكمون على الناس، وثالثة: لم يستأمر الرجل في نفسه، ولا علم ما عنده من رد أو قبول.

ثم قال علي ﷺ لعبد الله بن جعفر: فتكلم. فقام وقال:

أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلي، والرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبي موسى، فقلتم قد رضينا هذا، فارض به، وايم الله ما أصلحا بما فعلا الشام، ولا أفسدا العراق، ولا أماتا حق علي ولا أحييا باطل معاوية، ولا يذهب الحق قلة الرأي، ولا نفخة الشيطان، وإنا لعلي اليوم كما كنا أمس عليه[1].

آخر خطبة

روى ابن قتيبة[2] ولما أراد علي - ﷺ- الانصراف من النهروان، قام خطيباً، فحمد الله ثم قال:

أما بعد، فإن الله قد أحسن بلاءكم، وأعز نصركم، فتوجهوا من

---

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ١/١١٩.

[2]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ١/ ١٢٨-١٣٠.

فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. فقالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا، وكلت أذرعنا، وتقطعت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا، فارجع بنا نحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة، فإن ذلك أقوى لنا على عدونا. فأقبل علي بالناس حتى نزل بالنخيلة، فعسكر بها، وأمر الناس أن يلزموا معه عسكرهم، ويوطنوا أنفسهم على الجهاد، وأن يقلوا من زيارة ابنائهم ونسائهم، حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام، فأقاموا معه أياما، ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة، ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم، حتى تركوا عليا وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير، وترك العسكر خاليا.

فقام علي عليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، فأعدوا له ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى به وكيلاً، ثم تركهم أياما، ودعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي ثبطهم؟ فمنهم المعتل، ومنهم المتكره، وأقلهم من نشط، فقال لهم علي: عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا، ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا، كلما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة، وكانت قلوبكم قاسية، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه[1]،

---

[1] كمه: اجمع أكمه، و هو الذى ولد بون عينين (محقق).

فأنتم لا تبصرون، لله أنتم، ما أنتم إلا أسود رواعة[1]، وثعالب رواغة عند الناس، تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون، وأنتم في غفلة ساهون: إن أخا الحرب اليقظان.

حقكم وحقي عليكم

أما بعد: فإن لي عليكم حقا، ولكم علي حق، أما حقكم علي: فالنصيحة في ذات الله، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في الاجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أحب، تنالوا بذلك ما تحبون، وتدركوا ما تأملون أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهي الصم[2]، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت، أعاليل بأضاليل، هيهات، لا يدرك الحق إلا بالجد والصبر، أي دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي امام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب[3]، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فرق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي، وأعقبكم بعدي من هو شر لكم مني، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً. وسيفاً قاتلاً. وأثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم سنة. تفرق جماعتكم. وتبكي

---

[1] رواعة: خوافة جمع رواع و هو شديد الروع و هو الخوف (محقق).

[2] الصم: جمع أصم: و المراد الجبال الصم و هي الشديدة الصلابة. و يوهى يضعف (محقق).

[3] السهم الذى لا يصيب مرماه (محقق).

عيونكم. وتدخل الفقر بيوتكم. تمنون والله عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني. وستعرفون ما أقول لكم عما قليل. استنفرتكم فلم تنفروا. ونصحت لكم فلم تقبلوا، وأسمعتكم فلم تعوا، فأنتم شهود كأغياب، وصم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة النافعة، وأحثكم على جهاد المحلين[1]، الظلمة الباغين، فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين، إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقا عزين، تضربون الامثال، وتناشدون الاشعار، تربت أيديكم، وقد نسيتم الحرب واستعدادها، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها، وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل، ويحكم ! اغزوا عدوكم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، وايم الله ما أظنكم تفعلون حتي يفعل بكم ! وايم الله لوددت أني قد رأيتهم فلقيت الله على نيتي وبصيرتي، فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم، ويحكم ! ما أنتم إلا كإبل جامحة ضل عنها رعاؤها، فكلما ضمت من جانب، انتشرت من جانب، والله لكأني أنظر إليكم وقد حمى الوطيس، لقد انفرجتم عن علي انفراج الرأس، وانفراج المرأة عن قبلها.



---

[1] الذين أحلوا أنفسهم من بيعة الامام على عليه السلام بعد أن وجب عليهم و لزمتهم (محقق).



اختلال التوازن/ المأمور آمر

اقتد بفعل عثمان

فقام إليه الاشعث بن قيس الكندي، فقال:

يا أمير المؤمنين فهلا فعلت كما فعل عثمان؟

قال له علي:

ويلك وما فعل عثمان، رأيتني عائذا بالله من شر ما تقول، والله إن الذي فعل عثمان لمخزاة على من لا دين له، ولا حجة معه، فكيف وأنا على بينة من ربي، والحق معي، والله إن امرأ أمكن عدوه من نفسه، فنهش عظمه، وسفك دمه، لعظيم عجزه، ضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأما أنا فو الله دون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفي، يطير له فراش الرأس، وتطيح منه الاكف والمعاصم، وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

استشراف المستقبل

والله يا أهل العراق، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم، فقالوا: أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إني أرى أمورهم قد علت، وأرى أموركم قد خبت، وأراهم جادين في باطلهم، وأراكم وانين في حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، وأراكم لي عاصين. أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي

لتجدنهم أرباب سوء، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم، وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب، لا تأخذون لله حقا، ولا تمنعون له حرمة، وكأني انظر إليهم يقتلون صلحاءكم، ويخيفون علماءكم، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحجبونكم، ويدينون الناس دونكم، فلو قد رأيتم الحرمان، ولقيتم الذل والهوان، ووقع السيف ونزل الخوف، لندمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية، حين لا ينفعكم التذكار.

شاهد

ثم قام أبو أيوب الانصاري، فقال:

إن أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له أذن واعية، وقلب حفيظ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله ﷺ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده، يفقهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلين، فو الله لكأنكم صم لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون. عباد الله، أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام، فذو حق محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقى بالعراء، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق، ونشر العدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم، ولا تتولوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. اشحذوا السيوف، وجددوا آلة الحرب، واستعدوا للجهاد، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصاقدين.



شراء الذمم

ثم قام رجال من أصحاب علي فقالوا:

يا أمير المؤمنين، اعط هؤلاء هذه الاموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي، ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه. وإنما قالوا له: هذا الذي كان معاوية يصنعه بمن أتاه، وإنما عامة الناس همهم الدنيا، ولها يسعون، وفيها يكدحون؛ فأعط هؤلاء الاشراف، فإذا استقام لك ما تريد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم، فقال علي: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الإسلام؟ فو الله تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده: إذا شهد أطاعه، وإذا غاب سبه. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أتظن ذلك كائنا؟ قال: ما هو بالظن ولكنه اليقين. لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم، والله لو كان لي مال لسويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالكم.[1]

تركة أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عليه السلام

قال هبيرة بن شريم:

سمعت الحسن رضى الله عنه يخطب، فذكر أباه وفضله وسابقته، ثم قال: والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشترى بها خادما[2].

---

[1] الامامة و السياسة، ابن قتيبة الدينورى: ١ / ١٣٢ (محقق).

[2] الامامة و السياسة، ابن قتيبة الدينورى ١/ ١٤٠؛ المستدرک، الحاكم النيشابورى، ٣ / ١٧٢، (فى هذا المصدر نقل من على بن الحسين عليه السلام)؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان، ١٥ / ٣٨٥ فى هذا

يقين

وجاء رجل من مراد إلي على، فقال له:

يا أمير المؤمنين، احترس، فإن هنا قوما يريدون قتلك: فقال: إن لكل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلياه.

آخر وصاياه ﷺ

قيل: ولما ضرب علي دعا أولاده، وقال لهم:

عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا على ما صرف عنكم منها، وانهضوا إلى عبادة ربكم، وشمروا عن ساق الجد، ولا تثاقلوا إلى الأرض، وتقروا بالخسف، وتبوءوا بالذل، اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى، وزهدنا وإياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى، والسلام[1].

وبعد ذلك رجع الامام ﷺ وجنده إلى الكوفة، وهنا اعتزل الخوارج واتجهوا إلى حروراء، وبها سموا «حرورية» ثم كان بُعيد ذلك إفسادهم في الأرض ومناجزة أمير المؤمنين ﷺ لهم، فكانوا مانعاً من مقاتل معاوية بن أبي سفيان.

فكانوا ممهدين لتحول الخلافة إلى ملك عضوض، حيث ورث الامام الحسن ﷺ تلك النتائج مع جيش قليل العدة والعدد كما أتضح من خطاب أمير المؤمنين ﷺ حيث انفض الأعم الأغلب من الجند وتركوا معسكرهم «النخيلة» فارين إلى خفض العيش والدعة والمسكنة، وبالتحقيق ربما لم يبق إلى صف الامام الحسن ﷺ إلا تلك المقدمة -

---

المصدر نقل من هبيرة بن يريم (محقق).

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني :١ /١٤٠ .



وهي أربعون ألفاً لا يزيدون - التي قادها عبيد الله بن العباس لمواجهة القاسطين إلا أنه أصبح في معسكر معاوية خاذلاً امامه وخائناً أمانته، فقادهم قيس بن سعد بن عبادة الذي أصر إلى أخر لحظة على عدم مبايعة معاوية.

وإن ما جرى في مسكن ومحاولة أحدهم لآغتيال الامام عليه السلام وسلب متاعه إلى غير ذلك يؤكد ما نذهب إليه من قلة جنده، وإضطراره لحفظ البقية من خلص أصحابه وتأخير الحرب إلى وقت آخر كما في تصريحه عليه السلام، فكل ذلك عوامل أنتجت الصلح وما أعقبه من ظواهر ومواقف للفرقاء.



خلافة الامام الحسن بن علي عليه السلام

مبايعة الامام الحسن عليه السلام بالخلافة:

ذكر المؤرخون، أن لما قتل الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعة، فبايعوه[1]، وكان ذلك بعد فراغ الامام الحسن عليه السلام من قتل عبد الرحمن بن ملجم - قاتل الامام علي عليه السلام -،حيث أتجه حشد كبير من أهل الكوفة إلى الامام الحسن عليه السلام، وقد غص بهم مسجد الكوفة - على سعته - فقام خطيباً، حيث كان يقف أمير المؤمنين عليه السلام، وحوله من بقي من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله - مهاجرين وأنصار - فقال بعد أن حمد الله وصلى على محمد وآله:

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقيه بنفسه، وأينما وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله كان جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه»[2]...

---

[1]- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ص١٨٣.

[2]- الأرشاد، الشيخ المفيد: ٢ / ٨، مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ص٣٢ -٣٣. دارالكتاب، إيران، شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد: ١٦/ ٣٠.



وبعد استعراضه ما كابده الامام عليه السلام وقاساه في سبيل الرسول صلى الله عليه وآله و رسالته قال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذي افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿قل لا أسألكم عليهم أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾[1] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت، ودعا الناس إلى بيعته؛ فاستجابوا له، وقالوا: ما أحبه إلينا، وأحقه بالخلافة فبايعوه، ثم نزل عن المنبر»[2].

وإن أول من بايعه، هو قيس بن سعد بن عبادة، فقال له:

أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، ثم بايعه الناس بعده[3].

وكان ذلك يوم دفن الامام علي عليه السلام لثمان ليال بقيت من رمضان سنة أربعين هجرية. وقال ابن الكثير:

الخلفاء الأربعة: أبو بكر، عمر، عثمان، وعلي خلافتهم محققة، ثم بعدهم الحسن بن علي -كما وقع- لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق... الخ[4].

---

[1]- الشورى، الآية: ٢٣.

[2]- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ص٣٣؛ الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٢٧٠؛ المعجم الأوسط، الطبراني، ٢ / ٣٣٦، على اختلاف يسير في مصدرين الاخرين (محقق)..

[3]- البداية والنهاية، ابن الكثير: ج٨، ص١٦.

[4]- البداية والنهاية، ابن الكثير: ج٦، ص٢٥٥.

وإنه لما قتل الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام سار الناس إلى الحسن بن علي عليه السلام بالبيعة.

موقف الامام الحسن عليه السلام من معاوية

كان الامام علي عليه السلام يعد جنده قبيل اغتياله لقتال معاوية وأهل الشام، وقد حال استشهاده عن ذلك، وكان معاوية في الوقت نفسه يدس الرجال إلى الكوفة والبصرة وغيرها للقيام بالأعمال التخريبية والقتل غدراً ومكيدة على طريقته في الكيد: «أن لله جنوداً منها العسل»[1].

فكتب إليه الحسن عليه السلام – بعد أن قتل المسلمون أحد رجاله: –

أما بعد، فإنك دسست إلي الرجال، كأنك تحب اللقاء، وما أشك في ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى[2].

صلح الامام الحسن عليه السلام الأسباب والدوافع:

إن لفهم موقف الامام عليه السلام، ومن ثم صلحه مع معاوية لابد من استحضار نقطتين أساسيتين تتعلقان بمهمة الامام عليه السلام ووظيفته، وهما:

---

[1] – النص :«قال معاوية أيضا حين بلغه أن الأشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات: إن لله جنودا منها العسل»، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، متوفي ٦٦٨، دار مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق، د.نزار رضا: ١٧٤؛ تاج العروس، الزبيدي: ٣٢٦/٢.

[2] – مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ص٣٣.

١- الحفاظ على سلامة مبادئ الرسالة الآسلامية، والتجسيد الكامل لها في واقع الأمة.

٢- تحصين الأمة الآسلامية، وإعداد الجيش العقائدي لتأمين ذلك التحصين ضد الانحراف الذي سعت إليه أطراف كثيرة مدفوعة إليه بدوافع متباينة، ففي ذلك تواجه الامام ثلاثة احتمالات، هي[1]:

الأول: أن يحارب معاوية رغم الظروف السيئة، ورغم النتائج المؤلمة التي تترتب على هذا الموقف[2]، مع يقين الامام الحسن عليه السلام بأن الموقف سيكون لصالح معاوية.

الثاني: أن يسلم السلطة إلى معاوية، ويتخلى عن أهدافه ودوره[3].

الثالث: أن يتخذ الموقف المنسجم وطبيعة الرسالة الآسلامية محافظاً على مهمته ووظيفته لكونه الشخص الأمين على الرسالة، والامتداد الطبيعي للنبي في خط الامامة المعصومة، فيتخلى عن الصراع المسلح مؤقتاً ريثما تتوفر الظروف المناسبة للمواجهة والآطاحة بالحكم الفاسد.

فعلى أساس ذلك أبرم الامام عقد الصلح مع معاوية.

---

[1] - ثورة الحسين، محمد مهدي شمس الدين: ص١٤٢. دار التعارف، بيروت، ط ٥ ١٣٩٩.

[2] - نفس المصدر.

[3] - نفس المصدر.

الأسباب المباشرة (للصلح):

١- كراهة الناس للحرب:

قول الامام الحسن عليه السلام لحجر بن عدي:

«إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن احملهم على ما يكرهون فصالحت بقياً على شيعتنا (خاصة) من القتل»[١]

٢- تأجيل الحرب:

فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن[٢]، أي تأجيلها والأعداد لها في غير وقت معاوية.

كما يؤكد ذلك قول الامام الحسن عليه السلام لسفيان بن ليلى:

«ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن ادفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال»[٣].

٣- ضعف الوازع الديني:

وهو العامل الأهم كما يصوره الامام الحسن عليه السلام في أحد خطبه:

«وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم امام دنياكم، وأصبحتم اليوم

---

[١]- الأخبار الطوال، الدينوري: ص٣٢٠.

[٢]- نفس المصدر.

[٣]- نفس المصدر.

ودنياكم امام دينكم»[1].

وكانت تركيبة جيش الامام عليه السلام كما يحددها في خطبته أعلاه:

١- طائفة تريد الثأر لقتلاها في النهروان[2].

٢- طائفة متخاذلة «فأما الباقي فخاذل».

٣- طائفة موالية، والذين وصفهم بقوله: «وباكي ثائر»[3].

جيش الامام الحسن عليه السلام:

اختلف المؤرخون في تعداد جيش الامام الحسن عليه السلام الذي تهيأ به لقتال معاوية مع اتفاق بينهم على أن مقدمته كانت اثنا عشر ألفاً، وهي التي التقت جيش معاوية في منطقة (مسكن)، والتي فيها حاول معاوية استمالة قادة جيش الامام الحسن: قيس بن سعد،وعبيد الله بن عباس، حيث أغراهم بالمال والمناصب الحكومية،ولكن قيس بن سعد - القائد الثاني في جيش الامام- رفض إغراءات معاوية، وقال لمعاوية: «**لا التقيك إلا السيف والرمح بيني وبينك**».

وبشكل عام استطاع معاوية تفتيت تماسك جيش الامام، وقد عبر الامام الحسن عليه السلام عن تخاذل جيشه غير مرة في خطب له عديدة، وإن خطبة الامام عليه السلام، يوم بيعته وحثه القوم للقاء معاوية القادم إليهم بجيش الشام، تدل على عدم إجابتهم له عليه السلام، وعدم رغبتهم في الحرب، ونكوصهم للراحة والدعة.

---

[1]- الارشاد، الشيخ المفيد: ص ١٧٠.

[2]- نفس المصدر.

[3]- نفس المصدر.

وذهبت هباءً محاولات بعض الأصحاب لاستنهاض جيش الامام، كمحاولـة عـدي بن حاتم الذي حث القوم علـى الجهـاد وحـرب أهـل البغـي. وكـان خلـص أصـحاب الامام عليه السلام يطرفون في أزقة الكوفة، وينادون بالجهاد، ويطلبون من الناس أن يـؤازروا امامهم وينصحوا له، ولكن الناس تتباطأ في التجهز للحـرب، ومـا كـان مـن انتـهاب فسطاط الامام عليه السلام، ومحاولة اغتياله وهو في معسكره في المـدائن، الأمـر الـذي يؤكـد اضطرار الامام عليه السلام للصلح مع معاوية .



على هامش صلح الامام الحسن عليه السلام

رؤية تحليلية

إن صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية يُعد أهم ظاهرة في خلافة الامام الحسن عليه السلام، لما يبتني عليه من فهم لتأسيس مرجعي في حالة كتلك التي أكرهته - أي الامام على موقفه- فصالح معاوية؛ هذا من ناحية، كما أن موقفه كان مظهراً للسلبيات التي أسهمت بها الفترات السابقة التي أهلت معاوية لولاية الشام والأجناد الأربعة، وما تلا ذلك من اتساع النفوذ الأموية في الولايات الأخرى وتركز رؤوس الأموال بأيديهم ومراكز القوة أيضاً، فضلاً عما أنتاب الأمة من حالة نكوص وانكفاء عن مرجعيتها الفكرية ومن ثم فقدانها الدافع للوقوف بوجه الظلم؛ ميلاً للدعة والمسكنة، وحباً بخفض العيش، كل تلك وغيرها من الأسباب أسهمت بشكل وأخر في ما آل إليه أمر الأمة، فشكل فيما بعد منعطفاً تاريخياً كبيراً في حياة الأمة الآسلامية.

ولابد من وقفة مع الدارسين والباحثين الّذين توافروا على قراءة الصلح كظاهرة في تاريخ التجربة الآسلامية، فكانوا فرقاء في مواقفهم التي هي مظهر لما ارتكزوه من متبنيات ورؤى سابقة شكّلت ذهنية انحيازية تارة ومهادنة أخرى، وقليلاً ما تجد الموضوعية واستناد الرسالة كمرجعية في الحكم والمحاكاة للأحداث والظواهر وما أنتجته من واقع قريباً كان أو بعيداً عن مبادئ الرسالة الآسلامية.

واختلفوا في تقييمه والحكم عليه، ولعل البعض منهم - فيما كتب- انغلق في حدود

نصوص مضطربة ومتضاربة في حكاية الأحداث التي حفل بها التاريخ الآسلامي والتي كتبت بذهنية أموية ومداد عباسي.

وكان نتيجة ذلك إهمال بعض المؤرخين لكثير من التفصيلات التي تتعلق بتلك الحوادث، ومالوا للآجمال فيما يخص حوادث أخرى لأن بها الكثير مما يخدش سلطان الغلبة والقهر وينتصر للرسالة والرساليين الأمينين على حفظ الدين وتحصين الأمة من "فِتنة الانقلاب على الأعقاب".

وإن الدراسة أو البحث في مواقف الأئمة عليهم السلام، ومنها "صلح الامام الحسن" لايمكن أن يوصف بالموضوعية أو يتسم بالعلمية إذا ما فقد النظرة الشمولية في البحث والدراسة لأمرين هامين، قد تمثلا بدور الأئمة تجاه الرسالة:

أولاً: بالعمل على الحفاظ عليها سليمة من التحريف" كمرجعية مفهومية" للارتفاع بالواقع وفقاً لها.

وثانياً: تجاه الأمة بتحصينها من الانحراف ومحاولة بناء الجيش العقائدي الذي يحقق أهداف الرسالة.

وعلى وفق هذين الأمرين تتم دراسة صلح الامام الحسن عليه السلام.

فأما بالنسبة للأمر الأول، وهو ما يتعلق بالحفاظ على الرسالة، فيتضح من خلال خطبة الامام الحسن عليه السلام في الكوفة خلال مراسم الصلح، قال عليه السلام:

«... وإن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً فكذب معاوية، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه» [1].

---

[1]- الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٥٩؛ صلح الامام الحسن (ع)، محمد جواد فضل الله: ٣٥. دار الزهراء،

والنص يؤكد حرص الامام ﷺ على التزام موقفه السياسي ورئاسة الدولة الآسلامية في إطار مسؤولياته التغييرية الكبرى، أما إذا كان مدعاة إلى إعطاء فرصة لمعاوية وسواه ممن يحاول توظيف الرسالة ومبادئها لخدمة أغراضه ولو على بحر من دماء المسلمين؛ فالامام ﷺ لا يرى أن يتخذ كل وسيلة للوصول إلى السلطة[1].

وأما بالنسبة للأمر الثاني، وهو تحصين الأمة والارتفاع بها، فيتضح لنا من خلال نقطتين اثنين هما:

الأولى:

وهي ما عبّر عنه السيد الشهيد محمد باقر الصدر بـ «مرض الشك» الذي ابتليت به الأمة في زمن الامام الحسن ﷺ، حيث كانت تشك في مبدئية الصراع بين الامام الحسن ﷺ ومعاوية إذ اعتبرته بين سلطانين على الملك، وليس صراعاً بين شرعية الامام وأحقيته وبين معاوية وانحرافه وظلمه وجوره.

وكان من المحال على الامام النهوض بالأمة لمواجهة معاوية وهي بهذا المستوى من الوعي، الأمر الذي دفعه لآيقاع الصلح مع معاوية بغرض الكشف عن حقيقته ولكي تعرف الأمة الفوارق بينه ﷺ وبين ابن أبي سفيان. وفعلاً حصل للامام ما يريد بعد حين عندما نكث معاوية شروط الصلح، فعرفت الأمة حينها أحقية الامام، وتهيأت لاستقبال وضعاً آخر زمن امامة الحسين ﷺ.

بيروت/ط٣، ١٤٠٨هـ.

[1] - انظر: أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، السيد الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر(رض)، موضوع ثلاثة أئمة ففيه تفصيل عن الموقف الموحد للأئمة (ع) من أجل حفظ الرسالة، وكيان الدولة والأمة.

والثانية:الظروف الموضوعية

وهي ما يتعلق بالقوة العسكرية التي ينهض بها الامام عليه السلام، ومدى تفاعل الجيش مع أهداف الامام عليه السلام ومستوى معنوياتهم - فالجيش قد خاض حروب ثلاثة الجمل وصفين والنهروان - إذ لا يمكن له أن ينهض ويقاتل، وكل الشروط المطلوبة لآنجاح مهمته وفقاً للمقاييس غير متوفرة، بل إن الظروف لم تكن متوافرة وحتى بالحد الدفاعي الذي يمنع إبادة جيش الامام عليه السلام وقد لايشترط بها أن تكون أكبر من قوة العدو من الناحية المادية، بل يكفي فيها أن تمنع حصول تلك الآبادة التي ليس فيها عطاء وفقاً لوحدة الهدف في مواقف الأئمة عليهم السلام.

والامام الحسن عليه السلام لم يحصل على هذه القوة حتى بالحد الأدنى مما دفع الامام عليه السلام مكرهاً ومضطراً للصلح.

بنود معاهدة الصلح

اشتملت المعاهدة التي تم توقيعها من قبل الطرفين والاشهاد عليها على خمس مواد لم يف معاوية بأي منها[1].

المادة الأولى:

أن يُسلم الامام الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله[2]، وبسيرة الخلفاء الصالحين[3].

---

[1]- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨/٤١.

[2]- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد:٤/٨، والامامة والسياسة، الدينوري: ١٨٥.

[3]- النصائح الكافية، ابن عقيل، ط١ : ١٥٦، وتاريخ الخلفاء، السيوطي :١٩٤.



المادة الثانية:

أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده [١] - عند موت معاوية -، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام [٢]، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد [٣].

المادة الثالثة:

أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير [٤].

المادة الرابعة:

استثناء ما في بيت مال الكوفة، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس.

وإن يُفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج (دار أبجرد) [٥].

المادة الخامسة:

إنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لايتبع أحداً

---

[١] - البداية والنهاية، ابن الكثير: ٨/٤١.

[٢] - عمدة الطالب، ابن المهنا: ٥٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/٨.

[٤] - أعيان الشيعة، العلّامة محسن الأمين:٣/ ٤٣، ومقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٦، وغيرهما.

[٥] - هذه النصوص متفرقة في الامامة والسياسة،الدينوري، طبع دار المعرفة،بيروت: ٢٠٠ وتاريخ الأمم والملوك، الطبري، :٩٦/٦، والبداية والنهاية، ابن الكثير،: ٨ /١٤.

بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بأحنة[١].

وإنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم، وأن لايتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا...[٢]

وأنْ لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة. سراً وجهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق[٣].

وقد كتب معاوية في ختام المعاهدة فيما واثق الله عليه من الوفاء بها بما لفظه: **"وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك، عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه"**[٤].

وبذلك تكون الخلافة قد أفضت إلى قوم تولوها بغير استحقاق[٥].

نتائج ومعطيات صلح الامام الحسن عليه السلام:

إن مسألة الصلح لم تكن الحدث الأول في تاريخ الرسالة الآسلامية، فإن

١- شرح نهج البلاغة، ابن الحديد : ٣ /١٥.

٢- مقاتل الطالبين،أبو الفرج الأصفهاني، منشورات المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، ١٣٨٥:٢٦، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٥/٤.

٣- النصائح الكافية، ابن عقيل : ١٥٦، ط١، الهند، وكشف الغمة، ابن أبي الفتح الاربلي: ١٩٣/٢، وبحار الأنوار، محمد باقر المجلسي:١١٥/١٠.

٤- الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري:١٨٥/١. وانظر: صلح الامام الحسن، راضي آل ياسين: ٢٦٢؛ ففيه دراسة موضوعية حول موقف الامام الحسن(ع).

٥- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي : ٢٣١/٣.

الرسول ﷺ - الأسوة للأئمة ﷺ، ومن ثم للمسلمين عامة - كان قد صالح قريش، وهم آنذاك مشركين، وكان معاوية وأبوه وأقاربه في صف الشرك يومئذ، وكذا إن الامام علي ﷺ حين لم يجد بداً من التحكيم - للظروف السيئة التي أحاطت به، وخشيته على اقتتال أتباعه- صالح معاوية، وانتهى التحكيم بما انتهى إليه.

فصلح الامام الحسن مع معاوية بن أبي سفيان، لم يخرج عن السيرة المشرفة للرسول ﷺ، وأمير المؤمنين، فهو وريثهما، والامتداد الطبيعي لهما.

وأما أهم نتائج ومعطيات الصلح فهي:

١- تزييف الشرعية والطابع الديني الذي عمل معاوية على إضفائهما على ملكه وشخصيته لدى المسلمين.

٢- إظهار أحابيل، وكذب معاوية، وكشف أهدافه لدى عامة المسلمين، وهذا ما أشار إليه طه حسين في كتابه: (علي وبنوه) بقوله:

«ما مات معاوية إلا وأكثر المسلمين وأهل العراق عامة يبغضون معاوية ويحبون أهل البيت، ويعتبرون ذلك ديناً لأنفسهم»[1].

٣- إيضاح وبيان أن هدف معاوية في كل ما احتال له من شراء الذمم والضمائر، إنما كان في سبيل الملك والسلطان ليس إلا.

٤- التمهيد والأعداد لثورة الحسين ﷺ بعد موت معاوية، حيث تكون الأمة قد عرفت الحق وأهله، والباطل وأهله، وستكون أكثر إستعداداً لمواجهة الباطل.

٥- توعية الأمة على ضرورة الارتباط بقيادة أهل البيت ﷺ، وتأهيلها للكشف

---

[1]- الفِتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين: ٢٩٥.

عن زيف القيادات الضالة والمنحرفة عملياً؛ فلم يمض وقت حتى وقف معاوية خطيباً بأهل الكوفة ليكشف لهم عن حقيقته بقوله لهم:

«إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»[1].



[1]- مقاتل الطالبيين، أبوالفرج الأصفهاني: ٤٥.

معاوية

من ولاية الشام إلى خلافة المسلمين

إن الحديث عن ولاية معاوية للشام[1]؛ ومن ثم تمركز القوة في يديه؛ وبالتالي تمكنه من السيطرة عليها، وما عرف عن طواعية الشاميين له، يعني قراءة لأحداث شغلت من الزمن - لم يطل التغيير والاستبدال خلالها معاوية من دون ولاة الخلفاء الثلاثة - ثلاثة عهود: خلافة أبي بكر وعهدي، خلافة الخليفة الثاني - على بعض المرويات هو الذي وضع الأجناد الأربعة تحت تصرف معاوية - وخلافة عثمان ثالث الخلفاء والذي عهده أمتد إلى عام [٣٥ هـ].

والمحصل إن الفترة «١٢-٣٥»هـ؛ أي ما يزيد على العشرين عاماً هي التي منحت معاوية المركزية في الشام وأكسبته الخبرة في ميادين مختلفة. فضلاً عن احتكاكه بجو الروم وما يحمل من تكريس كل شيء للسلطة ومن أجلها، مع ما يضاف إلى ذلك من تطلع بدوافع عديدة ليس لدى معاوية فحسب، بل حتى أبوه كان يحثه على هذا التطلع نحو تولي الأمر، ولأبي سفيان رسالة في بدء تولي معاوية الشام أرسلها إليه يحثه على الطاعة والِتزام ما يصدر إليه من الخلفاء لأنهم سبقوهم إلى الآسلام وأنهم تأخروا

---

[1]- يراجع، تاريخ اليعقوبي: ٢/١٢٧- ١٧٨، وتاريخ الطبري (٨ مجلدات): ٢/٥٨٥، ٣/ ٩٨، وما بعدها، أحداث عام ١١- ٣٥هـ وغيرهما من كتب التاريخ.

فوضعهم هذا التأخر في دخول الآسلام، حتى إذا ما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان أظهر شيخ الأمويين ما كان يحمله للرسالة وما كان يكنه ويرعاه ويسعى إليه وهو «الملك» فقال بحضرة عثمان وكان الزبير بن العوام حاضراً ولا يشعر به أبو سفيان لأنه كان أعمى -: (يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف فما هناک جنة و لا نار)[1] ، فقال له الزبير:لا كتمتها عليك؛ فجاء بها إلينا محبو أبي سفيان وسواهم وهي أثر يُدل العاقل !!

والقارئ لسيرة معاوية يجده قد حافظ على السير بين خطين طموحه وما حمل وحملت عائلته عن الآسلام يوم بدر وأحد وفتح مكة وسواهما من الوقائع التي أهانت هبل ومشتقاته وأعلت كلمة الآسلام. فلا غرو أن يقف معاوية من علي بن أبي طالب‌ عليه السلام موقفه هذا، بل لا غرابة أن يتخذ كل وسيلة إلى بلوغ هدفه وغايته ومن ثم تتحقق له، كما يتضح من سياق الأحداث التاريخية المنحصرة بين «١١- ٣٥هـ»، وما بعدهما، ففيها كانت البادرة ترعى، وفيها وضع الأثر البارز لفترة التأسيس، حيث ثبتت مرتكزات التحرك والتحريك له في مجتمع عُرف بطاعة الولاة من أيام الحكم الرومي في الشام وما جاورها؛ فكان ذلك عاملاً مساعداً للوالي، وأول الملوك على حد تعبير معاوية نفسه؛ فكانت هرقلية وقيصرية تطبيقاً، وكما وصفها، عبد الرحمن ابن أبي بكر وسواها من ابناء الصحابة ومن بقي منهم.

---

[1] - تاريخ الطبري: ٨/١٨٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعة، بيروت؛ السقيفة و فدک و فی «السقيفة و فدک» ؛ للجوهری، ص: ٨٧، شرکة الطبع الکتبی للطباعة و النشر، بيروت: «يا بنی أمية تلقفوها الکرة، فوالذی يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب و لا حساب، و لا جنة و لا نار و لا بعث و لا قيامة» (محقق).

الدولة الأموية

النشوء وعوامل السقوط

كان المنعطف الأكبر بُعيد وقعة صفين والتحكيم، والذي تمثل في روح الضعف التي دبت إلى الجسم الآسلامي حيث نما الشك والوهن وحب الدعة في المجتمع الآسلامي، مما يسر لميكافيلية معاوية أن تجد لها طريق لشق الصف، وبالتالي أن تثمر دولة (بني أمية) الملك العضوض الذي يرثه ابناء الطلقاء من آباء أرضعوهم عداء الرسالة والرسولﷺ والأمة إلا من والهم وسار في ركابهم رضاً للسلاطين لا «الله» سبحانه ولا «لرسوله ﷺ»، وفي تلك كانت أزمة الدولة والمجتمع حتى سقوط الدولة الأموية عام [١٣٢هـ].

وعلى وفق ذلك يفهم موقف الامام الحسنؑ، الذي ورث جيشاً مفككاً تتوزع مساحته أمراض وظواهر عصية الحل: الشك، التخاذل - عُقيب ثلاث حروب والتحكيم غير المنتج- مما أضطر أن يصالح معاوية لأجل لم يبلغ، وإن كان عامل هدم في الملك الأموي وفضح عدم شرعيته على الامتداد الظرفي.

وإن جملة من العوامل يمكن أن تجمل قد أسهمت تمهيداً وتأسيساً، فتمظهر بهما الكيان الأموية دولة وسلطان يتحكم في رقاب الأمة موظفاً الدين للسياسي...

العوامل الممهدة لنشأة الدولة الأموية

وهي العوامل - والتي يكون فاصلها الزمني بعيد نسبياً عن عصر النشأة والتأسيس - التي مهدت لمعاوية والأمويين في التغلغل في مؤسسات الخلافة والاستحواذ على مراكز المال والنفوذ فيها، ومن ثَمَّ تولّي أمر الدولة والأمة، وبذلك بدأت روح الآسلام تضمر شيئاً فشيئاً حتى وُظف الدين وكرس للتسلط وتطلعات السلطان، وكان لاضطراب المسار السياسي والاجتماعي الذي شغل مساحة تنيف على العقدين ممتدة من الآرسالية الأولى لجند الآسلام التي تولّى يزيد ابن أبي سفيان قيادتها لتحرير الشام وما حولها - دولة أبي بكر [١١- ١٣هـ] - ومن ثَمَّ تولّى إمرة الشام وأجنادها معاوية أخيه - دولة عمر بن الخطاب [١٣-٢٤هـ]- حتى بلغ ذروته زمن الخليفة عثمان بن عفان [٢٤-٣٥هـ]، وإلى حيث حروب الخارجين على الشرعية [٣٦-٤١هـ] حيث تصل الأسرة الأموية إلى مآربها وتحقق طموحاتها في أواخر عهدي الخليفتين الامام علي ابن أبي طالب والامام الحسن بن علي عليهما السلام، فيؤرخ بذلك لنشأة الملك العضوض - الميكافيلي- الدنيوي وتغيب الرسالة ومبادئها السمحة عن ساحة الفعل والتأثير في ميادين الحياة المختلفة.

ومن أهم هذه العوامل:

١- أحداث السقيفة وما أعقبها من ظروف أدت بالأمويين إلى التطاول من أجل استلام السلطة على خَلْفيَّة شعار أن «الأئمة من قريش»، وقد صرح أبو سفيان في حوار له مع الامام علي عليه السلام عن التطلع الأموي للتسلط، عندما قال له:

«ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش»[1].

---

[1] - تاريخ الأمم والملوك، الطبري : ٢/٢٣٧.

وكان يريده في بني عبد مناف، وقد أشار معاوية نفسه إلى هذا الأمر أيضاً في خطبته في أهل المدينة عندما أراد أن يأخذ بيعتهم لابنه يزيد من بعده، فقال:

«وإنما هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله، فلما مضى رسول الله ﷺ ولّي الناس أبو بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة»[١].

وعليه فإن تجاوز الصحابة للنص ببيعة السقيفة وتنصيب أبا بكر خليفة على أسس عرفية، هو الذي فتح الباب واسعاً امام الاجتهاد وتقديمه على النص المرجعي؛ فتأهل المتبوع الخامل ليصبح مرجعاً في التأسيس لتداول السلطة والتحكم في مصير الرسالة والأمة، فتلك النتاجات الاجتهادية هي أهلت معاوية بن أبي سفيان لمنازعة الأمر أهله متأسياً بمن سبقه؛ متطاولاً متناسياً دور أبيه وأمه وعائلته في محاربة الرسول ﷺ ورسالته ذاكراً في كل أيامه قتلاه المشركين في بدر وأحد وغيرهما من الوقائع طالباً بدمهم المهدور وقد أشار معاوية إلى ذلك في رسالة بعثها إلى محمد بن أبي بكر جاء فيها:

«قد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما أختار الله لنبيه ﷺ ما عنده ... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه»[٢].

---

[١]- الامامة والسياسة، المصدر السابق: ١/١٥٠.

[٢]- وقعة صفين، نصر ين مزاحم المنقري: ١٢٠، المؤسسة الحديثة، مصر/ط ٢.

مُدعم:

إنَّ معاوية بن يزيد حفيد معاوية بن أبي سفيان لما طلب منه أهل الشام والأمويون أن يستخلف عليهم قال:

«والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فلا أتقلد وزرها».

ثم صعد المنبر وقال:

«أيها الناس: إن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به من لقرابته لرسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه، ثم قلّد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه، وأخلفه، الأمل وقصر عنه الأجل وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه»[1].

٢- التغلغل إلى مراكز النفوذ في الدولة، حيث استمال الخليفة الأول أبا سفيان بعد مبايعته له،بإعطائه الصدقات، ومن ثم تأمير ولده يزيد على الجيش الذاهب لتحرير الشام، وكان معه معاوية، ولما علم أبو سفيان ذلك قال: «وصلته رحم»[2].

٣- ولما مات يزيد بن أبي سفيان ولّي عمر بن الخطاب معاوية على الشام، ثم لما

---

[1] - الولاة والقضاة، الكندي: ٤٥-٤٦، نقلاً عن تاريخ الاسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن: ١/ ٢٨٨. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/ط ٧،١٩٦٤؛ و فى «ينابيع المودّة لذوى القربى، القندوزى: ٣ / ٣٦، دار الاسوة» باختلاف فى الالفاظ (محقق).

[2] تاريخ طبرى، طبرى: ٢ / ٤٤٩، مؤسسة اعلمى، بيروت، أخرج عن ثابت قال: لما استخلف أبوبكر قال ابوسفيان: ما لنا و لأبى فضيل، إنما هى بنو عبد مناف: قال: قيل له: انه قد ولى ابنك، قال – اى ابوسفيان –: و صلته رحم (محقق).

كانت خلافة عثمان أضيفت لولاية معاوية الأجناد الأربعة - حمص وقنسرين ودمشق وحلب- فتلك الفترة المتوالية التي قضاها معاوية في الشام هي التي مهّدت ومكّنت له سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. يصف سيد قطب ذلك بقوله:

«إنَّ ثلاثة عشر عاماً من حكم عثمان هي التي جعلت من معاوية، معاوية، إذ جمعت له قوة المال وقوة الجند وقوة الدولة في الأمصار الأربعة»[1].

فكيف إذا أضيفت إليها الفترة الزمنية السابقة خلال عهدي الخليفة الأول والثاني قبل تولي عثمان بن عفان الخلافة، إثر مقتل عمر بن الخطاب، حيث أطلق اليد الأموية في أمور الدولة والأمة، إذ أصبحت الولايات تدار من قبل الأمويين. فمعاوية في الشام والوليد بن عقبة في الكوفة وعبد الله بن عامر في البصرة، وعبد الله بن أبي سرح في مصر...!! مما مهد فيما بعد للأمويين في إقامة دولتهم عن طريق ما أسسوا من تكتلات ونفوذ في تلك الأمصار من خلال استحواذهم على الأموال والاقطاعات.

٤- شكلية إسلام العائلة الأموية: فهم مسلمة الفتح الذين اسلموا مكرهين إذعاناً للأمر الواقع، الأمر الذي جعلهم يستبطنون عداءاً متأصلاً للآسلام، ويكيدون به وبأهله كيداً، وقد أشار إلى ذلك الامام علي ﵇ رداً على عميد الأسرة الأموية أبي سفيان، إذ قال الامام له: **«طالما بغيت للإسلام شراً»**[2]، ثم أن شكلية إسلام الأمويين، وعدائهم المتأصل يؤكدها تصريح أبي سفيان يوم أفقده الله بصره، قائلاً لعثمان بن عفان أيام خلافته: **«تلاقفوها يا بني أمية - أي الخلافة-»**، وكان الزبير حاضراً فقال له: **«لا اكتمك**

---

[1]- العدالة الاجتماعية في الاسلام: ١٨٦.

[2]- تاريخ الطبري: ج٢، أحداث سنة ٤١هـ.

إياها وأذاعها عليه».

وقد برز الحقد الأموي على آل البيت النبوة على لسان يزيد بن معاوية وهو يرتجز بأبيات من الشعر بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام كاشفاً عن الروح الجاهلية التي استوعبت جميع الوجود الأموي - والشعر في الأصل لابن الزبعرى - حيث يقول فيها:

ليت أشايخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا استهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا خبراً جاء ولا وحي نزل[1]

أما العداء الأموي من الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين عامة والأنصار خاصة - لأنهم أفنوا نواضحهم في مطاردة أبي سفيان ورهطه يوم العير وببدر وسوها من الوقائع- فمظهرها موقف الأمويين يوم الحرة حيث استبيحت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثاً، وأعملوا سيف الحقد في الصحابة من الأنصار ومن ساكنهم حرم الرسول صلى الله عليه وآله، وكان ذلك عام ٦٣هـ وأما حرم الله «الكعبة» المقدسة فقد رميت بالمنجنيق وحُرقت، وهدم جدرانها .... فهذا الدين الأموي وهو ديدنهم بالتعامل مع الرسالة، ومسلمي الأمصار التي أُنقصت أعطياتهم «أهل الحجاز والعراق»، ونفوا وشردوا وصلبوا...!!!

وإن كتاب الله قد مزقه الوليد الذي رام الذهاب إلى بيت الله الحرام ليشرب الخمر فوقه؛ فهو خليفة الله، وظله على أرضه، وأمير المؤمنين و...، حتى مقته الناس لفسقه؛ فخرجوا عليه وقتلوه ...[2].

---

[1] - الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ١/١٧٨، وما بعدها.

[2] - تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢٥٠-٢٥٣.



٥- النفعية السياسية:

وهي سمة وطبيعة أخلاق الأموية تعتمد المكر والخديعة، وإتقان اللعبـة السياسـية دون رادع من ضمير أو دين[١].

وقد تمكنوا بهذه الخصال من كسب المنافع الآنية التي بواسطتها تمت سيطرتهم على الحكم الآسلامي وتحويله إلى ملك عضوض.

وإنَّ النص المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام يُعد قراءة واعيـة لسـيكولوجية معاويـة ورهطه الأمويين، قال عليه السلام:

«والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلُّ غدرةٍ فجرة، وكلُّ فجرة كفرة»[٢].

وقد ساهمت عوامـل أخـرى في التحـول السياسـي والاجتمـاعي داخـل المجتمـع الآسلامي وتولي معاوية الأمر منها:

١ - الخروج على الشرعية، الـذي قـاده بعـض الصـحابة في الجمـل - أمُّ المـؤمنين عائشة، وطلحة والزبير- والذي راح ضحيته آلاف القتلى والشهداء، فضـلاً عمـا سببه من اختلال أمني سياسي، وترك آثار نفسية ليس من السهل تجاوزها عند فئة من الناس.

٢ - تمرد معاوية وخروجه علـى شـرعية الخليفـة، وشـق وحـدة الأمـة والدولـة باستقلاله في الشام وإعلان نفسه خليفة في إيليا بعد مقتل عثمان.

٣- وقعة صفين، ونتائجها السلبية، وشهادة معظم القـادة الرسـاليين مـن صـحابة

---

[١]- العدالة الاجتماعية، سيد قطب: ١٧٥-١٨٥.

[٢]- نهج البلاغة، ضبط د. صبحي الصالح، مؤسسة دار الهجرة - قم: ٣١٨، الخطبة رقم: ٢٠٠.

النبي ﷺ وخيار المسلمين، مما أضعف موقف الامام العسكري، والسياسي وتفكك جيشه خصوصاً بعد رفع المصاحف، والتحكيم ونتائجه السلبية، وتمرد الخوارج، وما تبع ذلك من وقعة النهروان التي كانت نهايةً للخوارج – المارقين حسب المأثور النبوي ـ كل هذه أعطت مواقع قوة لمعاوية، وكانت آثارها سلباً على موقف الامام علي عليه السلام ومن بعده الامام الحسن عليه السلام الذي سيجد نفسه مضطراً للصلح والتنازل لمعاوية بشروط لم يفِ بأي منها.

٤ – الاستقرار السياسي والاجتماعي اللذين تتمتع بهما الشام.

٥ – اغتيال الامام علي عليه السلام في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام [[٤٠هـ]].

٦ – اغتيال الامام الحسن عليه السلام من قبل معاوية بدس السم له، الأمر الذي مهد لتولية يزيد بن معاوية خلفاً له، وبهذا يكون معاوية قد نقض المواثيق والعهود التي قطعها على نفسه امام الأمة وتضمنتها صحيفة الصلح[1].

أسباب سقوط الدولة الأموية

شغلت الدول الأموية مساحة زمنية امتدت [٤١-١٣٢هـ] حيث قيام الدولة العباسية ونهاية السلطنة الأموية، وإن جملة من العوامل والأسباب كانت وراء ذلك الانهيار والسقوط، الذي أودى بالتراث الأموي حتى كذكر حسن بين ابناء الأمة، ومما

---

[1] – انظر : موضوع سابق ((على هامش صلح الامام الحسن)).

تجدر الآشارة إليه أن تلك العوامل والأسباب هي نتاج وإفراز السلوك ملوك الدولة الأموية وولاتها تجاه الرسالة تطبيقاً حيث تم توظيفها للسلطان وطموحاته وتطلعه، وتجاه الأمة حيث العلاقة بينهما كانت تجسيداً للعنف والقهر والآكراه الذي مورس تجاهها وفي الأمصار المختلفة خلا الشام التي كانت تتمتع بحصانة للطاعة العمياء للوالي، فضلاً عن المأثور النبوي حول الطلقاء.

وتجمل تلك الأسباب في:

أولاً: عدم شرعية الدولة الأموية

لقد حمل المأثور النبوي المبارك تصريحات حول عدم أهلية الطلقاء في تولي أمر الأمة، فكان ذلك مظهراً لعدم شرعية الدولة الأموية.

فعن أبي سعيد الخدري، إنّه سمع الرسول الأعظم ﷺ يقول:

«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه...»

كما حذرت روايات وأخبار أخرى من آل مروان وأشارت إلى أنهم سينزوون على منبر الرسول ﷺ، وعن أبي ذر في حوارية له مع عثمان قال: إنه سمع الرسول ﷺ يقول:

إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا مال الله دولة بينهم وعباده خولاً[1] .. وكان ذلك من عوامل نقمة الخليفة على أبي ذر (رض).

ويستجلى تأثير المروي هذا في مواقف إسلامية ممتدة منذ دولة عثمان وحتى

---

[1]- البداية والنهاية، ابن كثير: ٦/ ٢٤٢، وفي رواية عن أبي سعيد (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين). ٨/٢٩٥.

سقوط الدولة الأموية، واصبح مستند الخروج والطعن على الأمويين، فقد وسمَ ابناء الصحابة الدولة الأموية بالكسروية والهرقلية، ووصفوها بالملك العضوض.

من المروي التاريخي

إنَّ معاوية بن أبي سفيان قصد المدينة المنور ليأخذ بيعة أهلها لابنه يزيد، فالتقى بالعبادلة – عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير– كي يمهد للبيعة إذا ما حصل على موافقتهم، إلا أنهم رفضوا مقترحه، وقال عبد الله بن عمر لمعاوية:

> **«إنَّ هذه الخلافة ليست بهرقلية، ولا قيصرية، ولا كسروية، يتوارثها الابناء عن الآباء، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي»**[1].

خليفتان

إنَّ إعلان معاوية نفسه خليفة، أو حتى أن عصيان وخروجه على الشرعية، كان يوجب على المسلمين أن يقفوا بوجه ويحاربوه لشقه وحدة الأمة.

يقول سبط ابن الجوزي: ثم العجب من منازعة معاوية لعلي الخلافة، وقد قطع الرسولﷺ طمع من طمع فيها بقوله: «**إذا ولي خليفتان فاقتلوا الأخير منهما**»[2].

ثانيا:

خَلْفية السلوك الأموي في الذهنية الآسلامية إبان خلافة عثمان، وانحراف الممارسة

---

[1] – الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ١٩٤، وما بعدها.

[2] – تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٦٥.

السلطوية، وتوتر العلاقة بين الأمة والسلطة بمفاصها جميعاً، فحين تولّى معاوية الأمر أستعاد هؤلاء مراكزهم، وعادوا إلى سابق عهدهم في البعد عن مبادئ الرسالة، وتكريس مسألة «قميص عثمان» ضد من يرون فيه مخالف لهم أو هوى علوي أو غير ذلك.

فكان لهذه الخَلْفية الأثر الكبر «**ولادة ونمو الكره لدى الكثير من المسلمين، وأهل العراق خاصة ضد الأمويين قبل وخلال وبعد سقوط دولتهم**»[1].

ثالثاً: الثورات والحروب الداخلية

يؤرخ للثوارات إبتداءً، بثورة الامام الحسين عليه السلام عام [٦١هـ]، ومن وقعة الحرة وتتابع الخروجات على الدولة الأموية ولا تنتهي إلا بنهايتها وسقوطها عام [١٣٢هـ].
وكان سمة العهد الأموي عدم الاستقرار والاضطراب إذا ما استثنينا فترة معاوية وبعض الفترات الاخرى.

رابعاً: ولاية العهد وتوريث السلطان

وإنْ كانت ولاية العهد تاريخياً تنسب إلى الخليفة الأول حيث عهد إلى عمر بن الخطاب بتولي الأمر من بعده إلا أن الطابع لها ليس توريثاً مع مفارقة في البين بينها وبين المنهج الذي وضعه معاوية بن أبي سفيان لتداول السلطة بعده، والتطور الذي أُجري عليه فيما بعد حيث يتم العهد لأكثر من واحد وليس بالضرورة أن يكون المعهود له شخصاً واحداً فربما عهد لأكثر من واحد، ويكونان ليس من الابناء، بل أخ

---

[1] - تاريخ الاسلام السياسي، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٤: ١/ ٢٧٩.

وابن أو غير ذلك بحسب ما يراه السلطان المشرف على الهلاك...

وكان لهذه الظاهرة آثارها السيئة على البنية السياسة والاجتماعية، فكان التحزب والتنافس بين الفرقاء سبيلاً يُثمر دائماً النـزاع والاحتراب، مما أدى إلى تفكك روابط الأسرة الأموية، وأدى بالنهاية إلى ضعف ووهن الدولة وكيانها.

خامساً: إحياء العصبية القبلية

عمد السلاطين وملوك الدولة الأموية وولاتها إلى إحياء النعرات القبلية والأقليمية بين القبائل وسكان الأمصار الآسلامية، وذلك كوسيلة لتمد في عمر الدولة، وتفت في الوقت نفسه بالآصرة بين ابناء الأمة، مما ييسر السيطرة عليها. فكان التمييز في العطاء أحد مظاهر هذا الآحياء فالعراق والحجاز وقعا تحت طائل التمييز والتمايز لموقف أهلهما تجاه الأمويين قبل دولتهم وبعد أن آل الأمر لهم. يضاف إلى ذلك إذكاء الروح القبلية بين القيسية واليمانية إلى غير ذلك....

نموذج مروي:

خطبة الحجاج في أهل العراق

«يا اهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الامخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً وأشعركم خلافاً أخذتموه دليلاً تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجركم إسلام

أو ينفعكم بيان ألستم اصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً وتنهزمون سراعاً ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى اعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقعصتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله، يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم وان أمنتم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة هل استخفكم ناكث او استغواكم غاو أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالع إلا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه، يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعت ناعب أو زفر زافر إلا كنتم اتباعه وأنصاره، يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع، ثم التفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من

الذئاب، يا أهل الشام انتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء فضيلة الصبر على المصيبة»[1].



[1] - البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الحادي عشرة ١٤٠٨هـ : ١/٢٨٦-٢٨٧. العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، ثابت إسماعيل الراوي، مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٥: ٢٣٢، وما بعده؛ شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد: ١ / ٣٤٥، «اهل العراق و خطب الحجاج فيهم» دار احياء الكتب العربية، على اختلاف فى الالفاظ (محقق).

تقييم

الممارسة الأموية وواقع التجربة الإسلامية

إنَّ واقع التجربة الآسلامية بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ قد أفرز نمطاً معيناً من السلوك السياسي والاجتماعي صار فيما بعد مرجعاً لكثير من المسلمين يحتكمون إليه في قياس درجة الانحراف الأموي عنه، إلا أنَّ التقاطع والخروج الأموي السلطوي ظاهرة عامة في الممارسة والحكم الأمويَّين خلال عمر الدولة [٤١-١٣٢هـ]. فمعاوية مؤسس الدولة الأموي يصرح معترفاً بهذا الخروج على سُنَّة الخلفاء - أبو بكر وعمر، وعثمان- مبتدعاً بذلك منهجاً جديداً لا يمس من قريب أو بعديد السيرة السابقة.

ففي لقاءٍ لمعاوية بأهل المدينة يقول:

«... ولقد رُمتُ نفسي على عمل ابن أبي قحافة - أبي بكر الخليفة الأول- فلم أجدها تقوم بذلك، وأردتها على عمل ابن الخطاب - عمر الخليفة الثاني- فكانت أشدُّ نفوراً، وحاولتها على مثلِ سنيات عثمان - يصرح به- فأبت عليَّ...» [١].

وكان الرأي العامي الآسلامي تجاه السياسة الأموية يتحدد في «اتجاهين»:

الأول: يتمثل بضمور سياسة وسلوك الخليفتين الأول والثاني والنحو بالدولة منحى القيصرية والكسروية، بغض النظر عن الخلفية التي خرج منها الأمويون إلى

---

[١] - مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور: ٢٥-٤٥/٢٦.

السلطة والحكم والانفراد بهما كونهم من الطلقاء المحاربين لله ورسول ﷺ والمتبعين غير سبيل المؤمنين.

الثاني: يتمثل بأغلبية الصحابة وابنائهم وبني هاشم ومن والهم تقفيًا للآثار الواردة عن الرسول ﷺ سواء منها ما يختص بالنص على عليّ وابنائه أو عدم شرعية تولّي الطلقاء وابنائهم الخلافة وأمر الرسالة والأمة.

إنَّ مقاييس العطاء بين المسلمين أيام الخليفة الأول كانت مطبوع بالمساواة لأن الفضل حسب - أبو بكر - عند الله جزاؤه، كما أنَّ عمر فاضل في العطاء على اساس السبق والبلاء والخدمة في الآسلام - متذرعاً أنَّ مَنْ قاتل الرسول ﷺ ليس كمن قاتل معه- فهذه الأصول لم تعد تقرر فرض العطاء بين المسلمين خلال التسلط الأموي، إذ اصبح الولاء للدولة وحكامها، بل وولاتها هو المعيار في فرضه، وتقرير مستحقه من سواه؛ لذا تنافست القبائل العربية وزعماؤها في إظهار الولاء والتفاني في الدفاع عن السلطة الأموية مقابل المكافئات المالية والحصول على المناصب[1].

ونخلص إلى أن السلوك الأموي في الحكم كان سلوكاً تعسفياً استبدادياً لم يترك مجالاً من مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية إلا وعبث فيه، وقد تجلى ذلك في التفريق بين والمسلمين وتفضيل بعضهم على بعض على أساس الولاء الأموي أو هذا شامي وسواه عراقي أو حجازي، فضلاً عن احتكار السلطة، وظهور العنف المقنن - ضد

---

[1]- الدولة العربية الاسلامية في العصر الأموي، د. لبيد إبراهيم أحمد، د. عبد الواحد ذنون طه، د. عبد القادر سلمان المعاضدي: ١٢٩، دار الكتب، الموصل- العراق، ١٩٩٢ وانظر تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي، خالد جاسم الجنابي: ٩٢، دار الحرية- بغداد، ١٩٨٤.



معارضي الدولة أو من له موقف سابق إزاء عثمان أو الأمويين- وإشاعة الفساد والعمل على مخالفة السُنّة، والانغماس في اللهو والمجون، فكانت ثورة المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة «غسيل الملائكة» رد فعل لهذه المظاهر، لما علموا أن «**يزيد بن معاوية صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود ومنادمة على شراب**»[1]، «**وهو رجل ينكح أُمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة**»[2].

وكان ذلك سبب خلع بيعة يزيد من قبل أهل المدينة، ويتجلى ذلك في أقوال عبد الله بن حنظلة:

«**إنَّ يزيد أسرف في المعاصي**»،

وقوله أيضاً:

«**والله ما خرجنا على يزيد حتى خِفنا أن نرمى بالحجارة من السماء**»[3].

وإنَّ التدني الخلقي الذي بلغه سلاطين الدولة نجده في ما روي عن سليمان بن يزيد بن عبد الملك، الذي قتل أخاه وقال عنه:

«**بُعداً له أشهدُ أنَّه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد راودني عن نفسي**»[4]!!

---

[1]- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي: ٢٩٤، دار الكتب العلمية- بيروت.

[2]- تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢٤٩، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٨هـ؛ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد: ٥ / ٦٦ دار صادر، بيروت (محقق).

[3]- نفس المصدر: ٢٩٤.

[4]- نفس المصدر، السيوطي: ٣٠٠.

ولتكتمل الصورة عن الممارسة والسلوك الأموي يضاف جملة من إشارات سابقة، وأخرى لم تذكر، كتمزيق القرآن الكريم، وعزم الخليفة وأمير المؤمنين أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة، وقتل الامام الحسين، وسبي آل الرسول ﷺ، واستباحة المدينة، وقتل أصحاب النبي ﷺ والتمثيل بهم، والنفي والتشريد ... كلها دلائل البعد عن المرجعية الآسلامية، وتمثل لروح الجاهلية التي حملها الأمويون على طول الخط ...[1].



[1] – انظر العدالة الاجتماعية في الاسلام،سيد قطب: ١٨٥، تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٣٠٢.



مصادر و مراجع الكتاب

١) . أحكام القرآن، أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، متوفي ٣٧٠ هـ دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢) . الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، متوفي ٤٥٠ هـ الآعلام الاسلامي، بدون تاريخ.

٣) . أخبار الدولة العباسية، مؤلف من القرن الثالث، تحقيق، عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، الناشر دار الطليعة، بيروت.

٤) . الأخبار الطوال، أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، متوفي ٢٨٢هـ دار إحياء الكتب العلمية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٠.

٥) . اختيار معرفة الرجال، الطوسي، متوفي ٤٦٠ هـ تحقيق مير داماد، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤.

٦) . أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي، متوفي ٤٦٨ هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٧) . أسد الغابة، ابن أثير، متوفي ٦٣٠هـدار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ

٨) . الأصابة، ابن حجر العسقلاني، متوفي ٨٥٢هـ دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ١، ١٤١٥.

٩) . إكمال الكمال، ابن ماكولا، متوفي ٤٥٠، دار الكتاب الاسلامي – القاهرة.

١٠) . الامامة والسياسية، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن ابن قتيبة الدينوري، الدكتور تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١١) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيي،متوفي ٢٧٩هـ دار الفكر،ط ١- ١٤١٥هـ

١٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، علي بن أبي بكر الهيثمي، متوفي ٨٠٧هـ مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.

١٤) الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، طبع استان فقدس رضوي.

١٥) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٧٧٤هـ تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

١٦) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٧٧٤هـ دار مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

١٧) التابعين من الثقات، ابن حبان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٢هـ

١٨) تاريخ ابن معين الدوري، متوفي٢٣٣ هـ تحقيق عبد الله أحمد حسن، دار القلم.

١٩) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، متوفي ٣١٠هـ مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٢٠) تاريخ الخلفاء عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، متوفي ٩١١هـ تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ

٢١) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، متوفي ٢٨٤هـ دار الصادر بيروت، بدون تاريخ.

٢٢) تاريخ دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، متوفي ٥٧١هـ تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ

٢٣) السيرة الحلبية، علي بن برهان الحلبي، متوفي ١١٤٤هـ دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٢٤) تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي، مطبعة نينوى، طهران.

٢٥) تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي، مطبعة نينوى، طهران.

٢٦) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلان، متوفي ٨٥٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني،متوفي ٨٥٢هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ

٢٨) التنبيه والأشراف، علي بن الحسين المسعودي، متوفي ٣٤٥هـ

٢٩) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، متوفي ٨٥٢هـ دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

٣٠) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، متوفي ٣١٠هـ دار الفكر- بـيروت، ١٤٠٥هـ

٣١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، متوفي ٦٧١هـ تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب/ القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ

٣٢) الجرح والتعديل، الرازي متوفي ٣٢٧، دار إحياء التـراث، الطبعـة الأولى، ١٣٧٢.

٣٣) جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤) الجوهر الثمين في سير الملـوك والسـلاطين، لابـن دقمـان، عـالم الكتـب، بيروت.

٣٥) حلية الأولياء، أحمد بـن عبـد الله، متـوفي ٤٣٠هــ دار الكتـاب العـربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ

٣٦) خصائص أمير المؤمنين، أحمد بن شعيب النسائي، متوفي ٣٠٣ هــ تحقيـق هادي الأميني، مطبعة نينوى.

٣٧) الخلافة والامامة: عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعـة الثانية ١٣٩٥هـ

٣٨) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، متوفي ٩١١ هـ دار المعرفة، المطبعـة الفتح - جدة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ .

٣٩) دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بـن علـي البيهقـي، متـوفي ٤٥٨ هــ دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠) الدولة الأموية في الشام، أنيس زكريا النصولي، مطبعة دار السلام في بغداد،١٩٢٧.

٤١) الدولة الأموية يوسف العش، دار الفكر.

٤٢) تاريخ الدولة الأموية، د.نبيه عاقل، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٤هـ

٤٣) رجال الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، متوفي ٤٦٠هـ تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي / قم، ١٤١٥هـ

٤٤) روح المعاني، أبو الفضل محمود الآلوسي، ١٢٧٠هـ دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، متوفي ٥٩٧هـ المكتب السلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ

٤٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، متوفي ٩٤٢هـ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

٤٧) السقيفة وفدك،أحمد بن عبد العزيز الجوهري، متوفي تحقيق ٣٢٣هـ د. هادي الأميني، شركة الكتبي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

٤٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي، متوفي ٧٤٨هـ الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣.

٤٩) سيرة ابن هشام، محمد بن إسحق المطلبي، متوفي ١٥١هـ تحقيق محمد محيي الدين حميد، الناشر محمد علي صبيح وأولاده، ١٣٨٣هـ

٥٠) شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي، متوفي ٣٦٣هـ

مؤسسة النشر الاسلامي- قم.

٥١) شرح مسلم، أبو زكريا بن شرف النووي، متوفي ٦٧٦هـ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ

٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، طبعة ملونة، ١٤١٥هـ

٥٣) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام، الحاكم الحسكاني عبيد الله بن أحمد، متوفي في القرن الخامس، تحقيق محمد باقر محمودي، مجمع الثقافة الآسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ

٥٤) صبح الأعشى، أحمد بن علي القلقشندي، متوفي ٨٢١هـ تحقيق د. يوسف علي الطويل، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٥٥) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، متوفي ٢٥٦هـ دار الفكر، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، ١٤٠١هـ

٥٦) صحيح مسلم، مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري، متوفي ٢٦١هـ دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).

٥٧) صفين، نصر بن مزاحم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٢ هـ

٥٨) الضعفاء الكبير، محمد العقيلي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٨.

٥٩) الطبقات الكبرى، ابن سعد، متوفي ٢٣٠هـ دار الصادر، بيروت، (بدون تاريخ).

٦٠) طبقات خليفة بن خياط، خليفة بن خياط، متوفي ٢٤٠هـ تحقيق سهيل

زكار، دار الفكر- بيروت، ١٤١٤هـ.

٦١) عقائد الامامية، الشيخ المظفر، دار التبليغ الآسلامي، قم، بدون تاريخ.

٦٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، متوفي ٣٢٨هـ دار الكتاب العربي،بيروت، ١٩٨٣.

٦٣) علل بن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهران الرازي أبو محمد، وفاة المؤلف ٣٢٧، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥.

٦٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، متوفي ٦٦٨، دار مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق، د. نزار رضا.

٦٥) الفتن، حماد بن نعيم المروزي، متوفي ٢٨٨، دار التوحيد، القاهرة،ط ١٤١٢،١هـ

٦٦) فتوح البلدان، يحيى بن أحمد البلاذري، متوفي ٢٧٩هـ مطبعة لجنة البيان، مصر،١٣٧٩هـ

٦٧) الفتوح، ابن أعثم الكوفي، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٦٨) الفتوح، ابن أعثم الكوفي، متوفي ٣١٤هـ تحقيق شيري، دار الأضواء،بيروت،ط ١.

٦٩) الفخري، في الآداب السلطانية، ابن طباطبا، إنتشارات الشريف الرضي.

٧٠) القاموس المحيط،الفيروز آبادي، متوفي ٨١٧هـ دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ

٧١) الكامل في الأدب، محمد بن يزيد المبرد، متوفي ٢٨٥هـ تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٧٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجرزي، متوفي ٦٣٠هـ دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣.

٧٣) كتاب الثقات، ابن حبان، متوفي ٣٥٤هـ المطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ

٧٤) كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك، متوفي ٢٧٨هـ المكتب الآسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ المصنف، ابن أبي شيبة، دار الفكر، ط١، ١٤٠٩هـ

٧٥) الكشاف في من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، متوفي ٧٤٨هـ مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى ١٤١٣.

٧٦) كنز العمال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٧٧) لأكون مع الصادقين، الدكتور التيجاني، دار الفجر- لندن.

٧٨) لسان العرب،ابن منظور، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ

٧٩) مجمع البحرين، فخر الدين الشيخ الطريحي، متوفي ١٠٨٥هـ مكتبة نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ

٨٠) مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، متوفي ٥٦٠ هـ مؤسسة

الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٨١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، متوفي ٨٠٧ هـ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ

٨٢) مروج الذهب، المسعودي علي بن الحسين، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ

٨٣) المستدرك على الصحيحين، محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، متوفي ٤٠٥هـ تحقيق الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦.

٨٤) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، متوفي ٢٤١هـ دار الصادر، بيروت، لبنان

٨٥) مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، متوفي ٢٣٠هـ تحقيق عبد الله بن محمد البغوي، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٦) المصنف، أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، متوفي ٢١١هـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر المجلس العلمي.

٨٧) المصنف، ابن أبي شيبة، متوفي ٣٢٥هـ تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

٨٨) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٩) المعجم الكبير،سليمان بن أحمد الطبراي، متوفي ٣٦٠هـ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٩٠) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، نشورات المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، ١٣٨٥.

٩١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، متوفي ٨٠٨ هـ مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٩٢) الملل والنحل، الشهرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، متوفي ٥٨٨ هـ المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٧٦هـ

٩٤) المناقب، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، متوفي ٥٦٨هـ مؤسسة النشر الآسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ

٩٥) المهذب البارع، أحمد محمد بن فهد الحلي، متوفي ٨٤١هـ تحقيق الشيخ مجتبى العراقي، جامعة مدرسين، ١٤٠٧هـ

٩٦) المواقف، محمد بن إبراهيم الآيجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٧) ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفي ٧٤٨هـ تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ

٩٨) النصائح الكافية، محمد بن عقيل، متوفي ١٣٥٠هـ دار الثقافة- قم، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ

٩٩) نظام الحكم في الآسلام، د. محمد النبهان، جامعة الكويت، ١٩٧٨، إعادة طبع.

١٠٠) ينابيع المودة، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، متوفي ١٢٩٤هـ تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، أسوة - قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ